مع الخطيب

في خطوطه العريضة

لطف الله الصافي

راجعه وعلق عليه

السيد مرتضى الرضوي

مؤلف كتاب مع رجال الفكر في القاهرة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

DUE JUN 15, 1993

Safi

مع الخطيب

في خطوطه العريضة

لطف الله الصافي

راجعه وعلق عليه

السيد مرتضى الرضوي

مؤلف كتاب مع رجال الفكر في القاهرة

(Arab)
BP194
.1
K4273S234
1987
(RECAP)

الكتاب: مع الخطيب في خطوطه العريضة.
المؤلف: حجة الاسلام والمسلمين الشيخ لطف الله الصافي.
المُراجع: السيد مرتضى الرضوي.
المطبعة: سبهر ــ طهران.
التاريخ: الطبعة السادسة مزيدة ومنقحة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧م.
طبع منه: ١٠٠٠٠ نسخه.

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
32101 021981079

وكان من دعائه عليه السلام
في الصلاة على اتباع الرسل ومصدقيهم[1]

اللهم واتباع الرسل ومصدقوهم من اهل الارض بالغيب عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب، والاشتياق الى المرسلين بحقايق الايمان في كل دهر وزمان ارسلت فيه رسولا واقمت لاهله دليلا من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه واله من ائمة الهدى، وقادة اهل التقى على جميعهم السلام فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان.

اللهم واصحاب محمد صلى الله عليه واله خاصة الذين احسنوا الصحابة، والذين ابلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه واسرعوا الى وفادته، وسابقوا الى دعوته، واستجابوا له حيث اسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الازواج والاولاد

(١) هذا الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية التي يداوم الشيعة على قراءة ادعيتها. نقلناه هنا ليعرف الباحثون منزلة صحابة النبي (ص) الرفيعة عند الشيعة.

فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ . وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ . وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ بِتِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ ، وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ . وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ فَلَا تُنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ . وَارْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ . وَبِمَا حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ . وَكَانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ . وَاشْكُرْهُمْ عَلَى هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَوْمِهِمْ . وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلَى ضِيقِهِ . وَمَنْ كَثَّرَتْ فِي إِعْزَازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِيهِمْ .

اَللَّهُمَّ وَاَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ خَيْرَ جَزَائِكَ . الَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ ، وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ ، وَ مَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ .....

اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ ، وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَعَلَى مَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ صَلَوٰةً تَعْصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ (الخ) .

مقدمة الناشر

شاء الله تعالى لهذه الأمة أن تكون الطليعة الحضارية لباقي الأمم، وان تكون الأمة الوسط بكل ما تحمله هذه الصفة من معانٍ حضارية، وأن تكون الأمة الشاهدة، إلى ما هنالك من صفات اختصت بها خير أمة أخرجت للناس، وكانت وحدة هذه الأمة وترابطها القلبي العقائدي هي الجو الطبيعي الذي تتوفر من خلاله على كل خصائصها.

ومن الطبيعي أن يلقي أعداء الاسلام بكل ثقلهم لتمزيق هذه الوحدة بشتى الوسائل الممكنة، مستغلّين الأرضية المناسبة المتمثّلة في (الجهل، والتعصُّب، والمصالح الضيِّقة) الأمر الذي يلقي على عاتق كل العلماء مسؤولية الوقوف، والدفاع، وتوضيح الحقائق، ونشر التوعية التامة. وهذا مانجده يتمثل في الجهد الذي بذله سماحة الشيخ المؤلف دام ظله.

فإلى مطالعة هذا العمل التحقيقي الجيد ندعو كل قرّائنا الأعزة.

وإلى نفي كل أرضية للتفريق ندعو كل علماء المسلمين.

ولنكن على حذر من كل الأحابيل (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين).

مقدمة المراجع:

طلبت من سماحة المؤلف دام ظله أن أطالع هذا الكتاب وأغيِّر بعض العبارات أو الكلمات وأبدلها بعبارة و كلمة أوضح أو أقرب الى المقصود. فوافق سماحته على هذا الطلب وشرعت بالمطالعة متوكِّلاً على الله تعالى وسائلاً منه التوفيق والقبول..

السيد مرتضى الرضوي

مقدمة المؤلف

لاريب في أن الدعوة الإسلامية إنما قامت على عقيدة التوحيد، وتوحيد العقيدة، وتوحيد الكلمة، وتوحيد الأنظمة والقواعد، وتوحيد المجتمع، وتوحيد الحكومة، وتوحيد المقاصد.

فعقيدة التوحيد هي المبنى الوحيد لجميع الفضائل، وهي الحجر الأساس للحرية، واشتراك الجميع في الحقوق المدنية.

فلافضل لعربي على عجميٍّ، ولالأبيض على أسود، وكل الناس أمام الحق والشرع سواء، والناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، قال الله تعالى: «**إنَّما المؤمنون إخوة**» وقال: «**إن أكرمكم عندالله أتقاكم**».

و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**» و«**مثل المسلمين في توادِّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمّى**» و«**من أصبح ولايهتم بأمور المسلمين فليس منهم**».

لقد شملت نعمة الله المسلمين — فيما مضى — حيث اصبحوا إخواناً معتصمين بحبل الله تعالى، قلوبهم مؤتلفة، وأغراضهم واحدة «**أشداء على الكفار رحماء بينهم**» فتحوا الأصقاع والبلدان، وصاروا سادات الأرض، ودعاة الناس إلى الحريّة والإنسانية، وقوّاد الإصلاح والعدالة الإجتماعية.

هدموا قصور الجبابرة المستبدين، وأنقذوا الضعفاء من استعباد الأقوياء الظالمين، وأخرجوا الناس من ذلّ سلطان الطواغيت وعبادة

العباد، وأدخلوهم في عزّسلطان الله وسلطان أحكامه، وعبادته.

هكذا كان المسلمون الذين أخلصوا دينهم لله، ولولامانجم فيهم من النفاق وحبِّ الرياسة والحكومة، والمنافرات التي وقعت بينهم في الإمارة لماكان اليوم على الارض أمة غير مسلمة.

ولكن فعلت فيهم السياسة فعلها الفاتك ففرقت كلمتهم، وأزالت وحدتهم ومجدهم، فصاروا خصوماً متباعدين بعد أن كانوا إخواناً متحابّين، واشتغلوا بالحروب الداخلية عوضا عن دفع خصومهم وأعدائهم، ونسوا ماذكّروا به من الأمر بالاتحاد والأخوّة الدينية، فصرنا في بلادنا اذلّةً، بعد أن كنا في غير أوطاننا أعزّةً.

وأكثر هذه المفاسد إنما أتتنا من أرباب السياسات، ورؤساء الحكومات الذين لم يكن لهم همٌّ إلاّ الاستيلاء على عباد الله ليجعلوهم خولا ومال الله دولا، فأثاروا الفتن، وقلبوا الإسلام رأساً على عقب، وضيّعوا السنن والاحكام، وعطّلوا الحدود، وأحيوا البدع، وقضوا بالجور والتهمة، واستخدموا عبدة الدّراهم والدّنانير، وأمروهم بوضع الأحاديث لتأييد سياساتهم، وفسّروا القرآن، وحملوا ظواهر السنة وفق آرائهم، ومنعوا الناس عن الرجوع إلى علماء أهل البيت الذين جعلهم النبي (ص) عدلاً للقرآن وأمر بالتمسك بهم.[1] فراجع بعين البصيرة والإنصاف كتب التاريخ و الحديث حتى تعرف أثر مافعلته السياسة الغاشمة في تلك الفظائع.

---

(١) في الأحاديث الكثيرة كحديث الثقلين المتواتر وله طرق كثيرة في كتب الحديث مثل: صحيح مسلم، ومسند أحمد، والطيالسي، وسنن الترمذي، والبيهقي، والدارمي، وأسد الغابة، وكنزالعمّال، ومشكل الآثار، والجامع الصغير، والصواعق، وتهذيب الآثار، ومجمع الزوائد، وحلية الأولياء، وغيرها، واليك لفظ الحديث في بعض طرقه: «إنّي تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل

ولا تنس أيضاً أثر سياسات خصوم الإسلام من المسيحيين واليهود وغيرهما في تأجيج نار الشحناء والبغضاء بين المسلمين، فإنّهم لم يسلبوا سلطاننا، ولم يملكوا بلادنا إلاّ بما أوقعوا بيننا من التفرُّق والتشتُّت، وبما بذلوا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لبثّ التنافر والتباغض بين المسلمين ومنعهم من الاتحاد. فهم لايزالون يضعون حواجز في طريق تقارب الحكومات الإسلامية، ويصرفونهم عن الدفاع عن وطنهم الإسلامي الكبير؛ ليؤسّسوا حكومات مستعمرة، وأوطاناً مفتعلة، من غير أن يعتبروها أجزاءً لوطننا الإسلامي، ويطالبونهم بالدفاع عن حدود هذه الأوطان التي أحدثها المستعمرون، وذلك لتفريق كلمة المسلمين، وتضاربهم فيما بينهم حتى تقف كل حكومة منهم في وجه الأخرى.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسُّراً وإذا افترقن تكسَّرت آحاداً

والعارفون بأهداف الإستعمار يعلمون أنَّ تجزئة الأمة الإسلامية أعظم وسيلة تمسَّك بها المستعمرون للاحتفاظ بسلطتهم.

فيا أخي ما قيمة الوطن الذي افتعله الأجنبي لمصلحة نفسه، وأيُّ امتياز جوهري بين السوداني والمصري، والأردني والسُّوري، واليمانيِّ والباكستانيِّ، والعربيِّ والعجميِّ، بعد أن كانوا مسلمين خاضعين لسلطان أحكام الاسلام؟ وأيُّ رابطة أوثق من الروابط الاسلاميّة و

ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وفي بعضها الآخر: «إنِّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنِّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزوجل وعترتي، كتاب الله حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الارض وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللَّطيف الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليَّ الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما».

الأخوّة الدينية؟

ألمسلمون كلهم أولاد علات أبوهم واحد وهو الاسلام، وامهاتهم شتّى، بلادهم منهم ولكن الاستعمار صيَّرهم أقواماً متمايزة، وأراد أن تكون في كل بلد وإقليم حكومة خاصة، وشعائر تميِّز بعضها من بعض، والله تعالى أراد ان يكون الجميع أمة واحدة.

قال الله سبحانه: «**وان هذه أمتكم أمة واحدةً وأنا ربكم فاتقون**»[1].

وقال عزَّمن قائل: «**ولا تكونوا كالَّذين تفرَّقوا وآختلفوا من بعد ماجاءهم البيِّنات وأولئك لهم عذاب عظيم**»[2].

فالمسلم أخوالمسلم سواء كان من أهل قطره أم لا، المسلم الفلسطيني أخ للمسلم العراقي، وللمسلم الإيراني، وللمسلم الصيني، وللمسلم الارجنتيني، ووو... ألخ.

جميع بلاد الاسلام وطن لكل مسلم، والاسلام حكومته، وقانونه وسياسته، وعقيدته، ودينه.

اما الحكومات العميلة التي لايتصل بعضها ببعض بالصلات الاسلامية الوثيقة، والتي جعلت شعارها القوميات الضيِّقة المحدودة، وتشدَّقت بالدفاع عنها، ولم تكترث لأوضاع العالم الإسلامي، وما يصيب المسلمين في غير إقليمها من الضعف والاضطهاد، فلاتخدم إلاّ أعداء الاسلام مالم تجعل شعارها الوحيد الاحتفاظ بمصالح المسلمين وتحقيق أهداف الاسلام في شرق الأرض وغربها.

---

(١) المؤمنون /٥٢.

(٢) آل عمران ـ ١٠٥.

فيا الله، يا منزل القرآن، ويامنزل سورة التوحيد وحِّد حكوماتنا، وخلِّص المسلمين من كل حكومة انفصاليَّة إقليمية، وآجمعهم تحت راية حكومة إسلامية واحدة.

ألمسلمون شعارهم واحد، ومقصدهم واحد، وعقيدتهم واحدة لايعين المسلم غير المسلم على اخيه المسلم، ولايرغب المسلم في حكومة قامت على خيانة المسلمين، ولا يذلُّ نفسه عند الكفار ليعيِّنوه حاكماً على المسلمين.

المسلم لايكتب ما يوجب اشتداد البغضاء والتنافربين إخوانه، ويمنعهم من التقارب والتفاهم.

هذا شيء يسيرٌ من تأثير السياسات الغاشمة في الامة الإسلامية، ولم يبق منها في هذا العصرما يمنع من التوفيق بين المذاهب، واتحاد المسلمين واجتماعهم تحت لواء الاسلام إلاّ بعض العصبيات الجامدة التي لا تستند الى حقيقة، وليس فيها مصلحة للمسلمين، كمالم يبق غير دعايات الاستعماريِّين «من الشيوعيِّين والرأسماليِّين»، وقدقام بينهما الصراع من اجل استعمار ممالك المسلمين، وكل منهم يحاول أن يستعمر القسم الأكبر منها ولا يرى إلاّمافيه مصلحة لنفسه أبعدهما الله عن المسلمين وممالكهم، وخذل عملاءَهما، وكل الحكومات التي تأسست على رعاية منافعهما، وموادَّة من حادَّ الله ورسوله.

هذا بلاء المسلمين في عصرنا، ومنه يتوجه الخطر إليهم، وهذه السياسة هي التي لا تتوخّى إلاّ فقر المسلم وجهله.

وهذه هي التي تشيع الفحشاء في المسلمين، وتبيح الخمر والقماروالربا، وتدعو إلى السفور، وتروّج الدعارة والتَّحلُّلَ، وخروج النساء سافرات عاريات.

هذه السياسة هي التي تريد اشتغال المسلمين بالملاهي

والمعازف، وانصرافهم عن حقائق الاسلام والقرآن. وتروّج البطالة، ولاتحب اشتغال المسلمين بالعلوم النافعة، والصنايع المتقدمة، وتأسيس المعامل؛ حتى لايباع في أسواقهم إلّامتاع المستعمرين.

وأمّا السياسات التي عملت على تفريق المسلمين في القرون الاولى والوسطى فقد عفّى عليها الزمان. فمضت العصور التي استعبد الناس فيها جبابرة الأمويين والعباسيِّين، ومضت الأعصار التي كان فيها تأليف الكتب وجوامع الحديث تحت مراقبة جواسيس الحكومة.

مضت العصور التي كان العلماء يعانون فيها من اضطهاد شديد، والعمّال والولاة يتقرَّبون إلى الخلفاء والأمراء بقتل الأبرياء ونفيهم عن أوطانهم وتعذيبهم في السجون وقطع أيديهم وأرجلهم.

مضى الذين شجَّعوا العمل على التفرقة، واختلاف الكلمة، وإشعال الحروب الداخلية.

مضت السياسات التي سلبت عن مثل النسائي حرية العقيدة والرأي، وقتلته شرَّقتلة.

مضى عهد الجبابرة الذين صرفوا بيوت أموال المسلمين في سبيل شهواتهم، واتخذوا القينات والمعازف هواية لهم.

مضت العصور التي سبّوا فيها على المنابر أعظم شخصية ظهرت في الاسلام لايريدون بسبِّه إلّاسبَّ الرسول (ص).[1]

مضت الازمنة التي كان يرمي فيها بعض المسلمين بعضهم بالافتراء والبهتان وحتى الكفر والإلحاد.

مضت العصور المظلمة التي عاشت فيها كل فرقة وطائفة من

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى معاوية الذي أعلن سبَّ الإمام امير المؤمنين علي (ع) على المنابر ألف شهر انظر «رسائل الجاحظ» تحقيق الاستاذ السندوبي، طبع القاهره. (الرضوي).

المسلمين كأمة خاصة لايهمها ما ينزل على غيرها من المصائب والشدائد، ولم يكن بينهم أيُّ تعاون أوأدنى تجاوب.

نعم لقد مضت تلك العصور، وظهرت في تاريخ الاسلام صحائف مشرقة مملوءة بنور الايمان والأخوَّة الاسلامية، فقامت جماعة من المصلحين المجاهدين بالدعوة إلى الإصلاح والاتحاد، فأدركوا أنَّ آخر هذا الدين لايصلح إلّا بما صلح به اوله، وأعلنوا أن المستقبل للإسلام، و«**ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**».

فدعوا إلى اتِّباع الكتاب والسنَّة، ورفض العصبيات: العصبية الشعوبيَّة، والعصبيَّة المذهبيَّة والقبيليَّة، فأدّوا رسالتهم في شرق البلاد الإسلامية وغربها، ورزقهم الله التوفيق في توحيد الكلمة، وجمع شمل الأمة فأثَّرت أعمالهم الإصلاحية في نفوس المسلمين أثراً جميلا، ولبَّى دعوتهم جمٌّ غفيرٌ من الغيارى على الإسلام من العلماء الأفذاذو غيرهم.

فكان من ثمرات هذه الجهود الجبارة بل ومن أحلى أثمارها تأسيس دارالتقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة، واصدار مجلة «رسالة الاسلام» العالمية التي جعلت شعارها قوله تعالى:

«**إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأناربكم فاعبدون**».

وكتب فيها من كتاب المذاهب ودعاة الخير والإصلاح ورجالات الإسلام جماعة من المشايخ والأساتذة، فحققت مساعيهم كثيراً من أهدافهم في رفع التدابر والتنافر.

وكان من فوائد هذه الجهود عرض عقائد كلٍّ من الفريقين على الآخر بعد أن لم يكن لأكثرهم معرفة بمذهب غيرهم في الأصول والفروع، وكان هذا الجهل سبباً لتكفير بعضهم بعضاً في الأزمنة الماضية، فعرفوا اتفاق الكُلِّ في الأصول، وأنَّ بعض الخلافات التي أدّى إليها اجتهاد كلِّ فريق لا يضرُّ بالتقريب والتفاهم بعد اتفاق الجميع في

الأصول.

وسيبزغ بفضل هذا الجهاد فجر وحدة المسلمين، ويصبحون كما أصبح اسلافهم في حياة النبي(ص) إخواناً، ويدخل هذا الدين على مادخل عليه اللّيل، ولا تبقى قرية إلّا ونودي فيها بكلمة التوحيد.

نعم: إن قوماً إلٰههم واحد، وكتابهم واحد، وقبلتهم واحدة، وشعائر دينهم واحدة، وقد جعلهم الله أمّة واحدة. أترى ان ليس إلى دفع مشاجراتهم واختلافاتهم من سبيل؟

إن الاسلام يدعو إلى وحدة الأمم، ووحدة الأقوام والطوائف في مشارق الأرض ومغاربها.

دين الاسلام دين التوحيد، ودين خلع العصبيات، ورفض مايوجب الشحناء والعداوات، دين يسير بأبناء البشر نحو حكومة عادلة ومساواة انسانية كاملة، ونظام عدل للاقتصاد والاجتماع، ونظام للحكم والدستور، ونظام للتربية والتعليم، ونظام في جميع نواحي الحياة، ونظام للجموع وهم فيه سواء.

أترى أن هذا النظام الإلٰهي لايقدر على فصل الخصومات، وحسم المنازعات بين أبنائه؟

أترى أن الاسلام لم تكن له أساليب وتعاليم صحيحة لتمكين الأمة في الوطن الإسلامي الكبير الذي يشمل جميع المسلمين، أحمرهم، وأبيضهم، وأسودهم؟

أترى أنه لايعرض على أبنائه دواءً لدائهم؟

أترى أنه لايقدر على رفع المشاجرات التي أحدثها عمّال السياسات الغاشمة، وأيدي الاستعمار الظالمة. تلك المشاجرات التي تعود كل فائدتها لأعدائنا؟

أترى أنَّ الله حرَّم على هذه الأمة أن يجلسوا على صعيد واحد

ويعيشوا في ظل حكومة واحدة فأقفل عليهم باب التفاهم والتجاوب؟

هذا هو القنوط من رحمة الله. واليأس من روحه، وكل دائنا يرجع الى ذلك.

ودواؤه: ألثقة بالله، والإيمان بأنَّ النصر من عنده. وأنَّ جند الله هم الغالبون، وأنَّ العالم سيلجأ إلى الإسلام، وأنه هو الدافع الفذ للمشاكل التي أحاطت بالجامعة الانسانية، وأن المسلمين هم الذين يجب عليهم أن يؤدُّوا رسالة الاسلام إلى غيرهم، وقد آن وقت ذلك، وإن لم يأن فعن قريب سيجيء إن شاء الله تعالى.

فإذاً لا عجب إن قامت في المسلمين نهضات للإصلاح، ورفع التفرقة وجمع الشمل، وإعادة كيانهم المجيد، ومجدهم العزيز.

ونسأل الله تعالى الاستقامة والصبر للمصلحين، ولمن يؤازرهم على توحيد كلمة المسلمين إنه لما يشاء قدير.

«ربنا أفرغ علينا صبراً، وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين»

المؤلف

شوال ١٣٨٢

الخطوط العريضة

المسلمون كما أسلفنا في حاجة ماسة الى الاتحاد ورفض ما أوجب الشحناء بينهم في الأجيال الماضية. وإذا كانت بينهم بعض الخلافات فيجب عليهم ان لايجعلوها سببا للتنازع والتخاصم. قال الله تعالى:

«ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»[1].

سيما في هذا العصر الذي تداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة على القصاع[2].

وأولى الناس برعاية هذا الواجب هم الكتّاب والمصنّفون فإنّهم أدلاّء العامة، وهداة الحركات الفكرية، فكما تكون لبعض المقالات والمؤلفات آثار قيّمة لجمع الشمل وعزّالاسلام؛ يكون لبعضها الآخر من مصارع السوء والآثار المخزية مالايمكن دفعها إلاّ بعد مجاهدات ومجاهدات. فيجب على المؤلفين الاحتراز عما يوجب إثارة الضغائن المدفونة، كما أنه يجب عليهم التجنب عن الافتراء والبهتان، ورعاية

---

(١) الأنفال /٤٦.

(٢) أخرج ابوداود في باب «تداعي الأمم على الاسلام» من كتاب «الملاحم» ٢/٢١٠ بطريقه عن ثوبان قال: قال رسول الله (ص): **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كماتداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلّةٍ يومئذٍ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدنيا وكراهية الموت».**

الأمانة، والصدق، ونصيحة الأمة.

فإن أراد كاتب أن يكتب حول مذهبٍ ما كلمةً أوكتاباً؛ فالواجب عليه الرجوع إلى مصنفات علماء هذا المذهب في العقائد والفقه، وملاحظة آراء أكابرهم، والنظرات المشهورة بين أهل هذا المذهب، وترك الآراء الشاذة المتروكة بينهم، وأن لا يأخذ البريء منهم بجرم المسيء، ولا ينسب إلى الجميع ما ذهب إليه بعض من ٱبتلي بالشذوذ في الرأي؛ فإنَّه ليس من مذهب إلّا ويوجد فيه من له بعض الآراء الشاذة.

ولعمر الحق لوراعى الكتّاب، والمؤلفون هذا الأمر حق رعايته لذهبوا بكثير من أسباب المنازعات، والمخالفات، ولماوقعت بين المسلمين هذه المنافرات، ولما اتهم المسلم أخاه المسلم بالكفر والشرك . وهذا أدبٌ يجب على كلّ كاتب أن يرعاه وإن لم يكن مسلماً.

فإذا طهرت الصحف والأقلام من دنس الأغراض والعصبيات وٱنتزعت تلك الوسائل من أيدي الجُهّال وغير الخبراء؛ تخلصت نفوس العامة من الاحقاد والضغائن، ومن إساءة الظن بالأبرياء.

هذا. ونحن لانخفي أسفنا الشديد على ما يصدرعن بعض الكتّاب مما لاينتفع به إلّا أعداؤنا، وليست فيه أية فائدة إلاّ الضعف والفشل، وخدمة الاستعمار الغاشم، مضافاً إلى مافي كلماتهم من الافتراء والبهتان.

نحن نحسن الظن بإخواننا المسلمين، ولانحب أن يصدرعن مسلم بصير بعقايد أهل السنَّة والشيعة وآرائهم مثل هذه المقالات التافهة، ونرجو أن لايكون بين المسلمين من يتعمَّد ذلك، ونكره أن يكون بين الأمة من يخون الإسلام بلسانه، وقلمه، ولا يشعر بضرره على قومه وأمته.

وربما عذرنا بعض الكتاب الذين يكتبون في الأجيال الماضية عن الشيعة أوأهل السنة، ويسندون إليهم المقالات المكذوبة عليهم حيث

لم يكن العثور على كتب الفريقين وآرائهم في وسع كل كاتب، أمّا في هذا العصر الذي أصبحت فيه كتب الفريقين في متناول جميع الباحثين، ويمكن استعلام عقيدة كل طائفة من علمائها أنفسهم بكل الوسائل والسبل؛ فلاعذر لمن يرمي أخاه بماليس فيه، ويتّهمه بمجرد سوء الظن، وقد قال الله تعالى: «**يا ايها الذين آمنوا آجتنبوا كثيراً من الظن إنَّ بعض الظن إثم**»[1].

ومن الكتب التي نسبت الى الشيعة المخاريق العجيبة، وسلكت مسلك أنصار الامويين وغيرهم من أعداء عترة النبي (ص) كتاب سماه مؤلفهُ [الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الإثني عشرية] فبالغ في البهتان والافتراء، وتجريح عواطف الشيعة وأهل السنة. وفيه من الكذب الظاهر والفحش البيّن، والخروج عن ادب البحث والتنقيب؛ ما لايصدر إلّا عن جاهل بحت، أو من كان في قلبه مرض النفاق، وأراد تفرقة المسلمين، وإفساد ذات بينهم، وقد قال رسول الله (ص) فيما رواه الترمذي واحمد وأبوداود:[2]

«**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلوة، والصدقة؛ إصلاح ذات البين. فإنَّ فسادذات البين هو الحالقة**».

وفي خبر من طرقنا أنه (ص) قال:

«**صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام**».[3]

وأخرج الطبراني عنه (ص): «**مَنْ ذَكَرَ امرأ بماليس فيه ليعيبه حبسه الله في نارجهنم حتى يأتي بنفاد ماقال**».[4]

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) الجامع الصغير ١/١١٤ الطبعة الرابعة.

(٣) نهج البلاغة ٣/٤٧.

(٤) الجامع الصغير ٢/١٧١.

فماظنك يا أخي بمن أشاع على طائفة من المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله، وكتابه، وباليوم الآخر، ويقيمون الصلوة، ويؤتون الزكوة، ويصومون، ويحجون ويحرّمون ماحرّم الله في كتابه وسنة نبيه، ويحلون ما أحلّ الله، ورسوله، ماهم منه أبرياء.

وقد طعن في هذا الكتاب على أئمة المذهب ومفاخر الاسلام، ودافع عن سيرة يزيدبن معاوية، وأظهر انحرافه عن أميرالمؤمنين علي (ع) الذي لايحبه إلاّ مؤمن، ولا يبغضه إلاّ منافق، ليهيج الشيعة ويستنهضهم على أهل السنة، حتى يعارضوا ذلك بالمثل فيتحقق أمله وأمل أعداء الدين من المستعمرين وغيرهم باثارة خصومة حادة بين المسلمين، فان الاستعمار لايحب أن يرى الشيعي والسنيَّ يغزوانه في صف واحد، ولا يريد اتفاقهما في محاربة الصهيونية، ولا يريد اتحاد المسلمين في إحياء مجدهم واسترجاع تراثهم الاسلامي، واستعادة البلاد والأراضي المغتصبة منهم.

ألاستعمار يريد الشِّقاق والنفاق حتى يصفوله الجوُّ، وتتحقق أهدافه. ومحب الدين الخطيب كاتب «الخطوط العريضة»، ومن يسلك سبيله يمهد له الوصول إلى مطامعه الخبيثة من حيث يعلم أولايعلم.

ولكن لايبلغ الاستعمار آماله إن شاءالله تعالى. وسينجح المصلحون، ولا تهن عزائمهم بهذه الكلمات فإنهم أعلم بمقالات أرباب المذاهب وآرائهم. والتقريب فكرة إصلاحية كلمامرَّ عليها الزَّمان يزداد المؤمنون بها، وإن رأى محب الدين استحالتها فلأنه لم يفهم أولم يشأ أن يفهم معناها.

وبعد ذلك كله فنحن نكره أن نتكلم في نية محب الدين، وأنه أرادإثارة الفتن، وخدمة أعداء الاسلام، وإعانتهم على هدم كيان المسلمين، فالله هو العالم بالضمائر، فلانريد أن نسيرمعه في مقالاته،

ونوضح أخطاءه وعثراته، بل نريد تخليص أذهان بعض إخواننا من أهل السنة وتطهيرها من هذه التهم والافتراءات، وجعلنا كتاب الخطوط العريضة مورد البحث والنقد؛ لأنه بالغ في التهجُّم على الشيعة، وأتى بكل ما أراد من الكذب والبهتان، ولم نعارضه بالمثل فـ «**إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**»[1] بل لم نتعرض لما عند أهل السنَّة من آراء شاذة في الفروع والأصول، ومانسب أهل الاعتزال إلى الأشاعرة والأشاعرة الى المعتزلة، وأتباع بعض المذاهب إلى غيرهم وما حدث بينهم من المجادلات الكلامية في الكلام، وخلق القرآن، وغيره، وتكفير بعضهم بعضاً إلاّ مادعت الحاجة إليه لتوضيح المراد، وتحقيق البحث والتنقيب فإنّا لانرى فائدة في نقل هذه المناقشات إلاّ ضعف المسلمين وتشويه منظرالدين ونأخذ بما أدَّبنا الله تعالى به فقال سبحانه.

«**ولا تستوي الحسنة ولا السيِّئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم**».[2]

ونقول:

«**ربَّنا آغفرلنا ولإ خواننا الَّذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غِلاًّللذين آمنوا ربَّنا إنَّك رؤفٌ رحيم**».[3]

---

(١) النحل: ١٠٥.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الحشر: ١٠.

كيف تمت فكرة التقريب!؟

قال محب الدين الخطيب في ص٥: «ونضرب لذلك مثلا بمسألة التقريب من أهل السنّة والشيعة... ثم هاجم دارالتقريب بشدّة لأنّ غرضه الأصلي من تأليفه الخطوط العريضة! مهاجمة مبدأ التقريب».

إنّ من سبر أحوال المجتمع الاسلامي في أمسه ويومه، ووقف على الصراع الطائفي الذي ادّى بالمسلمين إلى مثل هذا الضعف والانحلال، والسقوط في أحضان الاستعمار لَوَجَدَ أنّ سبب هذا التنافر والتشاجر جلّه أوكلّه يرجع إلى سياسات غابرة آنتهت، وكانت من نتائجها إبادة أربابها، ولأدرك كما أدرك المصلحون ودعاة الوحدة والتقارب؛ أنّ الإسلام لن تعود إليه دولته الذاهبة إلّا إذاعادت إلى المسلمينَ وَحدتُهم في ظلّ الإسلام.

والواقع: ان من أعظم الأسباب التي ادت الى نشوب هذه المعارك المذهبية إنّما هو جهل كل طائفة بآراء الطائفة الأخرى، وأن التقارب بين المذاهب الإسلامية أمرٌ ممكن إذا ماقُدِّر للمسلمين أن يعيشوا في أفقٍ أعلى وأنزه مما عاشوه في بعض أجيالهم الماضية.

بل ان ذلك ضرورة حتمية لمصيرهم ومستقبلهم، وليس ذلك من المستحيل كمازعمه الخطيب، بل يمكن أن يعيش المسلمون في محبة ووئام كما عاش خيار الصحابة في صدر الإسلام مع اختلافهم في الرأي

والفتيا؛ حيث كانوا إخوة أحبّاء تتميز أخوّتهم بالتفادي والإيثار، ولم يُفْضِ آختلافهم في الرأي إلى جفوة أو بغضاء أوتدابر أو تقاطع أوشحناء.

نعم أدرك المصلحون أن المجتمع الإسلامي في عصرنا هذا لايقبل تكفير المسلم المؤمن بكتاب الله وسنة رسوله (ص) بمجرد الزعوم والافتراءات والخلافات الفرعية[1].

فليست إذاً فكرة التقريب فكرة شيعية أوفكرة سنية فضلاً عن أنّ تكون وليدة فكرة حكومة شيعية أو سنيّة، ولم تؤسّس دار التّقريب للتقريب بين السنيين والشيعيين فقط بل تأسّست للتقريب بين جميع المذاهب الاسلامية، وقد ساهم في تأسيسها من رجال العلم والدين أفذاذ لايشك في صدق نيّاتهم.

واما ما ذكر من إنفاق دولة شيعية على دار التقريب فنحيل الفاحص عن ذلك إلى أقطاب جمعية التقريب السنّيّين وغيرهم.

ولو سُلِّم كون التقريب فكرة شيعية وصدر من مبدأ شيعي فلماذا لايقبله السني؟! ألأنه فكرة شيعية؟ ما الذي يمنع الانسان المسلم من التفكّر والتأمل في آراء الطرفين؟

وماذا يخسر السنيُّ إذا ماعرض عليه الشيعي آراءه وعقائدة لئلايسيء به الظن أو يتهمه بالفسق أو الكفر؟

إنّ الشيعيَّ لايرى بذلك بأسا ولا يحسُّ ضرراً من أن يدرس عقائد أهل السنّة ومذاهبهم فهوحرٌّ في دارسة جميع العقائد وله الخيار في ان يقرأ كتب أهل السنة وصحفهم ومجلاتهم.

---

(١) أنظر في ذلك ما كتبه الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب تحت عنوان: «قصة التقريب» في مجلة «رسالة الإسلام» في العدد الرابع من السنة الحادية عشرة.

فهذه مكتبات قم ، والنجف وطهران وجبل عامل وغيرها من البلاد والعواصم الشيعية، والجامعات العلمية مملوة من مصنّفات إخوانهم أهل السنّة (قديمها وحديثها)، ومن الصحاح، وجوامع الحديث، والتفاسير، والتواريخ يدرسونها في مدارسهم وهي غاصّةٌ بكتب المتأخرين، والمعاصرين أمثال الشيخ محمد عبده، ومحمد فريد وجدي. والعقّاد، ورشيد رضا، وهيكل، والطنطاوي، وأحمد أمين، وسيد قطب، ومحمد قطب، والندوي، والمودودي وعفيف طباره، ومحمد الغزالي، وعبدالرزاق نوفل، والشيخ منصور علي ناصيف مؤلف «التاج الجامع للأصول»، والشيخ المراغي، والشيخ نديم الجسر، وغيرهم.

وهذه محاضرات الشيعة في الفقه يدرسون فيها أقوال جميع أئمة الفقه ورؤساء المذاهب، ويذكرون خلافاتهم، ويبحثون في أدلة الأقوال، ويأخذون بما هوأوفق بالكتاب والسنّة باجتهادهم من غير تعصُّب لرأي.

لقد كانت هذه سيرتهم منذ القديم فراجع كتاب «الخلاف» للشيخ الإمام أبي جعفر محمدبن الحسن الطوسي، و«التذكرة» للعلاّمة الحلّي وغيرهما، لم يمنع أحد من العلماء تلامذته وطلبة العلوم من مراجعة كتب أهل السنة، ولاينكر أحد على أحد شراءه وبيعه كتب أهل السنة في العقائد والحديث والكلام، ولايرون بذلك كله بأسا، بل يستحسنونه ويحثّون عليه.

فرية الخطيب على علماء النجف

حكى الخطيب[1] في ص ٦ نسبة بشعة من بعض كتب الشيعة إلى الخليفة عمر بن الخطاب، ونسب نشر الكتاب الذي ذكرت فيه هذه النسبة إلى علماء النجف ونسب اليهم انهم قالوا فيه عنه كذا...

من أوضح ما يُظهِر سوءَ نية الخطيب، وأنه لم يُرد إلاّ إثارة الفتن والشقاق والخلاف بين المسلمين بافتراءاته التّابية إسناد نشر الكتاب المفترىٰ الى علماء النجف، وحكايته عنهم أنهم قالوا فيه عن عمر بن الخطاب أنه كان...

ولوانه اسند ما افتراه الى ناشر معين وذكر اسم مؤلفه لكان له عذر في نقله. ولكنه اسند نشره كذبا وبهتانا الى علما النجف يعني به جميعهم، وهم من أحوط الناس على رعاية حرمة الإسلام والمسلمين، لا تجري أقلامهم وألسنتهم الطيبة النزيهة إلاّ في الإصلاح بين المسلمين، وتوحيد كلمتهم، ودعوتهم، وإرشادهم الى الخير، ورفض البغضاء والشحناء. فهم في طليعة المصلحين المجاهدين لتحقيق الوحدة الإسلامية، ونبذ مايوجب الخلاف والشقاق.

إذاً فلاشكَّ أنه لم يرد بماحكاه عنهم إلاّ تجريح العواطف، وتهييج الفتنة، وافتراق كلمة المسلمين، أوالنيل من الخليفة بنشر هذه النسبة

---

(١) في الطبعة الأولى من خطوطه وحذفها من الطبعة السادسة.

إليه، وتسجيل نقلها عن علماء النجف وفيهم من رجالات الدين والعلم والمعرفة بتواريخ الاسلام، وتراجم الرجال من آراؤه واقواله في غاية الاعتبار والاعتماد، فكأنه اراد بما حكاه عن علماء النجف تسجيل اصل النسبة الى الخليفة واشاعتها، فان الكتاب الذي ذكر فيه هذه النسبة «ان كان الخطيب صادقا فيما حكاه» ليس معروفا كما انه ليس في متناول ايدي الشيعة ولا أهل السنّة. فنحن لم نقف عليه ولا على اسم كاتبه بعدُ، رغم الفحص الكثير في المكتبات، وبالتالي لم نطلع على مافيه إلّا عن طريق الخطيب في كتابه الذي نشره في ارجاء العالم الاسلامي، وجعله في متناول أيدي أعداء الاسلام، والمتتبّعين لعورات المسلمين. وكان الواجب على حكومات البلاد الاسلامية مؤاخذة الخطيب ومصادرة كتابه المتضمّن لهذه الفرية وحكايته لها في كتاب يقرؤه المسلمون وغيرهم.

وعلى كل حال لاحاجة لنابتبرئة علماء النجف ممّاحكى عنهم فان شأنهم الرفيع أكبر وأنبل من ذكر الأمور الشائكة في كتبهم، فهم معتمدون في مقالاتهم وآرائهم في الفقه والعلوم الاسلامية على أقوى الأدلة العلمية.

هذا، ولو فرضنا ان هناك من ذكر شيئاً من هذا القبيل عن مصدر لايعتمد عليه؛ فهل يجوز نسبته الى الشيعة!؟ فاذا كان ذلك جائزا فيجوز إذن ان تنسب الى السنة عقائد النواصب الذين سبّوا أميرالمؤمنين علي بن ابي طالب(ع) وأحدثوا في الاسلام ماأحدثوا، وقتلوا سبطي رسول الله وريحانتيه (ص).

والعجب أن الخطيب تارة يقول إن التقية عند الشيعة عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر بغيرما يبطنون، وأخرى يقول بتظاهرهم بأمر لوكان التقية من دينهم لكان الواجب عليهم أن يستروه لاأن يذيعوه ويكتبوه، وينشروه حتى يقرأه كل معاضد ومعاند، فتأمّل مافي كلماته

من التهافت والتناقض ومجانبة الحق والانصاف، عصمنا الله تعال منها.

ألأصول قبل الفروع

قال الخطيب في ص ٧: «ومن أتفه وسائل التعارف أن يبدأمنها بالفروع قبل الاصول. فالفقه عندأهل السنة وعند الشيعة لايرجع الى اصول مسلَّمة عند الفريقين، والتشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشيعة، ومالم يحصل التفاهم على هذه الأسس والاصول قبل الاشتغال بفروعها، ومالم يتمَّ التجاوب في ذلك من الباحثين في المعاهد العلمية الدينية للطائفتين؛ فلا فائدة من إضاعة الوقت في الفروع قبل الأصول. ولا نعني بذلك أصول الفقه بل أصول الدين من جذورها الأولى... الخ»

إن كان مراده من الأصول تلك التي قامت عليها دعوة الإسلام فلا اختلاف فيها بين المسلمين من الشيعيين والسنّيّين، لا اختلاف بينهم في أنَّ الله واحدٌ أحدٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، كما لا خلاف في أنه عليم قدير، سميع بصير، له الأسماء الحسنى

ولا في نبوة أنبياء السلف، ولا في نبوة خاتم الأنبياء وسيدهم محمَّدبن عبدالله(ص)، ولا في أنَّ القرآن كتاب الله الذي أنزل إليه ليُخرج

الناس من الظلمات إلى النور، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ولا اختلاف بينهم في المعاد، والثواب، والعقاب، والجنة والنار، وغير ذلك من الأمور الاعتقادية التي يعرفها المسلمون، ويؤمنون بها كلُّهم، كما لاخلاف بينهم في وجوب الصلوة، والصوم، والحج، والزكاة وغيرها من التشريعات الماليّة والبدنية، والاجتماعية والسياسية.

وإن كان مراده من الأصول مسائل أخرمّا آختلف فيه الصحابة اوالتابعون او الفقهاء فليست هذه المسائل من تلك، وإذاكان الخطيب يعرف أصلا من الاصول التي قامت عليها دعوة الاسلام مما يعدُّ الايمان به في عصر النبي (ص) والصحابة من شرايط الاسلام ولا يعرفه المسلمون من أهل السنة أوالشيعة في هذا العصر فنحن نطالبه بإظهاره.

ألأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي

وأمّا ماذكره من أنَّ الفقه عند أهل السنة وعند الشيعة لايرجع إلى أصول مسلَّمة عند الفريقين، وأنَّ التشريع الفقهي عند الأئمة الأربعة من أهل السنة قائم على غير الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهيُّ عند الشيعة. فجوابه: إن الفقه عند جميع المسلمين من الشيعة وأهل السنة يرجع إلى الكتاب والسنَّة، والشيعة من أشدِّ الناس تمسُّكا بهما إن لم نقل إنَّهم أشد الفريقين في ذلك، ومع ذلك كيف تكون الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي عند أهل السنة غير الأسس التي قام عليها عند الشيعة؟ وما الفرق بين السنّي والشيعيّ في هذه الأسس[1]؟ نعم لايجوز عند الشيعة إعمال القياس والاستحسان والرأي في الشريعة كما

---

(١) ونعم ما قال فضيلة العلامة الاستاذ، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فيما كتبه

هوالمعمول به عند بعض رؤساء المذاهب الأربعة؛ لأنَّ القول بجواز العمل بالقياس والاستحسان يفضي عندهم إلى القول بنقص الشريعة التي لم تترك شيئا من الأمورالدينية والدنيوية إلّا وقد بيَّنت حكمه فليس هناك من حاجة الى اعمال القياس لإمكان استخراج أحكام جميع الوقايع والاحداث والقضايا من الكتاب والسنة، وعدم وجود واقعة لايمكن إدراجها تحت الأحكام الكلّية وذلك لم يكن من مختصّات الشيعة.

ولايخفى عليك أنَّ أكثر الخلافات الواقعة في الفقه إنما يرجع إلى اختلاف الاجتهاد في استخراج الحكم من النصوص، وثبوت بعض الأحاديث عند مجتهد، وعدم ثبوته عند مجتهد آخر.

هذا مضافاً إلى أنَّه لا ملزم للمجتهد في ان يتبع الأسس التي قام عليها التشريع الفقهي بحسب مذهب خاص، ولا أن يكون مقيّداً بطريقة إمام خاص كالشافعي، وأبي حنيفة وغيرهما وإلاّ لكان تقليداً لااجتهاداً بل يجب أن يكون المتبع هو الأسس التي قام عليها التشريع الاسلامي «الكتاب والسنَّة» سواء وافق رأي أهل مذهب خاص أم لم يوافق، فإن

جواباً عن مسائل أبي الوفاء الكردستاني، وإليك بعض نصوصه: «على أن تقسيم المذاهب إلى شيعة وسنَّة إنما هو اصطلاح في التسمية. وإلاّ فكل المسلمين أهل السنَّة لأ نهم جميعاً يوجبون الأخذ بالسنَّة. والشيعة كذلك من غيرشك إذ أن الشيعي لايقول: قد يثبت حديث ما عن رسول الله (ص) وأرفض العمل به من حيث هو حديث ثابت عن رسول الله (ص) ولكنه يقول كما يقول جميع المسلمين: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي. وإنما وقع الخلاف أحياناً في ثبوت الحديث عند فريق وعدم ثبوته عند فريق آخر، وتوضيحاً لذلك نذكرما ذكره أخونا العلاّمة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الشيعي الإمامي في العراق في بعض ما كتب: [إن عندنا قضية صغرى وقضية كبرى تؤلّفان قياساً واحداً شكله هكذا: «هذا ثبت عن رسول الله (ص)، وكل ماثبت عن رسول الله(ص) يجب العمل به شرعاً. فالخلاف بين المسلمين ليس في الكبرى ، بل كلُّهم مجمعون عليها إجماعاً لايتطرَّق إليه الشك، وإنما هو في الصغرى»] (انظر: رسالة الاسلام/ العدد ٣، ٤ من السنة الثانية عشرة).

وافق اجتهاد مجتهد في مسألة فتوى الشافعي، وفي مسألةٍ فتوى الحنفيّ وفي مسألة فتوى المالكي، وفي مسألة فتوى مجتهد شيعي فلابأس به إذ إنَّ المحذور مخالفة الأصول التي قام عليها التشريع الإسلامي لا الأسس التي قام عليها اجتهاد مجتهد خاص.

وقد كان المسلمون قبل حصر المذاهب في الاربعة يجتهدون في الكتاب والسنة كما هوسيرة الشيعة الامامية في الاجتهاد الى اليوم.

وأمّا صحة الاجتهاد في فتوى مجتهد خاص فلم يدلَّ عليها دليل، من الكتاب والسنَّة، مضافاً إلى ان ذلك يوجب سدَّ باب الاجتهاد، وسلب الحرية عن المجتهدين، وتوقف الفقه الاسلامي عن مسيره، وحرمان العلماء من التفكير والتأمل في الكتاب والسنة، وأظن أن الأئمة الأربعة أيضاً لم يريدوا أن يكون مسلكهم في الفقه حجة لسائر المجتهدين، وسبباً لإقفال باب الاجتهاد عليهم؛ لتنحصر المذاهب في الأربعة[1]، كما أظن أنَّ المجتهدين لو جعلوا نصب اعينهم التشريع الاسلامي، والكتاب والسنة، ولم يقيدوا انفسهم باتباع مذهب مجتهدمعين- كما كان عليه المسلمون قبل تأسيس هذه المذاهب- لزال كثير من هذه الاختلافات

---

(١) وقد أعلن عن فتح باب الاجتهاد، وعدم لزوم اتّباع إمام مذهب خاص، وعدم حصرها في المذاهب الأربعة، وجواز التعبد بمذهب الامامية فضيلة العلامة شيخ الازهر الشيخ محمود شلتوت في فتواه التاريخية، وفي اجوبة مسائل ابي الوفاء المعتمدي الكردستاني، وفي موارد أخر. فراجع رسالة الإسلام العدد الثالث من السنة الحادية عشرة، والعدد الثالث والرابع من السنة الثانية عشرة، وما ادلى به فضيلته إلى إحدى الصحف المصرية الكبرى من حديث خطير الشأن وقد سَجَّلت بعض فقراته رسالة الاسلام في عددها الاول من السنة الحادية عشرة حيث صرح فيه بجواز التعبد في كثيرمن المسائل بمذهب الشيعة الاماميه خضوعا لقوة الدليل ذكرمنها على سبيل المثال مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد فانه يقع في المذاهب السنية ثلا ثا، ولكنه في مذهب الشيعة يقع واحدة رجعية، ومسألة الطلاق المعلّق فإنه على مذهب الشيعة لايقع به الطّلاق مطلقا.

والمنافرات، و لسارالفقه الاسلامي نحوعالم ارقى، واوفق بالكتاب والسنة وبمزاج العصر، ولمزيد البحث في ذلك مجال آخر.

وراجع أيضا حديثه مع مندوب جريدة اطلاعات الايرانية المسجل في رسالة الاسلام في العدد الثاني من السنة المذكورة، وراجع مقالة المرحوم الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الازهرية في رسالة الاسلام العدد الرابع من السنة المذكورة تحت عنوان «درجة البعث في كلية الشريعة»، وانظر ماكتبه الشيخ محمد ابوزهرة تحت عنوان «الوحدة الإسلامية» في العدد الثالث والرابع من السنة العاشرة.

التقية لا تمنع من التجاوب والتفاهم

قال الخطيب في ص ٧: «وأول موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم، مايسمُّونه «التقية» فانها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغيرما يبطنون» الخ.

بعد تصنيف الشيعة في عقائدهم وفقههم كتباً كثيرة لايمكن إحصاؤها، وبعدما اطلع عليه الخاص والعام من معتقدات الامامية، وبعد عرضهم مذهبهم بما كتب علماؤهم في التفسير والحديث والكلام والفقه على الملأ الإسلامي، وبعد إعلانهم عقائدهم على المنابر، وفي الجرائد والمجلات، وبعد هذه التجاوبات الحاصلة بين الفريقين، وبعد المشافهات التي وقعت بين عظمائهم من العلماء وغيرهم حيث يزور إخواننا من أهل السنة بلاد الشيعة ومعاهد علومهم الدينية،ويشاهدون بأعينهم التزام الشيعة بشعائر الاسلام، ويحضرون مدارسهم ومحاضراتهم في العقائد، وفي الفقه؛ هل يمكن للشيعة التظاهر في عقائدهم بغير ما يبطنون؟ وهل ينتفعون بإخفاء عقائدهم؟

أيزعم الخطيب أن علماء الأزهر، وأقطاب التقريب لم يطّلعوا على ماآطّلع عليه من كتب الشيعة، ولم يدركوا حقيقة مذهب الامامية وآرائهم في التقية وغيرها؟

أليس شيخ الأزهر أبصر من الخطيب ونظرائه بالمذاهب الاسلامية؟ هذا المصلح الذي أدرك بعلمه الواسع، وغيرته على الاسلام

والمسلمين ضرورة الاتحاد والا تفاق، وإمكان التقريب بين الطائفتين فقام لله، وأدّى ما عليه من نصيحة الأمة، ورفع الجفوة، فأيّد الزعماء المصلحين وأسلافه من مشايخ الازهر كالاستاذ الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم باصدار فتواه التاريخية بجواز التعبد بمذهب الامامية، وجواز الانتقال من سائر المذاهب إلى هذا المذهب.

ألايصير أضحوكة للناس من يقول إن الشيعة حيث يقولون بالتقية لايقبل منهم إقرار واعتراف في عقائدهم، وانهم يبطنون خلاف مايظهرون؟

أليست التقية جائزة عندالسنّيين؟

ألم يعمل بالتقية الصحابي الجليل عمّاربن ياسر ونزل فيه: «إلّا من أكرِهَ وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان»؟

قال الواحدي في أسباب النزول: قال ابن عباس: نزلت (يعني قوله تعالى «**من كفر بالله من بعد إيمانه**»[1] الآية) في عماربن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً، وأمه سمية، وصهيباً، وبلالاً، وخبّاباً، وسالماً، فأمّا سميّة فإنها ربطت بين بعيرين، ووجئ قبلها بحربة وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرجال. فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما اول قتيلين قتلا في الاسلام، وأمّا عمّارفإنه أعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرَهاً فأخبر النبيُّ (ص) بأنَّ عمّاراً كفر فقال: كلاّ إنَّ عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، و اخلط الايمان بلحمه ودمه، فأتى عمّار رسولَ الله (ص) وهو يبكي، فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه وقال: إن عادوا لك فعد لَهُمْ بما قلت، فأنزل الله هذه الآية.

ونحن ننقل كلمات بعض أعلام الفريقين في التقية حتى يعلم

---

(١) النحل: ١٠٦.

أنَّ القول بها متَّفق عليه بين فرق المسلمين غير الخوارج فإنَّه يُنقل أنَّهم منعوا التقية مطلقاً.

قال الفخر الرازي[1] في تفسير قوله تعالى: «**لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلاّ أن تتَّقوا منهم تقاة**».[2]

المسألة الرابعة ــ إعلم أن للتقية أحكاما كثيرة ونحن نذكر بعضها:

(الحكم الاول) إن التقية إنَّما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان، وذلك بأن لايظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمعية والموالاة، لكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كل ما يقول فإنَّ التقيـــة تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

(الحكم الثاني للتقية) هو أنه لوأفصح بالايمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل، ودليله ماذكرنا في قصة مسيلمة.

(الحكم الثالث للتقية) أنها إنَّما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة. وقد تجوز أيضاً فيما يتعلق بإظهار الدين فأما مايرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور، وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين؛ فذلك غير جائز ألبتَّة.

(الحكم الرابع) ظاهر الآية يدل على أنَّ التقية إنَّما تحل مع الكفار الغالبين إلاّ أن مذهب الشافعي (رض) أنَّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين؛ حلت التقية محاماة على

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب ٤٣٧/٢ ط عام ١٣٠٨ هـ.

(٢) آل عمران: ٢٨.

النفس.

(الحكم الخامس) التقية جايزة لصون النفس، وهل هي جايزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله(ص) حرمة مال المسلم كحرمة دمه، ولقوله(ص) من قتل دون ماله فهو شهيد، ولأنَّ الحاجة إلى المال شديدة، والماء اذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء، وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هٰهنا والله اعلم.

(الحكم السادس) قال مجاهد هذا الحكم كان ثابتاً في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين فأما بعد قوة دولة الاسلام فلا. روى عوف عن الحسن أنه قال: التقية جايزة للمؤمنين إلى يوم القيٰمة، وهذا القول أولى لأنَّ دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان (انتهى كلامه).

وقال الشيخ الطوسي في التفسير المسمّى بالتبيان في تفسير الآية المذكورة: والتقيَّة عندنا واجبة عندالخوف على النفس،وقد روى رخصة في جواز الافصاح بالحق عندها.

ثم ذكر ما روى الحسن في قصة مسيلمة وقال: فعلى هذا، التقية رخصة، والافصاح بالحق فضيلة، وظاهر أخبارنا يدل على أنها واجبة وخلافها خطأ[1].

وقال الطبرسي في مجمع البيان: وفي هذه الآية دلالة على أنَّ التقيَّة جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والإستصلاح، وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن، ولافيما يعلم

---

(١) كما في بعض كتب أهل السنة أيضا.

أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين. قال المفيد: إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً وتجوز أحيانا من غير وجوب. وتكون في وقت أفضل من تركها، وقديكون تركها أفضل، وإن كان فاعلها معذوراً ومعفوّاً عنه، ومتفضلا عليه بترك اللّوم عليها.

فهذه جملة من كلمات علماء الفريقين مفصحة بجواز التقية في الجملة، معلنة بتقارب آرائهم فيها، وإنَّ الكل معتمدون في القول بها على الكتاب والسنَّة.

إذاً فما ذنب الشيعة في القول بها؟ وما وجه مؤاخذتهم عليها الاّ التعصب والجهل؟ نعم رأى الشيعة جواز التقية، وقد عملوابها في الأجيال التي تغلبت فيهاعلى البلاد الاسلامية أمراء الجور، وحكام جبابرة مثل معاوية، ويزيد، والوليد، والمنصور، والهادي، وهٰرون، وزياد، والحجّاج، والمتوكّل، وغيرهم ممن عذبوا أئمة أهل البيت... أئمة الخير، ومثل العلم والزهد، والدين، وعذبوا أشياعهم شرَّ تعذيب، وقتلوهم أبشع قتلة[1].

وفي العصور التي كان فيها أخذ الحديث من أئمة أهل البيت و عترة النبي(ص)، وممَّن يحبهم أو يفضّلهم على غيرهم من أعظم الجرائم السياسية في العصور التي سلبت عن المسلمين الحرية التي هتف بها الاسلام، وكان سبُّ أمير المؤمنين علي(ع) سنَّةً جارية لايجترئ أحد أن ينكره.

نعم عملوا بالتقية في الأزمنة التي كان فيها من بني فاطمة الزهراء بضعة الرسول(ص) من يُخفي انتسابه إليها و إلى بعلها(ع) ليسلم من القتل والسجن والسوط، وأنواع التعذيب الجارية على المتشرفين

---

(١) راجع مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني المرواني حتى تعرف فظاعة ماجرى على أهل البيت من المصائب والمحن من عبدة الرياسة، وأرباب السياسة.

بهذه النسبة الشريفة الطاهرة الزكية، وفي الأجيال التي لايعدُّ الرجل فيها من أهل السنة إلاّ اذا كان في نفسه من أميرالمؤمنين، وفاطمة، وسائر اهل البيت شيء من البغض أو يتظاهر بذلك، ويترك أحاديث فضائلهم.

هذا الخطيب البغدادي يذكر:[1] ان نصربن على الجهضمي المحدَّث الكبير لمّاحدث بهذا الحديث عن رسول الله(ص): «من أحبَّني وأحبَّ هٰذين (وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام) وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»[2] أمر المتوكل بضربه ألف سوط.

وكلمه جعفربن عبدالواحد، وجعل يقول: هذا الرجل من أهل السنة، ولم يزل به حتى تركه.

فهل تجدفي مثل هذا العصر بُدّاً من التقية؟ فتأمل في مغزى هذه القصة وأمثالها، وقد عمل بالتقية في هذه العصور كثيرمن المحدّثين والعلماء من أهل السنّة أمثال أبي حنيفة، والنسائي، ولم تكن للمحدّثين، وأرباب الصحاح والمسانيد كأحمد وغيره حرية في تخريج ما يخالف سياسة الحكومة، وأهواء الأمراء، ولم يكن للمصنفين في تأليف الكتب ونقل الروايات بُدٌّ من التقية لكونهم تحت اضطهاد شديد ومراقبة عيون الحكومة التي بثّت جواسيسها في البلاد للفحص عمَّن يرى أو يروي لأهل البيت منقبة وفضيلة. ولقد أجاد إمام الحنفية في الأشعار المنسوبة اليه:

حب اليهود لآل موسى ظاهر ... وولاهم لبني أخيه بادي
وإمامهم من نسل هٰرون الأولىٰ ... بهم اقتدوا ولكلِّ قوم هادي

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٨٨ ــ رقم ٧٢٥٥.

(٢) وأخرجه القاضي في الشفاء ٤٢/٢ طبعة عام ١٣٢٤هـ، وابن حجر في تهذيب التهذيب بترجمة نصربن علي.

وكذا النصارى يكرمون محبة ... لمسيحهم نجراً من الأعواد
فتى يوالِ آلَ أحمد مسلم ... قتلوه أو سمّوه بالإلحاد
هذا هو الداء العياء لمثله ... ضلت حلوم حواضرٍ و بوادي
لم يحفظوا حق النبي محمد ... في آله والله بالمرصاد[1]

هكذا كان حال المسلمين وعلمائهم في تلك القرون المظلمة، وأمّا في هذا العصر فالعلماء والباحثون أحرار في إظهار آرائهم حول المباحث الإسلامية، وليس بين الشيعي والسنيِّ ذلك التنافر الذي أوجدته السياسة في تلك العصور، فلاخوف ولا قتل ولا سجن لبيان الرأي، ولا يقاس هذا الزمان بعصر الأمويِّين والعباسيِّين وعصر الحجّاج والمتوكل، ذلك زمان وهذا زمان[2]، ولكن الخطيب لمارأى أنَّ تصريحات علماء الشيعة في رسالة الاسلام، وفي كتبهم في العقايد وغيرها بدأت تدفع عنهم ما افترت عليهم السياسة والتعصب والجهل، وتذهب بالتنافر الذي بقي بين المسلمين أكثر من ١٣ قرناً؛ لم يتمكن من أن يقول شيئاً غير مقاله إن الشيعة يتظاهرون بغيرما يبطنون.

وسواء أراد الخطيب وناشر كتابه أم لم يردا فقد حسن التجاوب

---

(١) راجع الفاتحة السابعة ص ١١٥ من شرح الديوان للعلاّمة الشيخ حسين بن معين الدين الميبدي من اعلام أهل السنة في القرنين التاسع والعاشر.

(٢) نعم: يوجد في بعض الأحيان بعض العصبيّات في بعض الممالك الإسلامية الذي لايملك قطانه من الحرية ماملك غيرهم من المسلمين فيأخذون الإقرار من المتهمين بأنواع التعذيب فراجع كتاب «جزيرة العرب تتهم حكامها» ففي ظروف وأحوال يؤخذ الإقرار من المتهم بالسياط، وتعليق أظافره بالكلبتين في السجن. وكيه بالسفا فيد المحماة بالنار لاعجب أن يحكم القاضي بقتل مسلم شيعي يحترم المسجد الحرام أكثر من احترام القاضي بتهمة إرادته تلويث المسجد «ألعياذ بالله». ولايستغرب فتوى القاضي بقتل شاب مسلم مخلص بما أبدى من اجتهاده في إسلام أبي طالب عمِّ النبي (ص) والذاب عنه وعن الاسلام في كتابه: «شيخ الأبطح».

بين الفريقين والتفاهم في مابينهم إلى حدّ أن صدرت عن شيخ الأزهر فتواه التاريخية بجواز التعبُّد بمذهب الإمامية، كما صدرت عن علماء الشيعة مثل السيد شرف الدين والسيد محسن الأمين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وغيرهم مقالات، وكتب قضت على الافتراءات قضاءً حاسماً[1].

(١) فراجع كتاب «نقض الوشيعة» و «أصل الشيعة وأصولها» و«ألدعوة الإسلامية» و«الفصول المهمَّة في تأليف الامة» و«أجوبة مسائل جارالله» وكتاب «المراجعات» التي جرت بين الامام شرف الدين الموسوي، وبين الاستاذ الأكبر الشيخ سليم البشري شيخ الازهر ــ يوم ذاك ــ وهذا الكتاب كما قال الاستاذ محمود أبوريّه في كتابه: (أضواء على السنَّة المحمدية) ص ٣٤٦: «نفيس جدا يجب على كل مسلم أن يقرأه لأنه حمل من البحوث الدينية والفوايد العلمية مالم يحمله كتاب آخر».

تأويل آيات الكتاب، وتفسيرها عند الشيعة

قال الخطيب في ص٨: «وحتى القرآن الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة فان أصول الدين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته وصرف معانيها الى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي (ص)، وإلى غيرما فهمه منها أئمة الاسلام عن الجيل الذي نزل عليه القرآن».

عقائد الشيعة مأخوذة من الكتاب والسنة القطعية، ومن الأدلة العقلية القاطعة، وتمام الملاك، والمناط الفذّ والمرجع الوحيد في تمييز العقيدة الصحيحة عن السقيمة عندهم هوالعقل وظواهر القرآن والسنّة. فالشيعي لايعتقد بما خالف ظواهر الكتاب أوالسنّة. نعم إذا صادم الظاهر ماقام عليه البرهان القطعي العقلي، أوصادم مادلّ عليه نصٌّ صريح من الكتاب أوالسنّة لايعتمدون عليه كما برهنواعليه في الأصول، ويؤولون هذا الظاهر بتأويل صحيح مقبول لدى العقل والشرع، ومع ذلك لايستندون إلى هذا التأويل، ولايؤسّسون الأمور الاعتقادية بل والمسائل العملية الفرعية على تلك التأويلات.

وعند الشيعة روايات بطرقهم عن أئمة أهل البيت(ع) أسناد بعضها صحيحة، وبعضها سقيمة في تفسير الآيات، وبيان مصاديقها، وشأن نزولها وتقييد بعض مطلقاتها، وتخصيص بعض عموماتها، وبيان

خاصّها وعامّها، وغير ذلك، وأفرد بعضهم في هذا القسم من التفسير، وجمع فيه هذه الروايات وليس كلها مقبولة عند الشيعة، وهو بينهم كتفسير السيوطي المسمّى «بالدر المنثور في التفسير بالمأثور» عند الجمهور.

والعجب من الخطيب أنه يرمي الشيعة بتأويل الآيات، ويغمض النظر عن تأويلات أكابر أهل السنّة، وأقطابهم من المتصوّفة وغيرهم مما لا يقبله الطبع السليم والذهن المستقيم، ومما تضحك به الثكلى، فاقرأ يا أخي قليلا من هذه التأويلات الخيالية الباطلة في تفسير النيشابوري «غرائب القرآن». وراجع التفاسير المشهورة المعتمدة عند الشيعة كالتبيان للشيخ الطوسي، ومجمع البيان لأمين الاسلام الطبرسي، حتى تعرف نزاهة الشيعة عن هذه التأويلات الوهميّة الشعرية وعدم اعتدادهم بها.

صيانة الكتاب من التحريف

قال الخطيب في ص٨: «بل إن أحد كبار علماء النجف وهو الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي الذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠ هـ أنهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف في ايوان حجرة بانو العظمى بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو ايوان الحجرة القبليّة عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي من باب القبلة في النجف الأشرف بأقدس البقاع عندهم. هذا العالم النجفي ألَّف في سنة ١٢٩١ وهو في النجف عند القبر المنسوب[1] إلى الإمام عليَّ كتاباً سمّاه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب» جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم في مختلف العصور بأنَّ القرآن قد زيد فيه، ونقص منه، وقد طبع كتاب الطبرسيِّ هذا في إيران سنة ١٢٩٨، وعند طبعه قامت حوله ضجة لأنَّهم كانوا يريدون أن يبقى

---

(١) راجع ما كتبنا في دفع هذا التشكيك الخبيث من الحقايق التاريخية تحت عنوان «المشهد العلوي المقدس».

التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصّتهم ومتفرقاً في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وأن لايجمع ذلك في كتاب واحد تطبع منه ألوف من النسخ، ويطّلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه، وألّف كتاباً آخر سماه «ردّ بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، وقد كتب هذا الدفاع في آخر حياته قبل موته بنحوسنتين، وقد كافؤوه على هذا المجهود في إثبات أنَّ القرآن محرفٌ بأن دفنون في ذلك المكان الممتازمن بناء المشهد العلوي في النجف». الخ.

القرآن معجزة نبينا محمد(ص) الخالدة، وهو الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، قد عجز الفصحاء عن الإ تيان بمثله، وبمثل سورة وآية منه، وحيَّر عقول البلغاء، وفطاحل الأدباء، بيَّن الله تعالى فيه أرقى المباني، وأسمى المبادي، وأنزله على نبيّه دليلاً على رسالته، ونوراً للناس، وشفاءً لمافي الصدور،وهدىً ورحمة للمؤمنين.

قال سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): «واعلموا أنَّ هذا القرآن[٢] هوالناصح الذي لايغش، والهادي الذي لايضل، والمحدِّث الذي لايكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلّاقام عنه بزيادة أونقصان زيادة

---

(١) هذا القرآن الذي يشيرإليه اميرالمؤمنين والأئمة من ولده (ع) ويحثون شيعتهم على الرجوع إليه والاستشفاء به؛ هوما بين الدفتين، وهو الكتاب المجيد الذي يعرفه المسلمون ويتلونه جميعا في الليل والنهار.

في هدى، ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنًى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم»[1].

ولا ينحصر إعجاز القرآن في كونه في الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة، وسلاسة التركيب، والتأليف العجيب، والأسلوب البكر فحسب.

بل هو معجزة أيضاً لأنه حوى أصول الدِّين والدُّنيا، وسعادة النشأتين.

ومعجزة لأنه أنبأ بأخبار حوادث كثيرة تحقَّقت بعده.

كما أنه معجزة من وجهة التاريخ وبما فيه من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة التي لم يكن لها تاريخ في عصر الرسول (ص) مما أثبتت الكشوف الأثرية صحتها.

ومعجزة لأنَّ فيه أصول علم الحياة، والصحة، والوراثة، وماوراء الطبيعة. والاقتصاد، والهندسة، والزراعة.

ومعجزة من وجهة الاحتجاج.

وإعجاز من وجهة الأخلاق. وو و.

وقدمر عليه اربعة عشرقرناً ولم يقدرفي طول هذه القرون أحد من البلغاء أن يأتي بمثله، ولن يقدر على ذلك أحد في القرون الآتية والأعصار المستقبلة، ويظهر كل يوم صدق ما أخبر الله تعالى به «**فان لم تفعلوا ولن تفعلوا**».

هذا هوالقرآن، وهو روح الأمة الإسلامية، وحياتها، ووجودها، وقوامها، ولولا القرآن لماكان لناكيان.

---

(١) نهج البلاغة ج ٢ الخطبة ١٧١. ط. مطبعة الاستقامة بمصر.

هذا القرآن هو كلُّ ما بين الدفَّتين، وليس فيه شيء من كلام البشر، و كل سورة من سوره، وكل آية من آياته متواتر مقطوع به، ولاريب فيه، دلَّ عليه الضرورة والعقل والنقل القطعي المتواتر.

هذا هوالقرآن عند الشيعة الإمامية ليس الى القول فيه بالنقيصة فضلا عن الزيادة سبيل، ولا يرتاب في ذلك إلّا الجاهل أوالمبتلى بالشذوذ.

وإليك بعض تصريحات أعلام الإمامية، ورجالاتهم في العلم والدين الذين لايجترئ شيعيٌّ على رد آرائهم سيّما في أصول الدين، وفي أمثال هذا المسائل؛ لجلالتهم في العلم والتتبع، وكثرة إحاطتهم، وقوة حذاقتهم في الفنون الاسلامية.

قال شيخ المحدثين محمدبن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الملقَّب بالصدوق (ت ٣٨١ هـ) ومؤلف كتاب من لايحضره الفقيه، وعشرات من الكتب القيِّمة في رسالته المعروفة بـ «اعتقادات الصدوق»: «اعتقادنا في القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيِّه محمَّد(ص) هوما بين الدفَّتين، وهوما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك» ــ إلى أن قال «ومن نسب إلينا أنّا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»، ثم شرع في إقامة البرهان على ذلك، فراجع تمام كلامه.

وقال الشيخ المفيد: «واما النقصان! وقد قال جماعة من أهل الإمامة إنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولامن سورة، ولكن حذف ماكان ثبتاً في مصحف أميرالمؤمنين(ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلا، وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقديسمَّى تأويل القرآن قرآناً قال تعالى: **«ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربِّ زدني علماً»** فسمَّى تأويل القرآن قرآنا وهذا ماليس فيه بين أهل التفسير اختلاف.

وعندي أنَّ هذا القول أشبه بمقال من ادَّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله اسأل توفيقه للصواب.

وأمّا الزيادة فيه فمقطوع بفسادها»[1]

وقال الشيخ الجليل أبوعلي أمين الإسلام الطبرسي أحد أعلام الشيعة في علوم القرآن؛ في تفسيره القيِّم المسمَّى بمجمع البيان:[2]

«فأمّا الزيادة فيه فمجمع على بُطلانها، وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقومٌ من حشوية أهل السنَّة أنَّ في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدَّس الله روحه، واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب مسائل الطرابلسيات، وذكر في مواضع: أنَّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإنَّ العناية اشتدت، والدواعيَ توفَّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم تبلغه فيما ذكرناه لأنَّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كلَّ شيء اختلف فيه من إعرابه، وقراءته وحروفه، وآياته. فكيف يجوز أن يكون مغيَّراً أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد».

قال: «وقال أيضاً: إن العلم بتفصيل القرآن، وأبعاضه في صحة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه، والمزني فإنَّ أهل العناية بهذا الشان يعلمون من جملتها مايعلمون من تفصيلها حتى لو أنَّ مُدخِلا أدخل باباً من

---

(١) أوائل المقالات للمفيد ص ٥٥.

(٢) راجع مقدمة تفسير مجمع البيان، الفن الخامس منها.

النحو في كتاب سيبويه أو من غيره في كتاب المزني لعرف ومُيِّز وعلم أنه ملحق ليس من أصل الكتاب، ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه؛ أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه، ودواوين الشعراء».

قال: «وذكر أيضا: أن القرآن كان على عهد رسول الله(ص) مجموعا مؤلفاً على ماهوعليه الآن، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عيِّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبيِّ(ص)، ويُتلى عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود، وأبيِّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيِّ(ص) عدة ختمات، كل ذلك يدلُّ بأدنى تأمُّل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور، ولا مبثوث، وذكر أنَّ من خالف ذلك من الإمامية، والحشوية من أهل السنة لايعتد بخلافهم فإنَّ الخلاف في ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث، نقلوا اخباراً ضعيفة ظنواصحَّتها لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على بصحَّته».

وقال شيخ الطائفة أبوجعفر محمدبن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) ومؤلف كتاب: ألخلاف، والمبسوطِ والتهذيب، والاستبصار وغيرها في تفسيره[1].

«اما الكلام في زيادته ونقصانه فممّا لايليق به أيضاً، لأنَّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى ره، وهو الظاهر في الروايات «الى ان قال» وروايانا متناصرة

---

(١) التبيان ١/٣، ط النجف الأشرف.

بالحث على قراءته، والتمسك بما فيه، وردّ ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه، وعرضها عليه فماوافقه عمل به، وما خالفه تجنب، ولم يتلفت اليه وقد روي عن النبي(ص) رواية لايدفعها أحدأنه قال: (إنّي مخلّفٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهمالن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يراد عليَّ الحوض) وهذا يدل على أنه موجود في كل عصرلأنه لايجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدرعلى التمسك به، كما أن أهل البيت، ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، واذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه، وترك ماسواه».

وقال العالم الجليل الشيخ جعفر كاشف الغطاء في كتابه المسمى بـ «كشف الغطاء»:

«والسابع في زيادته» لازيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة، وغيرها لا كلمة، ولا حرف، وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين واخبار النبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام. وقال:

«الثامن في نقصه» لاريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دلَّ عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، وماورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها «الى آخر كلامه المتين».

وقال الشيخ الأكبر العالم الشهير نابغة الزمان الشيخ محمد بهاء الدين العاملي على ما حكي عنه في آلاء الرحمٰن ص ٢٦:

«الصحيح أن القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زيادة كان أونقصانا، ويدل عليه قوله تعالى: «وإنّا له لحافظون»، وقال في كتاب الزبدة: ألقرآن متواتر لتوافر الدواعي على نقله».

وممن صنّف في نفي النقيصة بعد الإجماع على عدم الزيادة؛ الشيخ العلامة الجليل علي بن عبدالعالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني.

وقال العلامة الكبير المولى محمد ابراهيم الكلباسي في كتاب «الاشارات» بعد استقراء كلمات علماء الاسلام بأصنافهم في كتبهم الكلامية والأصولية، والتفسيرية، وما اشتمل على الخطابات والقصص، وما يتعلق بعلم القرآن بأصنافه، ومنه علم القراءة والتواريخ وغيرها مع كمال اهتمامهم في ضبط ما يتعلق بكل واحد منها؛ يتبين أنَّ النقصان في الكتاب ممّا لاأصل له، وإلّا لاشتهر وتواتر، نظراً إلى العادة في الحوادث العظيمة، وهذا منها بل من أعظمها.

وقال العلامة المغفورله المجاهد المعاصر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في «اصل الشيعة وأصولها»: إن الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدّي، وأنه لانقص ولاتحريف ولازيادة فيه، وعلى هذا إجماعهم.

وممن فنَّدالقول بالتحريف زيادةً ونقيصة، وردَّ كلَّ شبهة في ذلك بأتمِّ بيان وأوضح برهان؛ العالم الجليل المفسِّر المتكلِّم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي صاحب الكتب الممتعة، والتصانيف القيِّمة، في مقدمة تفسيره المعروف والمسمّى بـ«آلاء الرحمن» فإنه قدأدّى حقَّ المقام، و دافع عن قداسة القرآن، وأظهر الحق وأبطل الباطل، فراجعه حتى تعرف قيمة خدمات الشيعة للاسلام والقرآن، وغيرتهم على الدين والكتاب.

وقال الشريف المصلح السيد عبدالحسين شرف الدين في فصوله:[1]

---

(١) الفصول المهمة في تأليف الأمة /١٦٣.

«والقرآن الحكيم لايأتيه الباطل من بين يديه، ولامن خلفه، إنّما هوما بين الدفّتين، وهوما في أيدي الناس لايزيد حرفاً ولاينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولاحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كلّ جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي والنُبوّة، وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس، ومؤلّفا على ما هوعليه الآن، وكان جبرئيل (ع) يعارض رسول الله(ص) مراراً عديدة، وهذا كلُّه من الأمور المعلومة لدى المحققين من علماء الإمامية، ولاعبرة بالحشوية فإنهم لايفقهون».

وقال العالم المتتبع، والرجالي الكبير السيد محسن الأمين الحسيني العاملي في الأعيان:[1]

«لا يقول أحد من الإمامية لاقديما ولاحديثاً؛ ان القرآن مزيد فيه قليل أوكثير فضلا عن كلهم، بل كلهم متفقون على عدم الزيادة، ومن يعتد بقوله من محققيهم متفقون على انه لم ينقص منه».

وقال العالم المفسر الشيخ محمد النهاوندي في مقدمة تفسيره «نفحات الرحمن»:

«قدثبت أن القرآن كان مجموعاً في زمان النبي (ص)وكانشدّة اهتمام المسلمين في حفظ ذلك المجموع بعدالنبي(ص) وفي زمان احتمل بعضٌ وقوع التحريف فيه كاهتمامهم في حفظ أنفسهم وأعراضهم (الى آخر كلامه التام)».

وممن صنّف من الامامية في ردِّشبهة التحريف؛ العالم الرئيس السيد محمد حسين الشهرستاني، فإنه صنف في ذلك كتاباً أسماه «رسالة في حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف» وقال فيه على ماحكي عنه بعد ردّ ما في فصل الخطاب من الشبهات:

---

(١) أعيان الشيعة ١٠٨/١.

«لاشبهة في أن هذا القرآن الموجودبين الدفتين منزل على رسول الله(ص) للإعجاز للتسالم على نفي زيادة الآية والسورة فيه والشك إنّما هو في نزول ماعداه إعجازاً، والأصل عدمه».

وممّن أدّى حق الكلام في بطلان القول بالتحريف العالم الجليل والمرجع الديني السيد أبوالقاسم الخوئي في تفسيره المسمّى بـ «البيان»[1] فقد أثبت بما لامزيد عليه أن مسألة نقصان الكتاب ممّا لا أصل له، وقال في آخر كلامه:

«وقد تبيَّن للقارئ ممّا ذكرناه أنَّ حديث تحريف القرآن حديث خيالي لا يقول به إلاّمن ضعف عقله، أومن لم يتأمَّل في أطرافه حقَّ التأمل، أومن ألجأه اليه حب القول به، والحب يُعمي، ويُصِمُّ. أمّا العاقل المنصف المتدبِّر فلايشك في بطلانه». انتهى كلامه.

ولنعم ما أفاده العلاّمة الفقية، والمرجع الديني السيد محمدرضا الگلپايگانى بعد التصريح بأنَّ مابين الدفَّتين هو القرآن المجيد، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه، والمجموع المرتب في عصر الرسالة بأمر الرسول (ص) بلا تحريف ولا تغيير، ولا زيادة، ولا نقصان، وإقامة البرهان عليه:

«إنَّ احتمال التغيير زيادة ونقيصة في القرآن كاحتمال تغيير المرسل به، واحتمال كون القبلة غير الكعبة في غاية السقوط لايقبله العقل وهو مستقل بامتناعه عادة».

ولو رمنا استقصاء كلمات علمائنا الأعاظم في كل جيل لطال بنا الكلام، ولايسع ذلك كتاب كبير ضخم، ويكفي في ذلك تصريح أستاذنا الإمام راوية أحاديث أهل البيت، وحامل علومهم، نابغة العصر،

---

(١) راجع ما أفاده في ص ١٩٥ ــ ٢٣٦ ط. ٨/ طبع دارالزهراء عام ١٤٠١هـ .

ومجدّد العلم والمذهب في القرن الرابع عشر السيد الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي حشره الله مع جدّه النبي الكريم(ص) فإنهَّ أفاد في بعض أبحاثه في الاصول ــ كما كتبناعنه في تقريرات بحثه ــ بطلان القول بالتحريف، وقداسة القرآن عن وقوع الزيادة فيه، وأن الضروة قائمة على خلافه، وضعَّف أخبار النقيصة غاية التضعيف سنداً ودلالة وقال:ــ

«ان بعض هذه الروايات مشتمل على مايخالف القطع والضرورة، وما يخالف مصلحة النبوة». وقال في آخر كلامه الشريف:ــ

«ثم العجب كل العجب من قوم يزعمون أن الأخبار محفوظة في الألسن والكتب في مدة تزيد على ألف وثلاث مئة، وأنه لوحدث فيها نقص لظهر، ومع ذلك يحتملون تطرق النقيصة إلىٰ القرآن المجيد.

الواجب على المسلم

إن الواجب يملي على كل مسلم غيور على الدين والقرآن أن يدفع عن الكتاب الكريم هذه الشبهة، وأن يحتاط في نسبة القول بالتحريف أوالتشكيك في القرآن إلى أحد من المسلمين، ويعلم أنه مسؤول عندالله تعالى عمّا يقول ويكتب.

وكان الأولى بالخطيب أن يتمسك بأقوال العلماء ذوي الاختصاص والمهارة من الشيعيِّين والسنِّيِّين في صيانة القرآن من النقصان والزيادة، لا أن يركض وراء القول بالتحريف، ويسجل ذلك على طائفة كبيرة من المسلمين.

وقد أراد الخطيب بذلك تشويه سمعة التشيُّع، ولم يعلم أنه شوَّه سمعة الدين، وضرب الكتاب المبين، وخدم أعداءالدين، وفتح السبل أمام شبهات المبشِّرين، وقد نسي هذاالكاتب أنه يهدم بهذه الفرية

على الشيعة أساس الإسلام، والشيعة الذين هم أشدُّ الناس غيرةً على كتاب الله تعالى وأدفعهم عن جلالة القرآن وقداسته؛ ينكرون القول بالزيادة والنقيصة اشد الانكار، وكتبهم مشحونة بالدلائل العقلية والنقلية على تنزُّه القرآن عن الريب والشبهات.

فاقرأ أيُّها الخطيب كتبهم في التفسير والعقائد والحديث، واقرأ فيها الأحاديث المتواترة القطعية الدالة على أنَّ القرآن هو هذا الذي في أيدي المسلمين، وانظر إلى الأخبار المأثورة عن طرقهم في ثواب قراءة القرآن وقراءة سوره وآياته وكلماته، وفي وجوب الرجوع إليه، والتمسُّك به يقرأون القرآن في صلاتهم، ويتلونه في ليلهم ونهارهم، يعظمونه كمال التعظيم، ليس عندهم كتاب أعظم من القرآن، فارجع إلى كتبهم في الفقه الحديث، والدعاء إن كنت أهلا للإنصاف.

ولايسوؤنا والله نسبة هذه الفرية إلى الشيعة كما يسوؤنا مايمس منها كرامة الدين الحنيف والقرآن المجيد.

أيُّها الخطيب لو قال لك بعض المبشرين أوغيرهم إن من مذهب الشيعة ــ وهم طائفة كبيرة من المسلمين ــ وقوع التحريف في الكتاب كما تُسجِّل عليهم، وفيهم من العلماء والمحققين، وأساتذة فن التاريخ والحديث والعلوم الاسلامية رجال لايستهان بشأنهم وجلالتهم، وهم يسندون عقائدهم وعلومهم إلى أهل بيت النبي (ص) أعدال الكتاب بدلالة حديث الثقلين فما تقول في جوابه؟.

أتقول إنَّهم كفّار؟

أم تقول إنَّهم يسبُّون الصحابة؟

أم تقول إنهم يقرؤون دعاء صنمي قريش؟

قل ما تقول في جوابه أيُّها الكاتب الإسلامي؟

لو تعلم أنك وامثالك كم توقعون بالاسلام والمسلمين من

الضرر والضعف والفشل بهذيانكم وافتراءاتكم على الشيعة؛ لتركتم هذه المخاصمات الباردة، والمناقشات التي لاطائل تحتها، ولمحوتم من كتبكم هذه المهازل والمخاريق.

وكم من فرق بين الخطيب وبين العلاّمة الشيخ رحمة الله الهندي! فالخطيب يسند إلى الشيعة فريةً يتبرّأ منها كل شيعي، ولا يلتفت إلى أن تلك النسبة إنّما تجعل القرآن معرضا للشك، والعلامة الشيخ رحمة الله ــ الذي يعدُّ من أكبر علماء أهل السنة، ومن أحوطهم على الإسلام ــ أدرك أن هذه النسبة هي منتهى أمل المبشِّرين وغاية مناهم، وأن الواجب على السنّيِّ كالشيعيِّ أن يدفعها عن الشيعة، فأثبت في كتابه «إظهار الحق» الذي هو من نفائس كتب المسلمين في الردِّ على المسيحيِّين، بل قيل لم يكتب مثله في ردِّ المبشِّرين؛ بطلان هذه النسبة، وأدّى ماعليه من إظهار الحق وازهاق الباطل واماتة الشبهة، وقد دفع عن حريم القرآن هٰذه التهمة حيث قال في الفصل الرابع من الجزء الثاني ص ٨٩:

«القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم».

ثم نقل كلمات جماعة من أعلام الشيعة كالصدوق، والسيد المرتضى، والطبرسي، والقاضي نورالله، والمولى صالح القزويني شارح الكافي، والشيخ محمد الحرالعاملي، وقال:

«فظهر أنَّ المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أنَّ القرآن الذي أنزله الله على نبيه هومابين الدفتين وهو المتداول في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، وأنه كان مجموعا مؤلَّفاً في عهد رسول الله(ص)، وحفظه، ونقله ألوف من الصحابة كعبد الله بن مسعود،

وأبيٍّ بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبيٍّ عدّة ختمات، ويظهر القرآن، ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضي الله عنه (إلى أن قال) وقد قال الله تعال: **إنا نحن نزلنا الذكر وانالـه لحافظون** (قال) في تفسير «الصراط المستقيم» الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة أي إنّا لحافظون من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان (انتهى كلامه).

فصل الخطاب في فصل الخطاب

قبل إبداء الرأي حول كتاب فصل الخطاب نلفت نظر من يحتجُّ على الشيعة بهذا الكتاب، ويزعم تفرُّدهم بهذا التأليف؛ إلى كتاب اسمه «الفرقان» جمع فيه مؤلِّفه ــ وهو من إخواننا أهل السنة ــ من أمثال ما في فصل الخطاب من الأحاديث الضعيفة المروية عن طرق أهل السنة، وإليك نص الاستاذ الشيخ محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الازهرية قال:

وأمّا أنَّ الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنّماهي روايات رويت في كتبهم كماروي مثلها في كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين قد زيَّفوها وبيَّنوا بطلانها، وليس في الشيعة الإمامية أوالزيدية من يعتقد ذلك، كما أنه ليس في السنّة من يعتقده.

ويستطيع من شاء أن يرجع الى مثل كتاب الإتقان للسيوطي[1] ليرى فيه أمثال هذه الروايات التي نضرب عنها صفحاً. وقد ألَّف أحد المصريِّين في سنة ١٤٩٨ كتاباً اسمه «ألفرقان» حشاه بكثير من أمثال هذه الروايات السقيمة المدخولة المرفوضة، ناقلاً لها عن الكتب المصادرعند أهل السنة، وقد طلب الأزهر من الحكومة مصادرة هذا الكتاب بعد أن بيَّن بالدليل والبحث العلمي أوجه البطلان والفساد فيه، فاستجابت الحكومة لهذا الطلب، وصادرت الكتاب فرفع صاحبه دعوى

---

(١) ٢/٣٠.

يطلب فيها تعويضاً فحكم القضاء الاداري في مجلس الدولة برفضها.

أفيقال إن أهل السنّة ينكرون قداسة القرآن؟ او يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان؟ اولكتاب ألّفه فلان؟ فكذلك الشيعة الامامية، إنّما هي روايات في بعض كتبهم كالروايات التي في بعض كتبنا، وفي ذلك يقول الامام العلامة السعيد أبوالفضل بن الحسن الطبرسي من كبار علماء الامامية في القرن السادس الهجري في كتاب «مجمع البيان لعلوم القرآن»[1] ثم نقل كلام صاحب المجمع الذي سبق ذكره.

وبعد هذا كله نقول: لم نر في علماء الامامية ومشايخهم من يعتني بكتاب «فصل الخطاب» ويستند اليه، وليس بينهم من يعظّم المحدّث النوري لهذا التأليف، ولولم يصنف هذا الكتاب لكان تقدير العلماء لجهوده في تأليف غيره من المآثر الرائعة كالمستدرك وكشف الاستار وغيرهما أكثر من ذلك بكثير، ولنال من التقدير والإكبار أكثر ممّا حازه من العلماء وأهل الفضل، ودفنه في المكان المشرّف ليس لأجل تأليفه هذا الكتاب إنما المقام مقدس يدفن فيه من حالفه التوفيق، وقد دفن فيه من العلماء وغيرهم من ذوي الثروة والسلطة والعوام جمع كثير.

وليست جلالة قدر الرجل في العلم والتتبع والاحاطة بالحديث مما يقبل الانكار، ولكن خطأه بسبب تأليف هذا الكتاب اصبح هدفاً لسهام التوبيخ والاعتراض، فنبذ كتابه هذا، وقوبل بالطعن والإنكار الشديد[2]، بل صنف بعضهم في رده، وفي اثبات عدم التحريف كتباً

---

(١) أنظر رسالة الاسلام العدد الرابع من السنة الحادية عشرة ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

(٢) قال الشيخ الجليل والعلامة الخبير الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي في مقدمة

مفردة كالعلامة الشهير السيد محمد حسين الشهرستاني مؤلف «رسالة حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف»، والعالم المحقق الشيخ محمود الطهراني حيث ردَّه بكتاب «كشف الارتياب»[1].

ومع ذلك كله نقول: من أمعن النظر في كتاب «فصل الخطاب» رأى ان المحدّث النوري لم ينكر ماقام عليه الاجماع واتفاق المسلمين من عدم الزيادة، ولم يقل إنَّ القرآن قدزيدفيه، بل قدصرح في ص ٢٣ بامتناع زيادة السورة أوتبديلها فقال: همامنتفيان بالإجماع، وليس في الأخبار مايدل على وقوعها بل فيها ما ينفيها كما يأتي. وقد اعترف المحدث المذكور بخطئه في تسمية هذا الكتاب كما حكى عنه تلميذه الشهير وخريج مدرسته العالم الثقة الثبت الشيخ آقا بزرگ الطهراني مؤلف «الذريعة» و«اعلام الشيعة» وغيرهما من الكتب القيِّمة فقال في «ذيل ص ٥٥٠ من الجزء الاول من القسم الثاني من كتابه أعلام الشيعة»:

«ذكرنا في حرف الفاء من «الذريعة» عندذكرنا لهذا الكتاب مرام شيخنا النوزي في تأليفه فصل الخطاب، وذلك ما شافهنا به، وسمعناه من لسانه في أواخر أيامه فإنه كان يقول: أخطأت في تسمية الكتاب، وكان الأجدر أن يسمّى بفصل الخطاب في عدم تحريف الكتاب لأني أثبتُّ فيه أن كتاب الاسلام «القرآن الشريف» الموجود بين الدفَّتين المنتشر في أقطار العالم وحي إلٰهي بجميع سوره

تفسيره «آلاء الرحمن» ص ٢٥: وان صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين في التتبُّع للشواذ.

(١) هذا غير كتاب «كشف الارتياب في اتباع محمدبن عبدالوهاب» للسيد محسن الأمين (تغمَّده الله برحمته الواسعة) فتأمّل (المصحح).

وآياته وجمله، ولم يطرأعليه تغيير أوتبديل، ولازيادة ولانقصان من لدن جمعه حتى اليوم، وقد وصل إلينا بمجموعه هذا بالتواتر القطعي، ولاشك لأحد من الإمامية فيه. فبعد ذا أمن الإنصاف أن يقاس الموصوف بهذه الأوصاف بالعهدين أو الأناجيل المعلومة أحوالها لدى كل خبير، كما أني اهملت التصريح بمرامي في مواضع متعددة من الكتاب حتى لا تسدَّد نحوي سهام العتاب والملامة، بل صرَّحت غفلة بخلافه، وإنَّما اكتفيت بالتلميح إلى مرامي في ص(٢٢) إذ المهمُّ حصول اليقين بعدم وجود بقية للمجموع بين الدفَّتين كما نقلنا هذا العنوان عن الشيخ المفيد في ص ٢٦ (إلى ان قال) هذا ماسمعناه من قول شيخنا نفسه، وأمّا عمله فقد رأيناه وهولايقيم لماورد في مضامين الأخباروزناً، بل يراها أخبار آحادٍ لا تثبت بها القرآنية، بل تضرب بخصوصياتها عرض الجدار سيرة السلف الصالح من أكابر الامامية كالسيد المرتضى والشيخ الطوسي وأمين الاسلام الطبرسي وغيرهم، ولم يكن ــ العياذ بالله ــ يلصق شيئاً منها بكرامة القرآن، وإن ألصَقَ ذلك بكرامة شيخنا قدس سرُّه من لم يطَّلع على مرامه، وقد كان باعتراف جميع معاصريه رجاليَّ عصره، والوحيد في فنّه، ولم يكن جاهلاً بأحوال تلك الأحاديث.

ولمزيد التوضيح ننقل كلاماً آخرمن الشيخ المذكورفي ذيل ص ٣١١ من الجزء الثالث من الذريعة قال: إن من الضروريات الأولية عند الأمم كافة أنَّ الكتاب المقدَّس في الاسلام هوالمسمَّى بالقرآن الشريف، وأنه ليس للمسلمين كتابٌ مقدَّس إلٰهيٌّ سواه. وهو هذا الموجود بين الدفتين المنتشر مطبوعه في الآفاق، كما أن من الضروريات الدينية عند المعتنقين للاسلام أنَّ جميع مايوجد فيما بين هاتين الدفَّتين من السور والآيات وأجزائها كلها وحي إلٰهيٌّ نزل به

الروح الأمين من عند رب العالمين على قلب سيد المرسلين (ص) وقد بلغ بالتواتر عنه إلى أفراد المسلمين، وأنه ليس بين هاتين الدفَّتين شيء غير الوحي الإلٰهي لا سورة ولا آية، ولا جملة ذات إعجاز، وبذلك صار مقدَّسا محترَماً بجميع أجزائه، وموضوعاً كذلك للأحكام من تحريم مسّ كتابته بغير طهارة، وتحريم تنجيسه، ووجوب إزالة النجاسة عنه، وغيرها من الأحكام الثابتة ... (إلى أن قال):

وقال كتبنا في إثبات تنزيه القرآن عمّا ألصقة الحشوية بكرامته واعتقدت فيه من التحريف مؤلفا سمَّيناه بـ «ألنقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف» وأثبتنا فيه أنَّ هذا القرآن المجيد الذي هو بأيدينا ليس موضوعاً لأيِّ خلاف يذكر، ولا سيما البحث المشهور (المعنون مسامحةً) بـ التحريف» الخ.

وقال نحواً من هذا الكلام أيضاً في الجزء العاشر من الذريعة ص ٧٨ ــ ٧٩ من جملته:

«إن كتاب الاسلام المشهور في الآفاق هو الموسوم بالقرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، وليس هو إلّا هذا الموجود بين الدفَّتين، ألواصل إلينا بالتواتر عن النبي (ص)، وأثبتنا أنه بجميع سوره وآياته وجملا ته وحي إلٰهيٌّ (إلى أن قال) فهو منزَّه عن كل مايشينه من التغيير والتبديل، والتصحيف والتحريف، وغيرها باتفاق جميع المسلمين، وليس لأحدٍ منهم خلاف أو شبهة أو اعتراض فيه، واختلاف القراءات إنَّما هو اختلاف في لهجات الطوائف» (الى آخر ما افاده).

هذا كتاب فصل الخطاب، وهذا قدره عند علماء الشيعة، وهذا كلام مؤلفه فيه، وهذا ما يقوله عنه أكبر تلامذة مؤلفه، وهذه عقيدة مؤلفه، وتلامذته فيه.

سورة الولاية، وكتاب «دبستان مذاهب»

قال الخطيب: «ومما استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحة ١٨٠ من كتابه؛ سورة تسميها الشيعة سورة الولاية مذكور فيها ولاية علي «يا ايها الذين آمَنوا آمِنوا بالنبيِّ والوليِّ اللَّذين. بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم» الخ، وقد اطلع الثقة المأمون الاستاذ محمد علي سعودي الذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواصِّ تلاميذ الشيخ محمد عبده على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق «براين» فنقل منه هذه السورة بالفطغراف، وفوق سطورها العربية ترجمتها باللُّغة الإيرانية، وكما اثبتها الطبرسي في كتاب «فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب ربِّ الارباب» فانها ثابتة أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللُّغة الإيرانية لمؤلفه محسن فاني الكشميري. وهو مطبوع في ايران طبعات متعددة ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله العلامة المستشرق «فولدكن» في كتابه «تاريخ المصاحف» ج ٢ ص ١٠٢، ونشرتها الجريدة

الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٤٢ ص ٤٣١ ــ ٤٣٩ الخ».

السور القرآنية كانت مؤلفة مشهورة في عصر الرسالة بأمر النبيِّ (ص)، وكان المسلمون يعرفونها بحدودها، وآياتها، وتدل على ذلك الروايات الكثيرة المتواترة الواردة في فضل السور وثواب قراءتها، وان من قرأ سورة يس أو سورة البقرة فله كذا وكذا من الأجر والثواب، وما ورد من أنَّ الرسول (ص) قرأ سورة البقرة وسورة آل عمران في صلاة الآيات، وماورد في نزول بعض السور جملة، وغيرها من الروايات الدالة على كون سور القرآن مؤلفة معينة بآياتها في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ولاخلاف بين الشيعة في أنَّ سور القرآن ليست أكثر من هذه السور المعروفة مئة وأربع عشرة سورة، واتفق فقهاؤهم بعد الاتفاق على وجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد في الأوليين على كفاية قراءة أيِّ سورة من سور القرآن في الصلاة عدا سورتي الضحى، وألم نشرح فإنَّهما سورة واحدة، وسورة الفيل ولإيلاف قريش فهما أيضاً واحدة، ولا تجد في أصل من أصولهم ولا في أحاديثهم ورواياتهم سورة أخرى غير هذه السورالموجودة بين الدفَّتين.

ولاخلاف معتدَّاًبه بين اهل السنة أيضاً في ذلك أي كون القرآن مئة واربع عشرة سورة، نعم قال بعضهم: بأنها مئة وثلاث عشرة فعدَّ الأنفال والبراءة سورة واحدة كما قد حكي عن بعضهم موافقتهم مع الشيعة في كون الضحى وألم نشرح سورة واحدة، والفيل ولإيلاف أيضاً سورة واحدة[1] ولكن أخرج أهل السنة في كتبهم روايات دلت على زيادة سور القرآن على ما بين الدفتين كسورتي القنوت «الحفد

---

(١) راجع الاتقان للسيوطي ٦٧/١.

والخلع» وأن مصحف أبيٍّ كان عدد سوره مئة وست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع[1].

وقد قال ابن حجر في شرح البخاري: وقد صحَّ عن إبن مسعود إنكارذلك (يعني: إنكار كون المعوذتين من القرآن).

فأخرج أحمد وابن حبان عنه أن لايكتب المعوذتين[2].

وقال هبة الله بن سلامة: (المتوفى ٤١٠ هـ) في «الناسخ والمنسوخ»[3] فيما نسخ خطه وحكمه:

وأمّا ما نسخ حكمه وخطه فمثل ماروي عن أنس بن مالك «رض» أنه قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله (ص) سورة تعدلها سورة التوبة ما أحفظ منها غير آية واحدة:

«ولوان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ولو أنّ له ثالثاً لابتغى إليها رابعاً ولايملأ جوف ابن آدم إلّا التراب ويتوب الله على من تاب».

وهذه الاخبار وإن كانت مطروحة لايجوز الا تكال عليها وقامت الضرورة والإجماع من الفريقين على خلافها، ولايشك من له معرفة بكلام العرب وفنون الأدب أن هذه الجمل لا تشبه بلاغة القرآن مضافاً إلى مافي بعضها من الأغلاط اللفظية أو المعنوية التي أشار إليها المفسِّر الشيعي الشهير البلاغي في مقدمة تفسيره[4]، إلّا أن المنصف يعرف منها أنه لوجاز نسبة القول بوقوع نقص السورة في القرآن إلى

---

(١) المصدد السابق ٤٧/١.

(٢) المصدر السابق ٨١/١.

(٣) طبع بهامش أسباب النزول للواحدي، بمصر.

(٤) آلاء الرحمن في تفسير القرآن طبع في صيدا ــ لبنان واعيد طبعه بالاوفست ونشرنامقدمته بمصر مع تفسير شبَّر المطبوع بالمطبعة اليوسفية بـ ٢ شارع محمد علي.

الشيعة أو أهل السنة «ولا يجوز ذلك ألبتة» لكان أهل السنة أولى بها؛ فإنهم نقلوا في كتبهم المعتبرة وتفاسيرهم ذلك، وإن سمّى بعضهم بعض هذه بمنسوخ التلاوة والحكم، أو منسوخ التلاوة فقط فإن ذلك لا يدفع الإشكال؛ لأن وقوع النسخ محتاج الى الاثبات واتفقت كلمة العلماء على عدم جواز نسخ القرآن بخبر الواحد مضافاً إلى أن بعض هذه الأخبار آبَ عن هذا التأويل، وقد تردد الاصوليون من السنيين في جواز تلاوة الجنب مانسخت تلاوته، وفي جوازمسّ المحدث كتابته، واختار بعضهم عدم الجواز.

وأمّا الشيعة فلم يقل أحد منهم بنقص سورة من القرآن، ولا بزيادة سورة أو آية أو كلمة عليه، وليس في رواياتهم مايدل على نقص سورة او زيادتها.

والسورة التي نسب اختلاقها إلى الشيعة، وسماها سورة الولاية؛ لا ترى في اصول الشيعة وكتبهم منها عيناً ولا أثراً، والشيعة وفيهم ألوف من زعماء فن البلاغة والأدب المشهورين أرفع وأجلُّ من أن يلصقوا بكرامة القرآن هذه الجمل التي يظهرفيها أثر الوضع ويعرف ضعف تأليفها، وخروجها عن أسلوب القرآن من كان له أنسٌ بكلام الفصحاء والبلغاء.

ولاعجب من نسبة محبِّ الدين هذا الافتراء إلى الشيعة فإنه جعل هذا دأبه في كتابه، ولايضرُّ الشيعة ذلك بعد كون كتبهم ومصنَّفاتهم في معرض مطالعة العلماء، ولكن العجب منه أنه قال ولم يخف من ظهور كذبه عند الناس كالشمس في رابعة النهار: (وممّا استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن ايراده في ص ١٨٠ من كتابه سورة تسميها الشيعة «سورة الولاية» مذكور فيها ولاية علي «إلى ان قال» فكما أثبتها الطبرسي في كتابه فإنَّها ثابتة

أيضاً في كتابهم «دبستان مذاهب» باللُّغة الايرانيّة لمولّفه محسن فاني كشميري، وهومطبوع في ايران طبعات متعددة.

فانظر مافي كلامه هذا من الكذب الفاحش والافتراء البيِّن:

١ ــ ليس في «فصل الخطاب» لافي ص ١٨٠ ولافي غيرها من اول الكتاب إلى آخره ذكرٌ لهذه السورة المكذوبة على الله تعالى التي يقول الخطيب:

«إن الشيعة تسمِّيها سورة الولاية مذكورة فيها ولاية عليٍّ «يا أيُّها الذين آمنوا آمِنوا بالنبيِّ والوليِّ اللَّذين بعثناهما يهديانكم إلى الصِّراط المستقيم الخ».

٢ ــ ما معنى المصحف الإيراني أيُّها الخطيب؟ ألا تستحي من الله تعالى؟

ما هذا المصحف الذي لم يعرفه الإيرانيون، ولم يوجد بعد عند خاصتهم وعامتهم، ولم يطّلع عليه أحد إلّا محمد علي سعودي المصري عند «براين» المسيحي؟

أيها العلماء، أيها المنصفون، أيها المصلحون.

ماهذه الافتراءات وماعذر الخطيب وناشر كتابه محمد نصيف.. من أهالي جدة ــ الحجاز وأمثالهما عند الله تعالى؟

ومايريدون بانتشار هذه الأكاذيب؟

وما يطلبون من شيعة أهل البيت؟

وما عذر من يتغافل من زعماء السنيِّين وعلمائهم وحكوماتهم عمّا يرد من هذه الأقلام على الإسلام والمسلمين من الضرر والفشل؟

أليس في اخواننا أهل السنَّة والجماعة من يُرشدهما إلى ما فيه مصلحة نفسهيما، ومصلحة امتهما. ومصلحة المسلمين؟

أيُّها المسلمون إسألوا من إخوانكم السنيِّين من أهالي إيران

ومن ألوفٍ من الذين زاروا إيـران ويزورونها في كلِّ شهر ويوم هل سمعتم في ايران بمصحف غير هذا المصحف المطبوع المشهور في جميع الأقطار؟

أم هل وجدتم عند إيرانيٍّ كتاباً يعتقد أنه وحي إلٰهيٌّ يقرأه آناء الليل وأطراف النهار غير القرآن ذلك الكتاب الذي لاريب فيه ويؤمن به جميع المسلمين؟

ولكن: إذا قلَّ دين المرء قلَّ حياؤه، ولايستحيي من الكذب من اعتاده، ولايخاف من تشويه سمعة الدين، وايراد الطعن على الكتاب المبين من لايعقل ما يقول أو باع دينه بدنياه، واعتنق خدمة أعداء المسلمين.

الإيرانيون أشدُّ الناس آحتراماً للقرآن المجيد ولآياته وكلماته وحروفه، أسواقهم ومجالسهم وإذاعاتهم وبيوتهم، ومدارسهم وكلياتهم عامرة بقراءته، لهم في كل قرية وبلد مجالس ومدارس لتعليم التجويد وقراءة القرآن والتفسير، يهتمون بتعلم القرآن كمال الاهتمام، ويشجِّعون اولادهم على قراءته، لم يسمع أحد منهم لاقديماً ولا حديثا بهذا المصحف الذي تقول به ولم يطَّلع عليه أحد من علمائهم ولا آدّعى رؤيته من كان فيهم من أهل البحث والتنقيب.

نعم يوجد عندهم وفي مكتباتهم الكبيرة مثل مكتبة «آستان قدس» في المشهد الرضوي وغيرها أقدم النسخ المخطوطة من القرآن وأنفسها يرجع تاريخ كتابتها إلى صدر الاسلام، وتنسب كتابة بعضها الى سيدنا الإمام أميرالمؤمنين، وبعضها إلى الامام السبط الحسن المجتبى، وبعضها إلى الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع) لا تجد في هذه النسخ اختلافاً مّا حتى في حرف واحد مع هذه المصاحف المطبوعة إلاّ في رسم الخط.

٣ ــ وكذبه الآخر قوله: بثبوت هذه السورة في «دبستان مذاهب» مع انه ليس لهذه السورة ذكر في هذا الكتاب ايضاً.

«دبستان مذاهب»
ليس من كتب الشيعة

٤ ــ ومن افتراءاته على الشيعة اسناده كتاب: «دبستان مذاهب» اليهم، وهو كتاب في «الملل والنحل» جمع مؤلفه فيه بين الغثّ والسّمين، والحق والباطل، وفيه حكايات يأبى العقل احتمال صحتها، واستند في نقل أكثر مافيه عن مجاهيل، ويظهر من أسمائهم أنهم كانوا من دراويش الهند ولم يعلم مذهب مؤلّفه ولا اسمه على التحقيق، فقد اخفى مؤلفه اسمه ومذهبه فلا يوجد في أصل الكتاب اسمه ولا اسم مذهبه كما هوالشأن في غير هذا الكتاب من ذكر اسم المؤلف ومذهبه.

واختلف في اسمه فحكي عن سرجام ملكم أن اسم مؤلفه محسن الكشميري المتخلص في شعره بالفاني، وتوجد ترجمته في كتاب «صبح گلشن» من غير ان يذكر له هذا التأليف.

وحكي عن مؤلف «مآثر الأمراء» أن اسمه كان ذوالفقار، وقيل: إنه لسياح عاش في أواسط القرن الحادي عشر.

وعن بعض المستشرقين أن في مكتبة بروكسل نسخة منه مذكور فيها أنَّ اسم مؤلفه كان «محمد فاني»، وفي «كشف الظنون» أنه تأليف موبدشاه المهتدي، صنّفه لأكبرشاه. وعن مقدمة قزارستان أنه تأليف مؤبد افراسياب.

وقيل إن اسم مؤلفه كان كيخسرو ابن آذر كيوان، ولم أجد

لهذه الاقوال شاهداً قوياً لافي نفس الكتاب ولافي غيره.

وأما مذهب مؤلفه فيلوح من بعض ما ذكرفيه عدم اعتقاده بالنبوّات وبعث الانبياء، فراجع ما ذكره في بحث الأديان، وما حكىٰ فيه من المباحث الواقعة بين النصرانيين والمسلمين وبين أهل السنة والشيعة، وما ذكر فيه من اختلاف الفرق، ويوجد فيه من نقل اعاجيب الاكاذيب ماليس في غيره، وذكر فيه مذاهب أهل السنة ثم تعرَّض لمذهب الشيعة، ويظهر من بعض مواضيعه أنه كان إلى مذاهب اهل السنُّة أميل، ونسبه بعض علماء الشيعة المتتبعين الى الزندقة والإلحاد، والله العالم بحقيقة حاله وهوعليم بمافي الصدور.

ومع ذلك كله كيف يقول الخطيب: إنه كان من الشيعة الايرانيين؟ ثم يقول على سبيل الجزم إنه تأليف محسن الفاني الكشميريّ؟!!

ومن الاعاجيب التي تضحك الثكلى مانقل في «دبستان مذاهب» عن الشيعة من إسقاط سورة من القرآن (غير السورة التي نقلها الخطيب عنه كذباً) ولم يستند في ذلك إلى كتاب أونقل عن مجهول، [ونقلها في «فصل الخطاب» في مانقل عن كتب أهل السنة]، وهذه السورة المختلقة مشتملة على الأغلاط اللفظية والمعنوية، وركاكة الاسلوب، يعرف من تدبَّر فيها أنَّها من اختلاقات اعداء الاسلام، ولا يرتاب من له معرفة بكلام العرب أنها دون كلام سوقتهم فضلا عن فصحائهم، وفضلا عن كلام الله تعالى.

وقد أوضح ذلك غاية الإيضاح العالم الشيعي الجليل الشيخ البلاغي في مقدمة تفسيره فراجع. واقض العجب عن من يستند الى هذه الكتب أوينقل مثل هذه المهزلة في كتابه.

والحاصل أنَّ نسبة القول إلى نقص سورة من القرآن إلى

الشيعة كذب محض لم يقل به أحد من الشيعة، وليس في رواياتهم منها عين ولا أثر، كما أنَّ نسبة تأليف كتاب «دبستان مذاهب» اليهم كذب محض أيضاً لا شاهد له في نفس الكتاب ولا في غيره، ولم يعتمد أحد من الشيعة على هذا الكتاب.

٥ ــ الكذبة الخامسة في كلامه هنا. قوله؛ بطبع «دبستان مذاهب» في ايران طبعات متعددة، وليت شعري: من أين عرف ذلك؟ وأيُّ نسخة من هذا الكتاب طبعت في إيران؟ وما اسم المطابع التي طبع فيها هذا الكتاب طبعات متعددة؟ ولم لم ينقل تاريخ طبعه في إيران وسائر خصوصياته؟ وما فائدة هذه الأكاذيب؟

نعم: قد عثرنا بعد بحث كثير وجهد جهيد في عدة مكتبات كبيرة على ثلاث نسخ مطبوعة.

الاولى: طبعت في بمبي الهندسنة ١٢٦٢.

والثانية: في سنة ١٢٦٧ غير أنه لم يذكر فيها مكان الطبع.

والثالثة: طبعت ايضاً في بمبي سنة ١٢٧٧.

وظني أن النسخة الثانية مطبوعة في الهند أيضاً. ومع هذا كيف يقول: إنه مطبوع في ايران طبعات متعدّدة؟!!

المستشرقون دعاة الاستعمار[1]

من أعظم البلاء على المسلمين بل عامّة الأمم الشرقية افتتان بعض شبّانهم ومثقفيهم بمقالات الغربيين سيَّما المتسمِّين منهم بالمستشرقين، واعتمادهم على ثقافتهم وآرائهم في المسائل الراجعة إلى الشرق وإلى الاسلام، مع أن كثيراً منهم لايريدون بالاستشراق إلاّ الوقيعة بالمسلمين، وتتبع عوراتهم، وتفريق كلمتهم، و بعضهم يروِّجون الحضارات التي كانت قبل الاسلام، ويضعفون العلائق الدينية. يريدون بذلك إرجاعهم إلى الجاهلية، وإحياء شعائر الأمم الكافرة التي قضى عليها الاسلام قضاءً حاسماً.

ففي إيران يروِّجون أساطيركورش و داريوش، وعادات المجوس وأيامهم، وأعيادهم كالسَّده ومهرجان.

وفي مصر يبعثون جمعيات للتحقيق في تاريخ الفراعنة ومايوصل مصرالحديثة بالقديمة.

وهذا ما يسمونه «بالفولكلور» أي ترويج الدراسات الشعبية

---

(١) لايخفى على الباحثين ان لبعض المستشرقين خدمات مشكورة في إحياء تراثنا الاسلامي، فقد أدّوا الأمانة في مقالاتهم، وفي التأليف والنقل، وآجتنبوا التحريف والتصرف في النقل، وليس قصدهم من البحث والتأليف الآخدمة العلم ونشدان الحقيقة، فقلّمايرى أولا يرى في كلماتهم التعصب لدينهم، اولأمتهم، فان صدر عن بعضهم خطأليس إلاّلعدم انتهائه إلى نهاية البحث، او لابتلائه بقلة المصادر فلايتهم مثله بالتعمدفي قلب الحقائق، والخيانة في البحث.

والبحث عن عادات الشعب، وعقائد أبنائه، ومدنيتهم وآثارهم وقصصهم في الأجيال الماضية، وكشف آثار الأقدمين، فيدعون الأدباء والكتاب الى البحث عن العقائد التي نسيها الزمان، والعادات والبرامج المتروكة، ويشوّقون بعض الشبّان وضعفاء العقول، ويصرفون الدراهم والدنانير والدولارات لتأليف الكتب وطبعها، ويستأجرون أقلام الصحف والمجلات والجرايد لترويج أهدافهم (وهذا من أضر ألاعيب الاستعمار على المسلمين) لم يقصدوا بذلك إلاإحياء الحضارات السابقة على الاسلام، وتكثير العصبيات القومية، وتفرق الكلمة، وترى آثارهذه السياسات الغاشمة في مصر و الشام والعراق وايران وتركيا وشمال أفريقية والهند وأندونيسيا . ولبعض المستشرقين قدم راسخة في تحقيق اهداف الاستعمار، واضعاف علائق الإتحاد الإسلامي، وإنشاء روح العصبية القبيلية، والنخوة الجاهلية التي حاربها الاسلام.

ومن أعظم البلية أن بعض من لاخبرة له بالتاريخ، ومصادر التشريع الاسلامي وأهداف الدين القويم يحسب آراء المستشرقين من أصح الآراء ويستشهد بها مبتهجا بذلك.

ولبعضهم حول البحوث الاسلامية، وتاريخ رجال الدين، وزعماء الشرق كتب و مقالات ربمالاتجد فيه خلافاً مع ما عليه المسلمون إلّا في نقطة واحدة ولكنه لم يقصد بتأليف كتاب ضخم إلّاإبداء الشبهة في هذه النقطة وانكار حقيقة واحدة.

وللاستاذ عبد الوهاب حمودة مقال تحت عنوان «من زلّات المستشرقين»[1] ذكر فيه زلّات المستشرقين المتكررة، وهفواتهم الشايعة وتصيُّدهم للروايات الضعيفة، ونقد كتاب «العقيدة والشريعة» لجولد

---

(١) رسالة الاسلام/س ١٠، ع٣ و ٤.

تسيهر وكتاب «الاسلام» لجيوم وغيرهما.

و ربّما لم يكن لعناية البعض ــ ممن لا إحاطة له بالمسائل التاريخية و المباحث الاسلامية ــ بأقوال المستشرقين إلّا انخداعهم بالأسماء التي يحسبون أن لها شأنا كبيراً أمثال: «براون» و «نولدكه» و «هنري لامنسون» و «إميل درمنغم». فيحسب المسكين أنّ وراء هذه الأسماء حقائق عالية، وآراء ثاقبة، وليس ذلك إلّالضعف الشرق، واستيلاء الغرب عليه. حتى أن بعض أبناء الشرق يعتقد صعوبة المناقشة في آراء المستشرقين و نظرات الغربيين، والرّدّ عليهم لأنّه يحسبهم من رجالات العلم والإطلاع في جميع العلوم، وظن أنّ تقدمهم في الصناعات والطّب والبيطرة مستلزم لتقدُّمهم في سائر العلوم، وأن يكونوا أخبر بحال الشرق وطباع أبنائه وتاريخ الاسلام، وأصول التشريع، وعقايد الفرق الاسلامية من علماء المسلمين، ولم يعقل أنّ ماحصل للمستشرقين من العلوم الاسلامية والبحوث التاريخية لم يحصل إلّالأجل الغور في علوم المسلمين، ومطالعة كتب علمائهم[1].

هذا مضافاً إلى أنّهم لايريدون باستشراقهم إلّا خدمة أمتهم وحكوماتهم وليست آراؤهم العلمية خالية من النزعات السياسية، ومع ذلك أليس من أبشع ما في كتاب الخطيب إستشهاده بنقل ما وجد عند «براين» وحكاية (فولد كن) والجريدة الآسيوية الفرنسية.

---

(١) لاشك عند جميع المحققين من المسلمين وغيرهم أن تأخر المسلمين ليس لضعف الفلسفة، و الآداب، والتاريخ، ونقصان قوانينهم؛ فإن الاسلام أحسن كافل لهم في ذلك، ولكنهم غلبوا لأنهم تركوا الاشتغال بالعلوم التجربية المادية كالكيميائية والطبيعية، والميكانيكية التطبيقية والنظرية وغيرها، وغلبوا لانهم لم يملكوا من المصانع وأدوات الحرب مايضاهون به عدوهم، وقد قال الله تعالى: وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوه... الآية.

أليس هذا (لوكان الخطيب صادقاً في نقله) شاهدا لما قلنا من أنَّ كثيراً من المستشرقين لايخدمون باستشراقهم إلّاسياسات حكوماتهم ولايطلبون إلّابقاء سيادة الغرب على الشرق، واستعباد الأمم الشرقية سيما الاسلامية منها بإلقاء الخصومات والخلافات بينهم. وإلّافأيُّ مستشرق بصيرعارف بلسان العرب و تاريخ الاسلام ومقالات الشيعة وكتبهم؛ لايعلم اختلاق هذه النسبة على الشيعة، ولايعلم أن هذه الالفاظ تمس كرامة القرآن وليس للشيعة علم و اطلاع على هذه السورة المكذوبة على الله تعالى. فكأن الخطيب لم يقرأ قوله تعالى: «**إن جاء كم فاسق بنبأ فتبيَّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين**».

الكلام حول أحاديث المسألة

لانريد ان نعارض الخطيب بالمثل، ولا نحب نقل هذه الأخبار المطروحة السقيمة سواء أكان من طرق الشيعة ام من طرق اهل السنة حذراً من ان يتوهم جاهل لصوق بعض ما في هذه الأخبار بكرامة الكتاب، اويتمسك بها بعض المستشرقين والمبشرين عند من ليس له تضلّع في التاريخ والحديث. ولكن ما ذنبنا بعدما يرمي الخطيب واقرانه الشيعة بهذه البهتانات، ولذافاننا سوف لانأتي بمتون هذه الروايات بل نكتفي بالاشارة الى مواضعها في كتب القوم على سبيل الاختصار، ونبين الجواب عنها بحول الله وقوته فنقول:

إن نقل الروايات حول هذا الموضوع لم يكن من مختصات بعض كتب الشيعة كما أسلفنا مراراً، ولايمنع من التقريب، ولا يجوز الطعن على الشيعة بذلك، فان الروايات عن طريق أهل السنة في هذه المسألة كثيرة جدّاً أيضاً، وقدذكرنا بعض ماوردعن طرقهم ممّا يدلُّ على نقص سورة تامة، بل في احاديثهم ما يدل على نقص سورة كسورة البراءة في الطول والشدة، وبعضها يدل على نقص آية أواكثر، والتغيير والتبديل، بل وبعضها يدل على وقوع الزيادة. فراجع الا تقان[1]، ومسند احمد[2]، وصحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت[3]، وتاريخ دمشق لابن

---

(١) للسيوطي ج ١ ص ٦٧ و ٨١، وج ٢ ص ٢٥ و ٢٦.

(٢) ج ٥ ص ١٣٢. (٣) ج ٤ ص ١٢٥ طبع مصر، عام ١٣٠٤ و ١٣٠٥ هـ.

عساكر[1] ترجمة أبيٍّ بن كعب، وكتاب الاحكام للآمدي[2]، وتفسير الطبري في تفسير آية: «**فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن**»[3]، وراجع تفسير الفخر أيضاً في ذلك، وراجع صحيح البخاري في باب «**والنهار إذا تجلّى**» من كتاب التفسير[4] وفي باب «**وما خلق الذكر والانثى**»، وراجع ايضاً ما في كتاب «الاحكام»[5] من ان ابن مسعود أنكر كون المعوذتين والفاتحة من القرآن. وقد صرح باختلافهم في كون البسملة في مئة وثلاثة عشر موضعاً، وراجع ايضاً صحيح مسلم باب «لوكان لابن آدم». من كتاب الزكوٰة[6]، وذكر في «فصل الخطاب» أكثر من تسعين حديثاً في هذا الباب من كتب العامة، وروي عن عمر في آية الرجم أنه قال: لولا أن تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها (يعني آية الرّجم) فراجع الاتقان[7].

وذكر اليعقوبي المورِّخ الشيعي أن عمر قال: هذا حين حضرته الوفاة.

وفي هذه الروايات (على ما حقّقه وبيّنه بعض علماء الشيعة) من الاضطراب والتدافع والتناقض في مضامينها، ومعارضتها بغيرها من

---

(١) ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) ج ١ ص ٢٢٩.

(٣) أخرج بالإسناد إلى كل من أبيٍّ بن كعب، وابن عباس، وسعيدبن جبير، والسدّي؛ أنهم كانوا يقرأون.

«فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن اجورهن».

وارسل الزمخشري أيضاً في الكشاف هذه القراءة عن ابن عباس إرسال المسلَّمات.

(٤) ١٥٢/٣ ط ١٣٠٤ هـ.

(٥) الاحكام في اصول الاحكام ٢٣٠/١، ٢٣٣.

(٦) ٣٨٦/١.

(٧) للسيوطي ٢٦/٢.

الأخبار الكثيرة الصحيحة، وركاكة الأسلوب، وضعف المعاني، وانحطاط الفقرات وعدم مشابهتها لآيات القرآن ما لايكاد يخفى على من له ادنى معرفة بأساليب الكلام وقواعد البلاغة[1].

وأمّا الروايات المأثورة عن طرق الشيعة فليست إلاّ نزراً قليلاً، وهي لعدم الاعتناء بها ولكونها غير مخرجة في اصولهم المعتبرة كالكتب الاربعة، ومطعون فيها بضعف السند أو الدلالة أو بهما معاً؛ يمكن حمل أكثرها على التفسير و بيان بعض المصاديق الظاهرة، وغير ذلك من المحامل الصحيحة التي يقبلها العقل والعرف.

أضف الى ذلك أنك لاتجد في أحاديثهم رواية تدل على نقص سورة أوزيادتها كما يوجد في روايات أهل السنّة، وقد عرفت أقوال أكابر الشيعة وحال هذه الروايات عندهم وأنها مضافاً إلى كونها مطروحة متناقضة ومعارضة بالأخبار المتواترة القطعية.

هذا مختصر الكلام حول الأحاديث، وغرضنا من ذلك هنا أنَّ اعتراض الخطيب و بعض من لاخبرة له بالمسائل الاسلامية على الشيعة مع وجود مثلها بل أكثر منها صراحة في كتب أهل السنة وصحاحهم ليس في محله، والاعتذار عن ذلك بأنها من منسوخ التلاوة ومنسوخ الحكم أومنسوخ التلاوة فقط عين الاعتراف بأن مانزل قرآنا كان أكثر من هذا الموجود بين الدفَّتين، ومع أنَّ إثبات النسخ بخبر الواحد ممنوع، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر اهل الظاهر (كما حكي عنهم) بامتناع نسخ القرآن بالسنّة المتواترة، ولوتسمَّ لهم هذا الاعتذار فلا اختصاص لهم به لأنهم والشيعة فيه سواء.

ولكن التحقيق في الجواب إنكار أصل نزول أكثر من هذا

---

(١) راجع مقدمة تفسير «آلاء الرحمن» للعلامة المغفور له الشيخ البلاغي النجفي.

الموجود بين الدفَّتين (كما حقَّقه محقِّقو الشيعة وبرهنواعليه) لاالاعتراف بالنزول ثم التمسك بنسخ التلاوة،وعلى كل حال فهذه النقول لا تمس كرامة القرآن المجيد، ولا تقاوم الضرورة وإجماع الفريقين والأخبار المتواترة القطعية.

الشيعة تؤيّد كلَّ حكومة اسلامية

قال في ص ١٤: «والحقيقة الخطيرة التي نلفت إليها أنظار حكوماتنا الإسلامية أن أصل مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية التي تسمّىٰ أيضاً بالجعفرية قائم على اعتبار جميع الحكومات من يوم وفاة النبي صلّى الله عليه و سلّم إلى هذه الساعة عدا سنوات حكم علي بن أبي طالب حكومات غير شرعية، ولا يجوز للشيعي أن يدين لها بالولاء والاخلاص من صميم قلبه (الخ)».

زاد في الطنبور نغمة اخرى ليزيد الفتنة تأججاً، ويثيرها أولياء الحكومات على الشيعة فقال: ان اصل مذهب الشيعة قائم على اعتبار جميع الحكومات غير شرعية.

والجواب، هل يعتبر أهل السنة (والخطيب إن كان منهم) هٰذي الحكومات التي تأسست في بلاد المسلمين كلّها شرعية؟ وهل يعتبر الحكومات التي أسّسها المستعمرون، والحكومات التي لاعناية لها بشعائر الاسلام، والحكومات التي قامت بتفكيك الأمور السياسية ونظام الحكومة عن الاسلام، حكومات شرعية؟ تلك الحكومات التي ألغت أصول الإسلام و مناهجه السياسية والاجتماعية، والنظامية والعمرانية، ومنعت الإسلام من التدخّل في شوؤن الحكومة، وخضعت لأعداء المسلمين، واعتنقت نيرالمذلة حتى بدّل بعضها التاريخ الهجري الإسلامي

بالتاريخ الميلادي المسيحي.

هل يعتبر السنيُّ حكومةً يقول زعيمها «جمال كورسل» على ما في بعض الجرائد[1]: «يجب على الاسلام والمسلمين التحرر من استعمار اللسان العربي في صلواتهم وأذانهم ودعائهم» حكومة شرعية؟

وهل يعتقد شرعية حكومة ألغت نظام الإسلام في الميراث و الطلاق وغيرهما؟

أمّا نحن معاشر الشيعة فنؤيّد كلَّ حكومة إسلامية تخدم الإسلام و تقوم بحفظ مصالح المسلمين وتدافع عن شرفهم وكيانهم وحقوقهم، ونرى اضعافها والخروج عليها من الموبقات العظيمة، والشيعة تراعي مع كل حكومة مصلحة الإسلام، لم يخرج منهم من خرج في الأعصار الماضية على بعض الحكومات لكون أوليائه من أهل السنة، ولم يتركوا نصيحة الخلفاء والأمراء سيَّما في ما يرجع إلى قوة الاسلام وظهور المسلمين على غيرهم.

وكان الامام عليٌّ (ع) في خلافة أبي بكر و عمر ناصحاً لهما، يشير عليهما بآرائه السديدة في معضلات الأمور، ودخل في الأعمال الحكومية آنذاك جمع من الصحابة من شيعة الإمام؛ كسلمان و أبي ذرٍّ والمقداد و عمّار وغيرهم، وكان عليٌّ (ع) في خلافة عثمان أيضامن أخلص نصحائه، وأحوطهم عليه، ولو قبل عثمان نصيحته لكان تاريخ الاسلام غير هذا.

نعم إنَّ الشيعة لا تعتبر الحكومات اليزيدية حكومات شرعية، كما لا تعتبر حكومة الطواغيت الظالمين المستحلّين لآل محمد (ص) ماحرَّم الله ورسوله، ومبغضيهم وأعدائهم من أهل النفاق حكومة شرعية،

---

(١) جريدة «آرزو» الايرانية العدد الخامس عشر (شهريور ١٣٤٠ الشمسية)

ولا تعتبر حكومة معاوية التي حاربت أمير المؤمنين علياً (ع) ــ الذي قال فيه رسول الله (ص):

«ان علياً مني وأنا من علي وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي»[1].

وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه أللّهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه»[2].

وقال: «أنت منّي بمنزلة هٰرون من موسى إلاّ أنّه لانبيَّ بعدي»[3]،

و قال له ولفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام «أنا حربٌ لمن حاربتم و

---

(١) راجع في ذلك أسد الغابة /٤/٢٧ و /٥/٩٤ ومسند احمد /٤/٤٣٧ و /٥/٣٥٦، وسنن الترمذي /٢/٢٩٧، ومسند الطيالسي /٣/١١١ وص ٣٦٠، وحلية الأولياء /٦/٢٩٤، ومجمع الزوائد /٩/١٠٩ و ١١٩ و ١٢٧ و ١٢٨، وكنزالعمال /٦/١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٩، و ٣٩٦ و ٤٠١، وتاريخ بغداد /٤/٣٣٩ والخصائص للنسائي ص ١٩ و ٢٣، والرياض النضرة /٢/١٧١ و ٢٠٣، والاصابة /٦ ق ١ /٣٢٥، والمستدرك /٣/١١١ و ١٣٤.

(٢) راجع سنن الترمذي /٢/٢٩٨، وابن ماجة /١/٥٦ و ٥٨ ومسند احمد /١/٨٤ و ٨٨ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٣٠ و /٤/٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و /٥/ ٣٠٧ و ٣٤٧ و ٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٦٦ و ٤١٩، والمستدرك /٢/ ١٢٩ و /٣/ ١٠٩ و ١١٠ و ١١٦ و ٣٧١ و ٥٣٣، و مجمع الزوائد /٩/ ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩.

اقول: إستقصاء جوامع الحديث والكتب التي جاء فيها هذا الحديث وغيره من أحاديث الولاية صعب جداً، وإن شئت الزيادة فراجع كنزالعمال، والرياض النضرة، والإصابة، وفيض القدير، وحلية الأولياء، والمرقاة، والخصائص، والدر المنثور، وتفسير الفخر، وتاريخ بغداد، والصواعق، وأسدالغابة، ومشكل الآثار، وكنوزالحقايق، والجامع الصغير، وقد أفرد كل من ابن عقدة، والذهبي، وأبي سعيد السنجري، وأبي جعفر محمدبن جريربن يزيدبن خالد الطبري، وابن الحداد الحسكاني وغيرهم لهذا الحديث كتاباً خاصاً به فراجع مقدمة الكتاب القيم الموسوم بـ« فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم علي» ــ وخطبته ص ١٤ و ١٥ و ٢١ ــ من الطبعة الثانية.

(٣) راجع صحيح مسلم «كتاب فضائل الصحابة» /٧/ ١٢٠ والبخاري «كتاب بدء الخلق» في باب مناقب علي /٢/١٨٥، وفي باب غزوة تبوك /٣/٥٤، وسنن ابن ماجة

سلمٌ لمن سالمتم »[1] ــ حكومة شرعية، تلك الحكومة التي أعلنت سبَّ عليٍّ على المنابر، ودسَّت السمَّ إلى الحسن (ع) سيد شباب أهل الجنة[2]، ولا تؤيد حكومة يزيد الفاسق المعلن للمنكرات والكفر وقاتل الحسين (ع) والمتمثل بأشعار ابن الزبعرى المعروفة فرحاً بحمل رأس ابن بنت رسول الله (ص) والذي أباح بأمره مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل خلقاً من الصحابة ونهبت بأمره المدينة، وانتُهكت في هذا الواقعة التي سودت صحائف التاريخ ألفُ عذراء حتى ولدت الابكار لايعرف من أولدهن، وهو الذي أمر بغزو الكعبة[3].

الشيعة لا تقول بشرعية هذه الحكومة ولابشرعية حكومة عبدالملك الغادر الناهي عن الأمر بالمعروف الذي قال السيوطي في حقه: لولم يكن من مساويه إلاّ الحجّاج وتوليته إيّاه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلُّهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقدقتل من الصحابة والتابعين مالا يخفى، فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلَّهم (لكفى)، فلارحمه الله،

- ١٥٥/١، ومسند أحمد ١٧٠/١ و ١٧٣ و١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠، و ٣٠٩/٢، و ٣٣٨/٣، و/٦/ ٣٦٩ و ٤٣٨، ومسند الطيالسي ٢٨/١ و ٢٩، والحلية، والخصائص، ومشكل الآثار، وتاريخ بغداد، وأسد الغابة، وسنن الترمذي، والمستدرك، والطبقات، ومجمع الزوائد، وكنزالعمال، والرياض، وذخائر العقبى، وتاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب السيرة وجوامع الحديث.

(١) سنن الترمذي ٣١٩/٢، وابن ماجة ص ١٤، والمستدرك ١٤٩/٣، وأسدالغابة/٥٢٣/٥، ومسند أحمد ٤٤٢/٢ وغيرها.

(٢) مقاتل الطالبيّين ص ٧٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٤ ط المطبعة الميمنية، ومروج الذهب ٣٠٣/٢، والنصائح الكافية ٦٢ــ٦٣.

(٣) راجع في ذلك «تاريخ الخلفاء» و «تاريخ اليعقوبي»، والطبري، وابن الاثير وابن كثير ومروج الذهب وتذكرة الخواص.

ولاعفاعنه[1].

نحن لانقول بشرعية حكومة الوليد بن يزيد الفاسق الشريب للخمر والهاتك لحرمات الله تعالى الذي أرادالحج ليشرب الخمر فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، وهو الذي فتح المصحف فخرج «**واستفتحوا وخاب كلُّ جبّارعنيد**» فألقاه ورماه بالسهم وقال ما قال، و حكي عنه من قبائح الأعمال[2] مابقي عاره على من يعتبر تلك الحكومات شرعية إسلامية.

نحن لانفتي بشرعية حكومة هؤلاء، ولا حكومة أكثر الخلفاء العباسيِّين والجبابرة الذين خانوا الاسلام واظهروا الفسق وارتكبوا الفجور كما لم يعتبر ابو حنيفة حكومة المنصور العباسي حكومة شرعية وأفتى بجواز الخروج عليها، وكمالم تعتبر الأمة المصرية حكومة الفاروق حكومة شرعية فخلعته عن الحكم.

ولا تؤيد الشيعة حكومة تعمل على إثارة الفتن بين المسلمين، وتسعى سعيها لتجديد ذكر الأمويِّين، وخدمة الاستعمار، وتتَّبع سبيل «هنري لامنس» المسيحي المستشرق الخبيث عدوالاسلام والمسلمين.

وعليك أيها القارئ العزيز بالتأمّل في هذا الحديث، فعن جابربن عبدالله الأنصاري أن النبي(ص) قال لكعب بن عجرة:

«**أعيذك بالله من إمارة السفهاء**»؟

قال و ما ذاك يا رسول الله قال:

«**أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوامني ولست منهم، ولم يردوا عليَّ الحوض، ومن لم يدخل**

---

(١) تاريخ الخلفاء /١٤٧.

(٢) راجع مروج الذهب ١٤٩/٣، وتاريخ الخلفاء/١٦٦.

عليهم ولم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك منّي وأنا منهم، وأولئك يردون عليّ الحوض »[1].

وأخرج في أسد الغابة[2] عن أبي سلامة الأسلمي قال: قال رسول الله (ص).

« سيكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم وإنهم يحدِّثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيئون ولا يرضون منكم حتى تحسّنوا قبيحهم وتصدِّقوا كذبهم فأعطوهم الحق مارضوا به، فاذا تجوَّروا، فقاتلوهم فمن قتل على ذلك فإنّه منّي وأنا منه» اخرجه الثلاثة.

وفي حديث آخر وصف فيه حال الفقهاء والقرّاء الذين يأتون الأمراء الظالمين:

« إنَّ ناساً من أمتي سيتفقَّهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزل بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنىٰ من القتاد إلاّ الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلاّ... »قال الراوي: كأنه يعني الخطايا.

ونعم ما وصف به فيلسوف المعرّة حال الأمة مع هؤلاء الأمراء قال:

قلّ المقام فكم أعاشر أمة ... أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

والاساس المتين الذي يجب أن تقوم عليه كل حكومة إسلامية لتكون شرعية يجب على الناس تأييدها أن تكون صالحة، عادلة، مصدر تحقيق رسالة الاسلام، ومظهر نظامه الاجتماعي والسياسي

---

(١) مصابيح السنة ٢/٧٠ طبع محمد على صبيح بمصر.
(٢) /٥/٢١٧.

والاقتصادي، مجتهدة في رفع ألوية العلم والدين، تضع أزِمَّة الأمور في أنظف الأيدي، وتعترف للجميع بحقوقهم، وتحترم الحريات التي منحها الاسلام، و يكون رجالها خُدّاماً للإسلام، حرّاساً لحقوق المسلمين.

هذا وقد أيَّد الشيعة الاقطار الاسلامية، ودافعوا عن حقوق كافة المسلمين، كمادافعوا عنهم ضد الاستعمار العالمي وفي شتىٰ المؤتمرات العالمية وغيرها. فالعالم الاسلامي لاينسى مساعي الشيعة في سبيل استقلال الجزائر المسلمة والباكستان واندونيسيا و حمايتهم لحكومة الجمهورية العربية في واقعة قناة السويس، ولم يكن فرح أبناء الشيعة بهذه الفتوح أقل من فرح إخوانهم أبناء الجماعة إن لم يكن أكثر.

معنى الناصب

نقل الخطيب في ص ١٥ «بواسطة بعض الكتب عن كتاب مسائل الرجال مكاتبة محمد بن علي بن عيسى إلى الامام أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم (ع)، ثم فسر ما فيها من السؤال عن الناصب، والجواب عن ذلك واستخرج من تفسيره تحامل الشيعة على الشيخين، وانه يكفي لأن يعدَّ أيُّ إنسان ناصباً وعدواً لآل البيت إذا قدَّمهما واعتقد إمامتهما».

إن ما افترى على الشيعة وملأ به مجموعته، إمّا أن يكون له مصدر، وإمّا أن ليس له مصدر سوى كتاب مجهول. أو شخص مجهول، أومتن شاذ، أومالايؤيد دعواه إلّا إذا فسَّره بما يوافق هواه أوما فيه كل هذه العلل، ومن جملة ذلك هذه المكاتبة. فمصدرها كتاب مسائل الرجال... كتاب مجهول لم نظفر بعد البحث الكثير باسم جامعه و مؤلفه، ومحمد بن على بن عيسى أيضاً مجهول، ولم يفسرها الخطيب بمافسّر إلّاليهيِّج به أهل السنة على الشيعة، ويوقد نار النزاع، ويفرِّق بين المسلمين، ويوقظ الفتن الراقدة التي ترجع تمام فائدتها الى اعداء الدين، فماذا تستفيد الأمة من ذكر هذه الأمور التي أبلاها الدهر، وأنساها الزمان؟ ومافائدة استعراض هذه المباحث إلّا التفرّق المنهي عنه في الاسلام؟ و ما لناوالدخول في هذه المناقشات؟ وماذا نخسرلو حملناها على المحامل الصحيحة؟ وما الذي حمل

الخطيب على أن يفسِّر مثل هذه المكاتبة التي عرفت علَّتها بهذا التفسير الشائك؟ وما فائدة الاهتمام في تكثير الفوارق بين المسلمين؟ ولم لم يكتب بعدُ كاتب مصلح كتاباً في مشتركاتهم الأساسية وما اتفقت عليه كلمة الكلِّ من العقائد الاسلامية التي هي الملاك الفذَّ للحكم بالاسلام؟ وما يمنع الخطيب من مراجعة كتب الشيعة المعتمدة وأحاديثهم الصحيحة، وفتاوىٰ فقهائهم؛ حتى يعرف أن الناصب عندهم وفي اصطلاحهم ــ كما صرّح به اكابر علمائهم ــ من ينصب العداوة لأهل البيت، ويسبُّهم، ويبغضهم[1]؟

قال شيخ المحدثين محمد بن علي بن الحسين الملقّب بالصدوق (المتوفىٰ ٣٨١هـ) في «موسوعته الفقهية من لايحضره الفقيه» و هو أحد الجوامع الأربعة التي يدور عليها فقه الشيعة الإمامية في جُلِّ أبوابه، بل كلِّها:

والجُهّال يتوهَّمون أن كلَّ مخالف ناصبٌ وليس كذلك[2].

وبعد ذلك كله نسير في هذا البحث على نحو عام، بحيث يظهر منه أن مجرد تخريج خبر في كتاب لايصح الاحتجاج به حتى على مؤلفه فضلا عن أهل مذهبه. فتخريج الأحاديث وجمعها وحفظها؛ شيء، وملاحظة أسنادها و متونها و دلالة ألفاظها وعامها وخاصها ومطلقها ومقيدها والنظر في متابعاتها اومعارضاتها، شيءٌ آخر.

فنقول:

أوّلاً ــ لوكان إخراج كل رواية في كتاب من كتب أهل السنَّة أوالشيعة حجَّةً عليهم ــ وإن لم تكن الرواية معتبرة عندهم حتى عند

---

(١) راجع كتاب «المعتبر» و «تذكرة الفقهاء» و «المنتهى» و غيرها.

(٢) من لايحضره الفقيه /٣/٢٨٥.

مخرجيها حسبما ذكروه في كتب الحديث والدراية والرجال ــ لكانت حجة الشيعة على أهل السنّة أقوى، إذ يستندون إلى روايات عن طرقهم في الأصول و الفروع وفي صفات الله تعالى مما خالف ضرورة العقل والكتاب والسنّة، ويحتجون على أهل السّنة بعقائد بعض مشايخهم من المتصوفة وغيرهم مما لانحب ذكره.

وثانياً ــ إنّ الشيعة لايعملون بالأحاديث إلاّ بعد الفحص والتنقيب عن حال رواتها ومخرجيها، وبعد حصول الاطمئنان إلى كون رواة الحديث في جميع الطبقات من الثقات الأثبات، أو حصول الوثوق بصدور الحديث من الإمارات المذكورة في محلها، ولو كان حديثاً معارضا بحديث آخر يأخذون بماوافق منهما الكتاب والسنّة القطعية، ولهم في ذلك أصول تكشف عن كمال تدقيقهم في تمييز الأحاديث الصحاح والحسان من الضعاف، ويعتبرون في حجية الحديث أن يكون معمولاً به بين رؤساء المذهب وقدماء الشيعة المعاصرين لأئمة أهل البيت اومن قارب عصرهم، فلو كان حديثاً متروكاً لم يعمل به الفقهاء أولم يعمل به إلاّ الشاذ منهم وأعرض عن الفتوى والعمل به المشهور؛ لايعتمدون عليه، ولا يفتون بظاهره. فلا يحتج على طائفة هذا مسلكهم في العمل بالأحاديث والأخبار بكل حديث خرّجوه في كتب الحديث فضلا عن غيره، فلا ينبغي معاتبة الشيعة وغيرهم، والحكم عليهم بمحض تخريج خبر في بعض كتبهم قبل الفحص عن حال الكتاب، و قبل النظر في سند الخبر وفي متنه، وأنه وقع مورد القبول عند علمائهم، وحكموا له بالصحة والاعتبار ام لا.

وثالثاً ــ الحديث الذي تحمّله الرواي مشافهة قراءة أوسماعاأقرب إلى الصحة والاعتبار عندالشيعة من الحديث الذي تحمّله بالمكاتبة، لأنّ الحديث يسقط عن الاعتبار في كثير من الموارد بسبب وقوع

الاشتباه في تشخيص خط المروي عنه، وعدم حصول الوثوق بذلك، ودخالة اجتهاد الراوي وحدسه في تشخيص الخط. نعم لو كانت هناك قرائن معتبرة تدل على وقوع المكاتبة وكون الكتاب بخط المرويّ عنه فلا كلام في اعتباره.

ورابعاً ــ هبْ أنَّ في الشيعة من يتحامل على بعض الصحابة ولايرى في ذلك بأسا ــ بحسب اجتهاده ــ أيكون هذا مانعاً من التقريب والتجاوب؟ أم يوجب خروجه عن الايمان؟ أترى أن الله تعالى يقبل عذر بعض الصحابة في مشاتمات و سباب وقعت بينهم بحضرة النبي (ص) أو بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى وفي محاربات وقعت بينهم وشهادة بعضهم على بعض بالزنا وشرب الخمر وقتل النفس والسرقة والكفر[1]؛ ولا يقبل عذرمن يتحامل على بعضهم اجتهاداً و نزولا على حكم الأدلَّة الشرعية وليس هذا معذوراً مأجوراً؟ أليس هذا اولى بقبول عذره من الأول؟

قال ابن حزم: من سبَّ احداً من الصحابة رضي الله عنهم فإن كان جاهلاً؛ فمعذور، وإن قامت عليه الحجّة فتمادى غيرمعاند؛ فهوفاسق كمن زنى وسرق، وإن عاندالله تعالى في ذلك، ورسوله (ص)؛ فهو كافر، وقد قال عمر (رض) بحضرة النبي (ص) عن حاطب (وحاطب مهاجري بدري) دعني أضرب عنق هذا المنافق. فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً، بل كان مخطئاً متأوِّلاً[2]، وقال من كان على غير الاسلام وقد بلغه

---

(١) راجع: أسباب النزول للواحدي ــ ص ١١٨، و مسند أحمد /٤٣٦/٢، والباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفاء، وراجع ترجمة قدامة بن مظعون في الاستيعاب والإصابة وطبقات ابن سعد في ترجمة أبي هريرة، وكتب التواريخ في قتل خالد مالك بن نويرة وهما صحابيان ونكاحه زوجة مالك من ليلته.

(٢) «الفصل» لابن حزم ٢٥٧/٣، الطبعة الأولى.

أمر الاسلام فهو كافر، ومن تأوَّل من أهل الاسلام فأخطأ فان كان لم تقم عليه الحجَّة، ولا تبيَّن له الحق؛ فهو معذور مأجوراجراً واحداً لطلبه الحق وقصده إليه، مغفورله خطأه الخ[1]. وقال أيضاً أمّا الشيعة فعمدة كلامهم في الإمامة، والمفاضلة بين أصحاب النبي (ص)، وٱختلفوا فيما عداذلك كما اختلف غيرهم[2].

ولا ريب في أن الشيعة لم يقولوا في الإمامة والمفاضلة ما قالوا إلاّ بالحجج التي عندهم من الكتاب والسنَّة، ولوكانوا بزعم غيرهم مخطئين متأوِّلين فهم معذورون مأجورون على كل حال، ويأتي مزيد إيضاح لذلك إن شاء الله تعالى في بعض المباحث الآتية والله الهادي إلى الصواب.

---

(١) المصدر السابق ٣/٢٥٨.

(٢) المصدر السابق ٢/٢١٣.

الدعاء الذي نقله عن مفتاح الجنان

وفي ص ١٥ نقل عن مفتاح الجنان دعاءً ثم فسَّره بما يهين بعض الصحابة، وقال هو يعني كتاب مفتاح الجنان بمنزلة دلائل الخيرات[1] في بلاد العالم الاسلامي الخ.

لم أجد هذا الدعاء في أصل من أصول الشيعة، ولم أسمع بواحد من مشايخي، ولا بأحد من الشيعة يقرأ هذا الدعاء، ولم أعثر بعد عليه إلّا في كتاب الخطيب، والكتاب الذي ذكره ليس من الكتب المعتمدة، وليس له هذا الشأن والاعتبار والاشتهار فقد بحثت عنه في عدة من المكتبات فلم اجد فيها وفي فهارسها منه عيناً ولا أثراً.

نعم يوجد عند الشيعة كتاب دعاء اسماهُ مولفه المحدث الشيخ عباس القمي «مفاتيح الجنان» ليس فيه هذا الدعاء، ويوجد فيه طعن شديد على الكتاب الموسوم بمفتاح الجنان ولعله هو الكتاب الذي ذكره الخطيب، وهذا الكتاب لو كان أصله من تأليف بعض الشيعة فلا شك في وقوع التصرف والدسِّ فيه، وذكر المحدث القمّي أنَّ فيه زيادات ليست في كتب الأدعية المعتبرة قددسَّها فيه الوضَّاعون. والمحدث المذكور

---

(١) كتاب دلائل الخيرات رائج بين العامة. وفيه أشياء تخالف السنَّة كمانبه عليه بعضهم في ذيل ص ١٧ من الخطوط العريضة في الطبعة السادسة، ومع ذلك لم ينكر عليه الخطيب كما أنكر على مفتاح الجنان.

صنَّف المفاتيح لتخليص المفتاح من هذه الزوائد، وما لا مأخذ له في كتب الدعاء، وعلى كل حال فلم أرلهذا الدعاء فيما بأيدينا من كتب الشيعة رواية، والأدعية التي يداوم الشيعة على قراءتها هي الأدعية المأثورة عن أهل البيت (ع).

ومن أراد أن يرى الشيعة في مرآة ادعيتهم ينبغي له الرجوع إلى الكتب التي صنَّفها علماؤهم الأجلاّء كالشيخ الطوسي، والسيد بن طاوس، وغيرهما في الدعاء.

وقد أفردوا في جوامعهم في الحديث أيضاً كتباً في الدعاء لا ترى لهذا الدعاء فيها إسماً ولا أثراً، وهذه الأدعية مشتملة على المطالب العالية في المعارف والأخلاق الإسلامية، والآداب الاجتماعية بأفصح الألفاظ وأبلغ العبارات التي تهذّب الأخلاق، وتصفّي الأرواح وتكمّل النفوس، وتطهّرها من الأوساخ المادية، وتزيد في الوعي الاسلامي. فاقرأ الدُّعاء الذي علَّمه الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) أباحمزة الثمالي، والدُّعاء الذي علَّمه سيّدنا أميرالمؤمنين (ع) كميل بن زياد، ودعاء الحسين (ع) في يوم عرفة، واقرأ الصحيفة السجّادية وسائر الأدعية حتى تعرف مبلغ ثروة الشيعة العلمية والروحية في الدُّعاء، وتعرف أنَّ الخطيبَ وزملاءه ممَّن يعيب الشيعة بدعاء صنمي قريش الذي عرفت حاله، ويتركون هذه الأدعية لا يريدون إلّا إثارة الضغائن المدفونة بالافتراء وتتبع عورات المسلمين.

افتراؤه على الشيعة بالتعصب للمجوسية

قال في ص ١٦: «وقد بلغ من حنقهم على مطفئ نار المجوسية في ايران، والسبب في دخول أسلاف أهلها في الاسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن سمَّوا قاتله أبا لؤلؤة المجوسي «باباشجاع الدين» روى عليُّ بن مظاهر من رجالهم عن أحمد بن إسحٰق القمِّيِّ الأحوص شيخ الشيعة و وافدهم أنَّ يوم قتل عمر بن الخطاب هو يوم العيد الأكبر، ويوم المفاخرة، ويوم التبجيل، ويوم الزكاة العظمى، ويوم البركة، ويوم التسلية الخ».

الشيعة طائفة كبيرة من المسلمين منتشرون في الممالك الإسلامية وغيرها كسوريا، ولبنان، و إمارات الخليج، والمملكة العربية، والأفغان، وهند، و پاكستان، و إيران، والعراق، واليمن، وتركيا، وتايلاند، وأندونيسيا. واوقيانيا، و بورما، وسائر بلاد آسيا وأوروبا وامريكا واكثر قدمائهم كانوا من عظماء المهاجرين والأنصار والتابعين، وليس جميعهم ايرانيين حتى يقال عنهم انهم سمَّوا أبالؤلؤة «باباشجاع الدين» تعصُّباً للمجوسية، وحنقاً على الخليفة.

ومطفئ نار المجوسية في إيران هو مطفئ نار الكفر والشرك وعبادة الأوثان في البلاد العربية، وسائر الممالك الاسلامية.

والسبب في دخول أسلاف أهلها في الاسلام هو السبب في

دخول جميع المسلمين من الصحابة وغيرهم في الاسلام، وليس هو إلّا الرسول الأعظم سيدنا محمد(ص) المبعوث إلى كافة الناس، والذي أرسله الله رحمة للعالمين، وبالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وهو أكرم خلق الله وأعزُّهم وأحبُّهم إلى الشيعة، ومن كان في قلبه حنق عليه مثقال ذرة أو أقلّ من ذلك فهو كافر عندهم خارج عن الاسلام.

والقسط الاكبر، والسهم الأوفر في نصرة الرسول (ص) لإطفاء نار الوثنية والمجوسية وسائر أنواع الكفر، والشرك إنما هو لاصحابه المجاهدين الأولين السابقين، الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس من المهاجرين والأنصار الذين بذلوا أنفسهم دونه، وجاهدوا في سبيل الله وقاتلو وقتلوا.

كأبي دجانة الأنصاري، وسيدالشهداء حمزة، وجعفر الطيّار، وبطل الإسلام ومجاهده الأكبر... رجل الحق والتضحية ... فارس الغزوات وقاتل صناديد الشرك علي بن ابي طالب (ع).

وكلُّ باحث في التاريخ يعلم أن سبب فتوحات المسلمين بعد ارتحال النبيِّ (ص) إلى الرفيق الأعلى هو إيمان المجاهدين بحقيقة الرسالة، وخلوص عقائدهم، وصدق نيّاتهم، وقوّة عزائمهم، وثباتهم وصبرهم عند لقاء العدو، وحبُّهم للتضحية والشهادة، والجهاد في سبيل الله.

فهذه الفتوحات فتوحات الدين ... فتوحات الايمان والعقيدة ... فتوحات التربية المحمّدية؛ وفتوحات الأمة الاسلامية لا تنسب إلى شخص واحد او قوم بعينهم لأنها ليست كغيرها من فتوحات الجبابرة مثل اسكندر ونابليون التي ليس من ورائها قصد إلّا استعباد الناس، وبسط السلطة والملك، واغتصاب الأراضي، وليست الغلبة فيها بالسلاح وكثرة العدة والعدد بل كانت بقوة الإيمان والثقة بالله، وان النصر منه، والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

واما دخول أسلاف أهل إيران في الاسلام فإنه لم يكن بالإكراه والإجبار حتى يوجب الحنق على من أدخلهم فيه بل كان عن كمال الاشتياق والاختيار.

فقد فتحت حقيقة دعوة الاسلام وخلوصها من الشرك وسماحة تشريعاته واحكامه، وجامعية تعاليمه واكمليته قلوب الايرانيين الى الاسلام، وثباتهم على العقيدة الاسلامية، وشدة تمسكهم بمبادئه الى اليوم، وخدماتهم للإسلام كما تأتي الاشارة إليها سجِّلت في التاريخ الاسلامي.

والخطيب يفتري عليهم، ويرميهم بالتعصب للمجوس، وينسى حنق المنافقين على علي بن أبي طالب لأنه قتل آباءهم وأبناءهم وأقاربهم في سبيل الله.

وحنق الأمويِّين وغيرهم من مبغضي أهل البيت على الاسلام وعلى الامام علي(ع)، فلم يسند ما ظهر من الفتن الدامية بين المسلمين الى حنق هؤلاء الذين لم تذب بالاسلام عصبياتهم الجاهلية، وبقيت قلوبهم مملوءة بالحقد والحنق على النبي(ص) وأهل بيته، وعلى المجاهدين الأبطال الذين جعل الله بسيوفهم ومجاهداتهم كلمة الاسلام هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

فراجع ما ذكره المسعودي في حوادث سنة اثنتي عشرة ومئتين من سبب أمر المأمون بلعن معاوية على المنابر حتى تعرف حنق هؤلاء على الرسول (ص) وعلى أهل بيته.[1]

وعلى كل حال فالمؤمنون كلهم اخوة. لافرق بين إيرانيِّهم وعربيِّهم، وأبيضهم وأسودهم إلّا بالتقوى.

---

(١) مروج الذهب ٣٦١/١، ٣٦٢.

قال الله تعالى: «إن أكرمكم عندالله أتقاكم».

واما ما ذكره من رواية علي بن مظاهر فهي رواية ضعيفة المتن وضعيفة السند لم نجدها لا في الجوامع ولا في الأصول المعتبرة عند الإمامية، كما لم نجد ترجمة علي بن مظاهر الذي عدّه الخطيب من رجال الشيعة لا في كتب الرجال ولا في غيرها. ولا يستغرب وجود مثل هذا النقل عن مجهول في بعض المجاميع الكبيرة المبسوطة التي اعتاد مؤلّفوها جمع الأخبار من غير أن يكترثوا لاعتبار أسانيدها وتحقيق متونها. وتجد أمثالها في كتب أهل السنة ايضاً.

فلا ينبغي مؤاخذة السني أو الشيعي بهذه الأخبار، بل يجب الرجوع إلى مَهَرَة علم الحديث من علماء الفريقين العارفين. وما ذكره من أن أبا لؤلؤة كان مجوسياً لم يثبت بل قيل ــ كما حكي عن الذهبي والطبري ــ أنه كان نصرانياً حبشياً.

وروي انه كان مجوسياً، وهو عمُّ أبي الزناد الذي كان عالم أهل السنة في المدينة، وإمامهم في الحساب والفرائض والفقه والحديث والشعر، وكان عبداً للمغيرة بن شعبة، وهل كان معتنقاً للإسلام حين ما كان في المدينة المنوَّرة أم لم يكن قد أسلم بعد؟

الظاهر أنه اعتنق الاسلام، لأنّ رسول الله (ص) أمر بإخراج الكفار من المدينة المنورة ومكة المكرمة، فلو كان كافراً لم يكن مأذونا له من الخليفة بالمقام بالمدينة والدخول الى مسجد النبيِّ (ص)، والوقوف في صف المصلّين[1]، وعلى كلٍّ لو كان فيمن يتولّى حبيبة الرسول فاطمة

---

(١) كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، كما انه لم يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة. فكتب إليه المغيرة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع، ويستأذنه أن يدخل المدينة، ويرغبه في ذلك ويقول: إنَّ عنده أعمالاً كثيرةً فيها منافع للناس

الزهراء سيدة نساء العالمين ويبالغ في ولايتها من سمع بمقالة النظام[1] أو قرأ كتاب ابن قتيبة[2] وغيره فسمّى ــ بزعم الخطيب ــ أبالؤلؤة (باباشجاع الدين) لايخرجه ذلك من الإيمان، ولا يجوز تفسيقه إذا كان عن اجتهاد، بل لا يجوز تكفيرقاتله إن ثبت إسلامه ولم تقم قرينة على معاندته للحق و خصومته للاسلام، بل كان ذلك منه تشفّياً لغيظه و غضبه على عمر لأنّه لم يكثر خراجه، ولم ينتصف له بزعمه من المغيرة.

فالمسلمون لم يكفّروا من نقم على عثمان من الصحابة وغيرهم، ولم يكفّروا قتلته، وفي أهل السنة من لا يكفّر عمران بن حطّان الناصبي الذي مدح أشقى الأولين والآخرين، وشقيق عاقرناقة صالح عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي بأبياته المشهورة الخبيثة، بل أخذوا عنه الحديث، بل اجترأ بعضهم وعدّ ابن ملجم من الصّحابة مع قولهم بأنّ الصحابة كلّهم

فهو حداد، ونقّاش، ونجارفأذن له في دخول المدينة (راجع تاريخ الخلفاء، ومروج الذهب).

فليسمح لي القارئ أن أقول: إن هذه القصة ليست بسيطة. فما أراد المغيرة من استيذانه الخليفة أن يدخل غلامه المدينة وترغيبه في ذلك مع علمه بأنه لا يأذن ذلك لمثله ولا تقبل النفس أن يكون ما ذكره المغيرة هو السبب لاستئذانه، فإن مثل هذا الغلام العارف بهذه الصنائع لم يكن بقليل في ذلك الزمان، أليس هذا شاهداً على أن بعث الغلام كان من أفاعيل السياسة وعلى تدخل المغيرة فيها وهو امر يحتاج الى البحث والتنقيب.

وذهب بعض الباحثين إلى أن وراء قتل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاءِ كانت مؤامرات يهودية، وان كعب الاحبار الذي كان من أشدّ المنحرفين عن أهل البيت كان صديق معاوية ومقوي سلطانه وله اليد الطولى في تدبير المؤامرة لقتل عمر، وليس ذلك ببعيد فإن اليهود لا يزالون وراء أكثر الفتن التي أصابت المسلمين إلى عصرنا هذا قاتلهم الله أنّىٰ يؤفكون.

(١) نقل الشهرستاني في الجزءِ الأول من «الملل والنحل» المطبوع بهامش «الفصل» ص ٧٣؛ أنه قال: إن عمر ضرب بطن فاطمة (ع) يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها وكان يصيح أحرقوها بمن فيها وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين. (انتهى كلامه).

(٢) الإمامة والسياسة ١/١١—١٤ الطبعة الأولى.

عدول[1].

فمن لم يكفِّر أمثال عمران بن حطّان، وحريز بن عثمان الرحبي الذي قال عنه يحيى بن صالح: صلّيت معه سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن عليّاً عليه الصلاة والسلام سبعين مرة[2]، وغيرهما من مبغضي علي بن ابي طالب(ع)[3]، ويأخذ منهم ومن شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد الحديث، ويذكر ابن ملجم في عداد الصحابة، كيف

---

(١) إذا كان الصحابة كلهم عدولاً فما معنى الحديث الذي اخرجه البخاري ١٣٦/٣ طبع المطبعة الميمنية عام ١٣٢٠هـ، وهو الحديث الثاني من كتاب الفتن باسناده عن النبي(ص): «أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إليَّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني فاقول: أي رب أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي صحيح مسلم / ٨ / ١٥٧ ط المطبعة العامرة عام ١٣٣٣هـ بإسناده عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله خطيبا بموعظة... ـ الى ان قال ـ ألا وإنَّه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذبهم ذات الشمال فأقول: يارب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح، وكنت عليهم شهيداً مادمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ انتَ الرقيبَ عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم. قال: فيقال لي: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. وفي حديث معاذ: «إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وإن شئت زيادة على ذلك فراجع أيضاً صحيح مسلم «باب إثبات الحوض / ٧ / ٦٥ الى ٧١» حتى تعرف كثرة هذه الأحاديث الصحيحة. رواها خلق من الصحابة منها ما أخرجه باسناده عن أنس أنه (ص) قال: ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رأيتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني فلأ قولن: اي رب اصحابي اصحابي، فليقالن لي: انك لا تدري ما احدثوا بعدك. فاذا كان الصحابة كلهم عدولاً فلا يوجد إذن مصداق لهذه الاحاديث والآيات النازلة في المنافقين.

(٢) تهذيب التهذيب / ٣ / ٢٤٠.

(٣) أخرج في أسد الغابة / ٥ / ١٠١ بإسناده عن يحيى بن عبدالرحمٰن الأنصاري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «**من أحبَّ عليّاً محياه ومماته كتب الله تعالى له الأمن والإيمان ما طلعت الشمس وما غربت، ومن أبغض عليّاً محياه ومماته فميتته جاهلية وحوسب بما أحدث في الاسلام**». أخرجه أبوموسى.

أقول: ألأخبار بهذا المضمون ونحوه كثيرة متواترة.

يعاتب الشيعة بزعم أن فيهم من يمدح أبالؤلؤة، ويسميه (بابا شجاع الدين) ويعدُّ ذلك مانعاً من التقريب واتحاد كلمة المسلمين.

فأمُّ المؤمنين عائشة سجدت لقتل الإمام عليٍّ شكراً وقالت ماقالت حتى عابها الناس.[1]

وهذا معاوية أظهر السرور بقتل أميرالمؤمنين والحسن عليهما السلام، وسبَّه وأمر بسبه على رؤوس المنابر. ألم يُظهر العثمانيُّون، والمروانيّون السرور بقتل الحسين (ع)، واتخذوا يوم عاشوراء عيداً، ووضعوا في فضيلته الأحاديث؟.

فإذا كان إظهار الفرح بقتل عمر بن الخطاب سببا للفسق أو الكفر أو العتاب فلم لا تعاتبون ولا تكفِّرون هؤلاء الذين أظهروا سرورهم بقتل أهل بيت النبيِّ والوصيِّ عليهم السلام واتخذوا يوم قتلهم عيدا؟!!

كانت مآتم بالعراق تعدُّها أموية بالشام من أعيادها

فإذاً ما ذكره الخطيب لا يمنع من التقريب، والتجاوب والتفاهم، واتحاد الكلمة بعد الاتفاق على الأسس التي قام عليها الاسلام، وعلى المسلمين أن لايتركوا الاعتصام بحبل الله لهذه الآراء التي أحدثتها سياسة الأمراء الجبارين، وأن يتمسَّكوا بالدعوة المحمدية، وهدى القرآن

---

(١) هذا الطبري وابن الأثير وغيرهما من المؤرخين ذكروا: لما انتهى إلى عائشة قتل علي (رض) قالت:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النَّوىٰ كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

فمن قتله؟ فقيل رجل من مراد فقالت:

فإن يك نائياً فلقد نعاه غلامٌ ليس في فيه الترابُ

فقالت زينب بنت أبي سلمة؟ ألِعَليٍّ تقولين هذا؟ فقالت: إنّي أنسى فإذا نسيت فذكِّروني.

والسنّة، ويأخذوا بقوله تعالى: «**تلك أمّة قدخلت لهاما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عمّا كانوا يعملون**»[1].

فلا يجدّدوا هذه المناقشات، ولا يخوضوا في هذه المباحث، فإنّه ليس عليهم حساب الأموات، ولا ينبغي أن يكون لهم غرض إلّانشد ان الحقيقة فإن ا لله عليمٌ بما في صدور العالمين.

---

(١) البقرة / ١٣٤.

خدمات الفرس للاسلام والمسلمين

يجب على كل مسلم في شرق الارض وغربها أن يقدّر خدمات الفرس للإسلام وعلومه، وأن يفتخر بهم وبمساعيهم الجميلة في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ومعارفه وآدابه، قوم مدحهم الله في كتابه فقال سبحانه وتعالى: «**ها أنتم هؤلاء تُدعَون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل و من يبخل فإنَّما يبخلُ عن نفسه وآلله الغنيُّ وأنتم الفقراءُ وإن تتولَّوا يستبدلْ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**» (محمد (ص): ٣٨).

أخرج البغوي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) تلاهذه الآية «**وإن تتولَّوا يستبدلْ قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم**» قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولَّينا آستُبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «**هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس**»[1].

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: ذكرت الأعاجم عند رسول الله (ص) فقال: النبي (ص): «**لَأنا بِهِمُ أو ببعضهم أوثق منّي بكم أو ببعضكم**».[2]

وأخرج ايضاً عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبيِّ (ص) إذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت هذه الآية: «**وآخرين منهم لمّا يلحقوا**

---

(١) مصابيح السنة ٢/٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٠٠.

بهم » قالوا: من هؤلاء يا رسول الله (ص)؟ قال وفينا سلمان الفارسي ثم قال فوضع النبيُّ (ص) يده على سلمان ثم قال: **«لو كان الإيمان بالثّريا لناله رجال من هؤلاء »**[1].

وأخرج ابن الاثير عن قيس بن سعد: «لو كان العلم متعلقا بالثريا لناله ناس من فارس »[2].

واخرج السيوطي في «مفحمات الأقران في تفسير مبهمات القرآن»[3] (سورة الجمعة) **«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم »** أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً أنهم قوم سلمان.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: هم الاعاجم.

وأخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبيِّ (ص) فأنزلت عليه سورة الجمعة **«وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم »** قال: قلت: من هم يا رسول الله (ص)؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله (ص) يده على سلمان ثم قال:

«لو كان الإيمان عند الثريّا لناله رجال أورجل من هؤلاء »[4].

وأخرج مسلم نحوه في كتاب الفضائل باب فضل سلمان.

وأخرج الحافظ ابونعيم[5] باسناده احاديث رويت عن النبي (ص) في فضل الإيرانيين وأنهم المبشرون بمنال الايمان والتحقق به و إن كان عند الثريا ولفظ بعضها **«لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل أوقال: رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه»**.

---

(١) مصابيح السنة ٢/٢٨٥.

(٢) أسد الغابة ٤/٢١٦.

(٣) ص ٤٦.

(٤) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن ص ١٢٥.

(٥) اخبار إصبهان ١/١٢—١٤، ط. ليدن ١٩٣١.

وفي بعضها: أنه قال (ص):«أعظم الناس نصيباً في الاسلام أهل فارس لو كان الاسلام في الثريا لتناوله رجال من أهل فارس».

وفي بعضها:«لو كان الدين معلّقاً» وفي بعضها «لو كان هذا العلم بالثريا لناله قوم من أهل فارس».

وفي بعضها:«لو كان الخير منوطاً بالثريا لتناوله منكم رجال ...» (الخ).

قوم نشأفيهم من رجالات العلم والفقه والحديث والتاريخ والفلاسفة والمتكلّمين، واساتذة البلاغة والأدب من يفتخر بهم الملأ الاسلامي كالبخاري، والنسائي، وأبي داوود السجستاني، والترمذي وابن ماجة ومسلم من ارباب السنن، والطبري وابن ماكولا الجرفاذقاني «الگلپايگاني» والحاكم والنيشابوري، والفخر الرازي، والبيضاوي، والفيروز آبادي وغيرهم من أعلام السنّيّين.

وكالصدوق، والكليني، والشيخ الطوسي، وأمين الاسلام الطبرسي والطبري الشيعي، وابن شهر آشوب، والأردبيلي، والسيد عليخان الشيرازي و قطب الدين الرازي، والشيخ الرضي مؤلف كتاب «شرح الرضي»، والعلامة المجلسي، والفيلسوف أبي نصرٍ الفارابي، وأبي على بن سينا البلخي، والخواجه نصيرالدين الطوسي، وابن مسكويه، والحكيم الإلٰهي السيد الداماد، وصدر المتألهين الشيرازي، والفاضل الآوي، وسالار الديلمي، والشيخ بهاء الدين محمد العاملي، والوحيد البهبهاني، والفاضل النراقي، والشيخ الأنصاري والميرزا الشيرازي، وفي هذا العصر ترجمان العلوم الاسلامية أستاذنا السيد الزعيم الحاج آغا حسين الطباطبائي البروجردي المتوفى ١٣٨٠[1] وغيرهم من أعلام الشيعة.

---

(١) وقد كان أكبر همه إعلاءَ كلمة الإسلام، وبسط تعاليمه في العالم، وكان من

فحق للإيراني بل لكل مسلم أن يفتخر بألوف من أمثال هؤلاء الجهابذة والنوابغ الذين لا ينسى التاريخ مساعيهم المشكورة في خدمة الإسلام، وجهودهم في الاحتفاظ بشعائر الدين الحنيف. وهذه كتبهم ومدارسهم ومساجدهم تنبئ عن قدمهم الراسخة في الغيرة على الاسلام وكتابه وأمته، وعن خلوص نيّاتهم في سبيل إعلاءِ كلمة التوحيد.

وان نسب اليهم الخطيب التعصب للمجوس فالله تعالى يقول.

«وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» [1]

ويقول عزشأنه:

«ولو نزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين». [2]

الزعماء المصلحين الداعين إلى الإتحاد والاتفاق، والأخوة الإسلامية والاعتصام بحبل الله تعالى، وله فى التقريب خطوات واسعة وجهود مشكورة لا تنسى فرحمهُ الله تعالى وأرضاه.

(١) محمد (ص): ٣٨.

(٢) الشعراء: ١٩٨.

الإيمان بظهور المهدي (عج) فكرة إسلاميّة

ممّا اتفق عليه المسلمون خلفاً عن سلف، وتواترت فيه الأخبار عن النبيِّ (ص): أنَّه لابدَّ من إمام يخرج في آخر الزمان من نسل علي وفاطمة يسمَّى باسم الرسول، ويلقب بالمهدي، يستولي على الارض، ويملك الشرق والغرب، ويتبعه المسلمون، ويهزم جنود الكفر، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وينزل عيسى من السماء ويصلِّي خلفه ...

وأخرج جمع من أعلام أهل السنَّة والجماعة روايات كثيرة في أنه من عترة رسول الله (ص) ومن ولد فاطمة، ومن ولد الحسين، وأنّه يملأ الأرض عدلاً، وأنَّ له غيبتين إحداهما تطول، وأنَّه الخليفة الثاني عشر من الخلفاء الذين أخبر النبيُّ (ص) بأنَّهم يملكون أمر هذه الأمة، وأنَّه لا يزال هذا الدين منيعا إلى اثني عشر، وفي شمائله، وخلقه وخلقه، وسيرته بين الناس وشدته على العمّال، وجوده بالمال، ورحمته بالمساكين، وفي اسم صاحب رايته، وما كتب فيها، وكيفية مبايعته بين الركن والمقام، وما يقع قبل ظهوره من الفتن، وذهاب ثلثي الناس بالقتل والموت، وخروج السفياني، واليماني، والدَّجّال، ووقوع الخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، وفي علائم ظهوره وأنه ينادي ملك فوق رأسه: «هذا المهدي خليفة الله فاتَّبعوه»، وأنَّ شيعته يسيرون إليه من أطراف الأرض، وتطوى لهم طيّاً حتى يبايعوه، وأنه يستولي على البلدان، وأن الأمة ينعمون في زمنه نعمة لم ينعموا مثلها، وغيرها من العلائم والأوصاف التي اقتطفناها من

روايات أهل السنة، فراجع كتبهم المفردة في ذلك كأربعين الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، و«البيان في أخبار صاحب الزمان» لأبي عبدالله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي (المتوفى / ٦٥٨ هـ)، و«البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» للعلامة المتقي صاحب منتخب كنز العمال (المتوفى / ٩٧٥هـ)، و«العرف الوردي في أخبار المهدي» للسيوطي (المتوفى / ٩١١هـ)، و«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر (متوفى / ٩٧٤هـ)، و«عقد الدرر في أخبار المنتظر» للشيخ جمال الدين يوسف الدمشقي من أعلام القرن السابع، و«التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، والدجّال، والمسيح» للشوكاني (المتوفى / ١٢٥٠هـ).

أضف إلى ذلك روايات أخرجها أكابر المحدّثين منهم في كتبهم وصحاحهم، ومسانيدهم، كأحمد، وأبي داود، وابن ماجة، والترمذي، ومسلم، والبخاري، والنسائي، والبيهقي، والماوردي والطبراني، والسمعاني، والرُّويانى، والعبدري، وابن عساكر، والدارقطني وأبي عمرو الداني، وابن حبان، والبغوي، وابن الأثير، وابن الديبع، والحاكم النيشابوري والسهيلي، وابن عبدالبر، والشبلنجي، والصبّان، والشيخ منصور علي ناصف؛ وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر أسمائهم.

وأضف اليها تصريحات جماعة من علمائهم بتواتر الأحاديث الواردة في المهدي (عج)[1].

فلا خلاف بين المسلمين في ظهور المهدي (عج) الذي يملأ الأرض عدلاً وإنّما وقع الخلاف بينهم في أنه ولد أم سيولد.

---

(١) راجع في ذلك غاية المأمول ٣٦٢/٥ و ٣٨١ و ٣٨٢، والصواعق ص ٩٩ ط المطبعة الميمنية بمصر، وحاشية الترمذي ص ٤٦ ط دهلي عام ١٣٤٢، وإسعاف الراغبين ب ٢

فالشيعة الإمامية يقولون بولادته، وبوجوده، وحياته، وغيبته، وأنه سيظهر بإذن الله تعالى، وأنه الإمام الثاني عشر، وهو: ابن الحسن ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب (ع).

ورواياتهم في ذلك تجاوزت حد التواتر، معتبرة في غاية الاعتبار، مؤيدة بعضها ببعض، وكثير منها من الصحاح بل مقطوع الصدور... رواها في جميع الطبقات الأثبات الثقات من الأجلّاء الذين لاطريق للغمز فيهم.

وإن شئت أن تعرف مقدار ذلك فارجع الى ما ألّفه الحافظ الجليل الثقة أبو عبدالله النعماني بأسناده العالية، وما ألّفه الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي [1] الإمام في جميع العلوم الاسلامية، وكتاب «كمال الدين وتمام النعمة» تأليف الشيخ المحدّث الكبير محمد بن علي ابن الحسين الصدوق (المتوفىٰ / ٣٨١هـ) وكتابنا «منتخب الأثر»، ومئات من الكتب المصنّفة في ذلك.

وهذه الروايات مخرجة في أصول الشيعة وكتبهم المؤلّفة قبل ولادة الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عليهما السلام، بل قبل ولادة أبيه وجده.

منها كتاب «المشيخة» لامام أهل الحديث ألشيخ الثقة الثبت

ص ١٤٠ ط مصر عام ١٣١٢، ونور الأبصار ص ١٥٥ ط مصر عام ١٣١٢، والفتوحات الاسلامية ٢/٢٠٠ ط ١٣٢٣، وسبائك الذهب ص ٧٨، والبرهان في علامات مهدي آخرالزمان ب ١٣، ومقاليد الكنوز المطبوع بذيل مسند احمد ٥/ح ٣٥٧١، والاذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، والاشاعة لاشراط الساعة، وابراز الوهم المكنون وغيرها.

(١) هو شيخ الطائفة ومن مؤلفاته كتاب: «تهذيب الاحكام» صدر في عشر مجلدات «الرضوي».

ألحسن بن محبوب السراد الذي يُعَدُّ كتابه هذا في كتب الشيعة اشهر من كتاب المزني ونظرائه، وكان قد صنّفه قبل ولادة المهدي بأكثر من مئة سنة، وذكر فيه أخبار الغيبة فوافق الخبر المخبر، وحصل كلّما تضمنه الخبر بلا اختلاف.

وأمّا ولادته (ع) فقد ثبتت بأوكد ما تثبت به أنساب الجمهور من الناس، إذ كان النسب يثبت بقول القابلة ومثلها من النساء اللّاتي جرت عادتهن بحضور ولادة النساء وتولّي معونتهن عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الإبن منه.

وقد ثبتت أخبار عن جماعة من أهل الديانة والفضل، والورع، والزهد، والعبادة، والفقه؛ عن الحسن بن علي أنّه اعترف بولادة المهدي (عج)، وآذنهم بوجوده، ونصّ لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً، وشاباً كاملا.[1]

وهذا فضل بن شاذان العالم المحدث المتوفى قبل وفاة الإمام أبي محمد الحسن العسكري (ع)؛ روى عنه في كتابه: «الغيبة» خبر ولادة ابنه المهدي، وكيفيتها، وتاريخها. وكانت ولادته عليه السلام بين الشيعة وخواصّ أبيه من الأمور المعلومة المعروفة، وقد أمر ابوه (ع) أن يعقّ عنه ثلاثمئة شاة، وعَرَضَهُ على أصحابه يوم الثالث من ولادته. والأخبار الصحيحة الواردة بأسناد موثقة جداً في ذلك كثيرة متواترة.

وقد أحصى بعض العلماء أسماء جماعة ممّن فازوا بلقائه في حياة أبيه وبعدها، كما قد نقل عن بعض أهل السنة الاجتماع به (ع)، بل أخرج بعض حفّاظهم مثل حافظ زمانه أحمد بن محمد بن هاشم البلاذري

---

(١) راجع: الفصول العشرة في الغيبة للمفيد.

الحديث عنه عليه السلام.

نعم كان أبوه وشيعته يسترون ولادته عن أعدائه من بني العباس وغيرهم. وكان السرُّ في ذلك أنَّ بني العبّاس لمّا علموا من الأخبار المروية عن النبيِّ (ص) والأئمة من أهل البيت عليهم السلام؛ أن المهدي هوالثاني عشر من الأئمة، وهو الذي يملأ الأرض عدلا، ويفتح حصون الضلالة، ويزيل دولة الجبابرة؛ أرادوا إطفاء نوره بقتله، فلذا عيَّنوا العيون والجواسيس للتفتيش في بيت أبيه، ولكن أبىٰ الله أن يجري في حجّته المهدي سنَّة نبيِّه موسى (ع)، وقدورد في الروايات الكثيرة عن آبائه (ع) خفاء ولادته، ومشابهته في ذلك لموسى (ع). فراجع الباب الثاني والثلاثين من الفصل الثاني من كتابنا «منتخب الأثر».

فعلىٰ هذا لم ينبعث الإيمان بظهور المهدي (عج) إلّا من الإيمان بنبوَّة جدِّه محمَّد (ص)، وليس في الخصوصيات المذكورة أمر غير مألوف ممّا لم تجد مثله في هذه الأمة أو الأمم السالفة؛ فلابدَّ لمن يؤمن بالله، وبالنبيِّ الصادق المصدَّق بعد العلم بهذه الأخبار الكثيرة؛ من الإيمان بظهور المهدي المنتظر صاحب هذا النسب المعلوم، والسمات والنعوث المشهورة، ولا يجوز مؤاخذة الشيعيِّ بانتظار هذا الظهور، ولا يصحُّ دفع ذلك لمحض الاستبعاد.

فالمسلم الذي يؤمن بحياة عيسى، بل وحياة الدجَّال الكافر وخروجه في آخرالزمان، وبحياة خضر وإدريس، ويروي عن نبيه في أصحِّ كتبه في الحديث[1] أنَّه احتمل كون ابن صيَّاد هو الدجَّال، ويروي عن

---

(١) راجع: صحيح مسلم / القسم الثاني من الجزء الثاني / باب ذكر ابن صيّاد، وباب خروج الدجّال، وسنن الترمذي ج ٢ وأبي داود / باب خبر ابن صيّاد من كتاب الملاحم، وابن ماجة ج ٢ / أبواب الفتن / باب فتنة الدجّال، وخروج عيسى.

تميم الداري ما هو صريح في أنَّ الدجّال كان حيّاً في عصر النبي (ص) وأنه يخرج في آخر الزمان، ويؤمن بطول عمر نوح ويقرأ في القرآن قوله تعالى: «**فلبث فيهم ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً**» وقوله تعالى: «**فلولا أنَّه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون**» وامثال هذه الأمور مما تستغربه بعض الأذهان لقلة الأنس به؛ كيف يعيب الشيعة على قولهم ببقاء الإمام المنتظر، وينسبهم الى الجهل وعدم العقل؟ ومفاسد هذه الاستبعادات في المسائل الدينية كثيرة، ولو فتح هذا الباب لأمكن إنكار كثير من المسائل الاعتقادية وغيرها ممَّا دلَّ عليه صحيح النقل بالاستبعاد، ويلزم من ذلك طرح ظواهر الأخبار، والآيات بل وصريحها، ولا أظن بمسلم ان يرضى بذلك، وإن كان الخطيب ربَّما لا يأبىٰ ذلك ويراه نوعاً من الثقافة.

ووافق الامامية من أعلام أهل السنة في أن المهدي هو ابن الحسن العسكري عليهما السلام جمع كثير كصاحب روضة الأحباب، وابن الصبّاغ مؤلف «الفصول المهمة»، وسبط ابن الجوزي مؤلف «تذكرة الخواص»، والشيخ نورالدين عبدالرحمٰن الجامي الحنفي في كتاب «شواهد النبوَّة»، والحافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي مؤلف «البيان في أخبار صاحب الزمان»، والحافظ أبي بكر أحمد ابن الحسين البيهقي الفقيه في «شعب الايمان»، فانه يظهر منه على ما حكي عنه الميل إلى موافقة الشيعة بل اختيار قولهم، وذلك لأنه نقل عقيدة الشيعة ولم ينكرها، وكمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعي صاحب «العقد الفريد» صرح بذلك في كتابه «الدر المنتظم» و «مطالب السؤول» وله في مدحه (ع) أبيات، والقاضي فضل بن روزبهان شارح «الشمائل» للترمذي، ومؤلف «ابطال نهج الباطل»، وابن الخشاب والشيخ محيي الدين، والشعراني، والخواجه محمد پارسا، وملك العلماء

القاضي شهاب الدين دولة آبادي في «هداية السعادة»، والشيخ سليمان المعروف بخواجه كلان البلخي القندوزي في «ينابيع المودة»، والشيخ عامر بن عامر البصري صاحب القصيدة التائية المسمّاة بذات الأنوار، وغيرهم من العلماء ممنَّ يطول بذكرهم الكلام.

وقد صرَّح بولادته جماعة من علماء أهل السنة وهم أساتذة في النسب والتاريخ والحديث كابن خلكان في «الوفيات»، وابن الأزرق في «تاريخ ميافارقين» على ما حكى عنه ابن خلكان، وابن طولون في «الشذرات الذهبية»، وابن الوردي على ما نقل عنه في «نور الابصار»، والسويدي مؤلف «سبائك الذهب»، وابن الأثير في «الكامل» وأبي الفداء في «المختصر»، وحمدالله المستوفي، في «تاريخ گزيده»، والشبراوي الشافعي شيخ الأزهر في عصره في «الإتحاف»، والشبلنجي في «نور الابصار»، بل يظهر منه اعتقاده بإمامته، وأنه المهدي المبشَّر بظهوره، وإن شئت أن تقف على أكثر من ذلك فراجع كتابنا «منتخب الأثر» الباب الاول من الفصل الثالث منه.

ومع هذا أليس من عجيب جرأة الخطيب وعناده وتحامله على الشيعة؛ انكاره في ص ١٦ و ٢٩ ولادة المهدي (عج) لأنها لم تسجَّل بزعمه في سجل مواليد العلويين وقد خرج هنا عن حدود الأدب، وبالغ في الفحش والافتراء، وأظهر سجيَّته ــ وكل اناء بالذي فيه ينضح ــ، ولم يستند فيما ذكره من الأراجيف والأضاليل إلى برهان، وادَّعى أنَّ ولادته لم تسجل في مواليد العلويين كأنَّهم جعلوا سجل مواليدهم عنده وكان هو النقيب القائم على سجل ولاداتهم، وعلم أنساب أهل البيت مذخور عنده دون غيره من العلويين وشيعتهم، ودون أرباب التواريخ وعلماء الأنساب فمن لم يعرفه الخطيب فليس منهم!!

أيُّها الخطيب!

ما هذا السِّجلُّ الذي سجلت فيه ولادات العلويين في عصر الإمام أبي محمَّد الحسن العسكري (ع)؟ ومن أين يطلب؟ ومن أخبرك به؟ ومن أطلعك على مواليد جميع العلويين؟ ومن كان النقيب في تلك الأعصار؟

ومن أين تقول: إنَّ العلويِّين لا يعرفون ولداً للحسن العسكري (ع) مع أنَّ كثيراً منهم من أخلص الناس ولاءً له؟ وهل يوجد طريق لإثبات ولادة المولود أوثق من إخبار والده وقابلته، وخواصِّ أهل بيته؟

أيشك عاقل في ولادة من رآه مئات من الناس، والأخيار الأثبات، وظهرت منه الكرامات الكثيرة؟

إذا كان هذا ومثله معرضاً للشكّ فلا يبقى اعتمادٌ على ما نقله التاريخ من حوادث الأعصار، ووقايع الأمصار.

نعم قد خفيت ولادته عن أعدائهم لأنهم كانوا ساعين في إطفاء نوره والاستيلاء عليه، لِما وصل إليهم من الأخبار المبشِّرة بظهوره، وأنه هو الشَّخص الَّذي يزيل دولة الجبابرة. فهذا المعتضد الخليفة العباسي يرسل الجواسيس إلى بيت الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) لأخذ ابنه!

ومن الأغلاط الفاحشة التي أسندها هذا الرجل «تبعاً لأسلافه» إلى الشيعة هو: أن الامام المنتظر مخبوء في سرداب بيت أبيه، وأسند

---

(١) ذكرنا في «منتخب الأثر» أسماء جماعة ممن شاهدوه في حياة أبيه، وأما أسماء الذين شاهدوه من ابتداء زمان غيبته إلى هذا الزمان، فليس في وسع الكاتب إحصاؤها وضبطها.

وقد صنف في أسمائهم وحكاياتهم كتباً مفردة ككتاب «تذكرة الطالب فيمن رأى الامام الغائب» و «تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي» (عج) و «دارالسلام فيمن فاز

اختراع هذه الفكرة إلى محمَّد بن الحسن النميري المعروف بين الشيعة بالكفر والزندقة والإلحاد، والملعون على لسان الإمام أبي الحسن علي الهادي (ع)، وأعجب من ذلك عدُّه النواب، ووكلاء الامام باباً للسرداب إلى آخر ما قال من الهذيان والافتراء.

أقول: هذه كتب الشيعة المؤلَّفة قبل ولادة المهدي (عج)، وولادة أبيه وجده (ع) إلى هذا الزمان ليس فيها لهذا البهتان أثر في كتاب واحد من أصاغر علماء الشيعة فضلا عن أكابرهم كالكليني والصدوق و النعماني والمفيد، والشيخ، والسيدين المرتضى والرضي وغيرهم، فراجع كتب الشيعة حتى تقف على مبلغ عصبية الخطيب ونظرائه وعنادهم، وتعرف ميزان ثقافتهم وعلمهم بآراء الفرق والمذاهب.

نعم لوقرأ هو وأسلافه كتب الشيعة لوجدوها مشحونة بأحاديث تكذِّب هذه النسبة، ولكنهم لم يعتادوا الفحص والتتبع والتحقيق سيَّما في الفرق والمذاهب فيقولون فيهم ما يشاؤن، ويتَّبعون مالا يعلمون، وما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنُّون.

برؤية الإمام» و «بدايع الكلام فيمن فاز بلقاءِ الإمام» و «بهجة الأولياءِ فيمن فاز بلقاءِ الحجة (عج)»، وكذا ذكرنا فيه أخبار ولادته وعلَّة غيبته وشباهته في ولادته بموسى على نبينا وآله وعليه السلام، فعليك بالرجوع إليه فإنا قد استقصينا فيه الكلام حول وجوده وشخصيته الكريمة.

الشيعة والعقيدة بالرجعة

دار البحث بين الشيعة وغيرهم في مسألة الرجعة منذ عهد قديم ممّا يرجع تاريخه إلى المئة الأولى من الهجرة، وكانت لهم فيها مقالات، وبحوث، واحتجاجات يجدها المتتبع في كتب الفريقين. والقول بالرجعة هو رأي العترة الطاهرة، وكان البحث فيها رائجا بينهم و بين غيرهم، ومستندهم في ذلك آيات من القرآن المجيد وروايات رووها بأسانيدهم الذهبية المروية عن جدّهم رسول الله (ص).

فالحقيقة التي لا يمكن إنكارها لدى الباحثين في المسائل الاسلامية هي أنَّ المصدر في العقيدة بالرجعة هم أئمة أهل البيت الذين ثبت وجوب التمسك بهم بحديث الثقلين وغيره.

فالشيعة تقول بالرجعة على نحو الإجمال لاستلزام إنكارها ردَّ القرآن والروايات المتواترة المخرجة في كتبهم المعتبرة، ولعدم مانع عقلي أو شرعي من القول بها.

واستشهدوا لأصل إمكان الرجعة ووقوعها وعدم استحالتها بوقوعها في الأمم السالفة. فقد اخبر الله تعالى عنه في آيات منها قوله تعالى:

«ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذرالموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم»[1] وقوله تعالى:

---

(١) البقرة: ٢٤٣.

«أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنّىٰ يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه»[1].

ويمكن الاستشهاد له أيضاً بقوله تعالى:

«فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين»[2].

واستدلوا بأنها ستقع في هذه الأمة لامحالة بقوله تعالى:

«ويوم نحشر من كلِّ أمة فوجاً ممَّن يكذِّب بآياتنا فهم يوزعون»[3].

فان هذا اليوم ليس يوم القيامة لان فيها يحشر الله تعالى جميع النّاس، لقوله تعالى: **«وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً»**[4].

فأخبر الله تعالى في الآيتين بأنَّ الحشر حشران، حشرٌ عام، وحشرٌ خاص، فاليوم الذي يحشر فيه من كلِّ أمة فوجاً لابدَّ أن يكون غير يوم القيامة وهو يوم الرجعة. واعتمدوا أيضاً فيها على روايات كثيرة، منها ألخبر المعروف بين الفريقين **«لتتبعنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحرضب تبعتموهم»**.[5]

فيجب أن يكون من هذه الأمة قومٌ يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم كما وقع ذلك في الملأ الذين خرجوا من ديارهم، وفي غيرهم.

فلاوجه لأن يستبعد الرجعة من يؤمن بالله تعالى، وبقدرته بعد دلالة العقل والنقل على إمكانها، وبعد وقوعها في الأمم السابقة وإخبار النبي (ص) وأهل بيته بوقوعها في هذه الأمة، ولا قيمة للاستبعاد في

---

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) الانبياء: ٨٤.

(٣) النمل: ٨٣.

(٤) الكهف: ٤٧.

(٥) مصابيح السنة / ٢ / ١٨٢.

انكارها، وإلّا لجازَ أن يردَّ به كثير من معجزات الأنبياء، وإحياءِ الموتى يوم القيامة، وعذاب القبر، وغيرها من الأمور الثابتة بالنقل.

وأمّا ما ذكره الخطيب في ص ١٦ و ١٧ وغيرهما حول تفاصيل الرجعة وكيفيتها فليس أكثره ممّا دلت عليه آية، أو وردت فيه رواية معتمدة صحيحة، بل لايلزم الاعتقاد ببعض هذه التفاصيل وإن وردت فيه رواية لعدم حجية أخبار الآحاد في المسائل الاعتقادية. هذا مضافاً إلى ضعف كثير من هذه الأخبار الدالة على التفاصيل إمّا من جهة الدلالة أو من جهة السند، ومع هذا كيف أسند هذا المفتري على الشيعة ما ذكره في ص ٢٠ من الاعتقاد برجعة الشيخين، وصلبهما على شجرة في زمان المهدي (ع).

واعجب من ذلك إسناده هذه العقيدة إلى السيد الشريف المرتضى الذي اشتهر عنه عدم جواز الاحتجاج بأخبار الآحاد في الفروع الفقهية، فضلا عن مثل هذه المسألة. وهذا كتاب: «مسائل الناصرية» موجود عندنا، لم نجد فيه بحثاً عن الرجعة.

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن القول بالرجعة ليس مورد اتفاق جميع الشيعة[1] وليس التشيُّع منوطاً به، ولا من لم يتحصله خارجاً عنه، ولم يؤمن بها من آمن بها إلّا تسليما بما أخبر به النبيُّ (ص)، وتصديقاً لما أنبأ عن المغيبات، ولكن القوم ينكرون ذلك على الشيعة ويؤاخذونهم به كأنّهم

---

(١) سئل الشريف المرتضى في المسائل التي وردت عليه من الريّ عن حقيقة الرجعة فأجاب:

«أن الذي تذهب إليه الشيعة الامامية أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي (عج) قوما ممّن كان تقدم موته من شيعته، وقوماً من أعدائه وإنَّ قوماً من الشيعة تأوّلوا الرجعة على أن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الاشخاص، وإحياء الاموات. راجع (اعيان الشيعة ١/١٧٣–١٧٤).

عبدوا حجراً أو صنماً.

فعلى ما ذكر ليس في العقيدة بالرجعة ــ سيَّما على وجه الإجمال ــ ما يمنع من التفاهم والتقريب، ولا منافاة بين هذه العقيدة وبين جميع ما يجب أن يلتزم به المسلم من أركان الدين وما بني عليه الاسلام.

من سوء أدب الخطيب نسبة التزوير الى السيدين

نسب الخطيب الى الشريف المرتضى. واخيه الشريف الرضي الاشتراك في تزوير الزيادات على نهج البلاغة فقال فيما ذكر اخيراً في الرجعة [السيد المرتضى مؤلف كتاب أمالي المرتضى وهو اخوالشريف الرضي الشاعر وشريكه في تزوير الزيادات على نهج البلاغة. ولعلّها اكثر من ثلث ذلك الكتاب، وهي التي فيها تعريض للصحابة وتحامل عليهم] الخ.[1]

اذا وصف الطائيّ بالبخل مادر ... وعيرقساً بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت خفية ... وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء ترفعاً ... وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زرإن الحياة ذميمة ... ويا نفس جدّى إن دهرك هازل

من هو ان الدنيا ان من ملأ كتابا بأبشع الاكاذيب، وخان الاسلام بقلمه وتزويراته، ينسب التزوير الى من بلغ في الصدق والامانة والتثبت درجة قلّما يوجد نظيره في العلماء الا ثبات الثقات.

وإنى أرى أن الإعراض والصفح الجميل عن سوء أدبه بالسيدين أولى فإن تحامل مثله عليهما لايمس بماهما عليه من الجلالة وقداسة

---

(١) الخطوط العريضة ص ٢٠.

النفس، والشخصية والعبقرية، وعلو المقام. ويضرب بهما المثل الاعلى في العلم، والادب والبلاغة، وإباء النفس، وعلو الطبع والتقوى، وكرائم الاخلاق ومحامد الاوصاف.

وقد شهد بعظمة قدرهما، ونبوغهما في العلم والادب والورع والدين عظماء الفريقين، وترجمهما علماء التاريخ والرجال ومؤلفو المعاجم، واثنوا عليهما بكل الثناء.

وهذه عشرات من تصانيفهما تنبئ عن شموخ مقامها. وخدماتهما للعلوم الاسلامية، والادب العربي. فجدير بكل مسلم في شرق الارض وغربها ان يعتز بهما.

وقد تخرج من مدرستهما جماعة من العلماء الفطاحل الافذاذ، وشدت اليهما الرحال، ووفد اليهما الناس من كل الاصقاع. ليس فيهما موضع غمز، ومكان عيب.

والحق انهما معجزتان من معجزات الاسلام، ومفخرتان لأهل بيت سيدالأنام، وآيتان ظاهرتان من آيات الله البينات.

وشأن من هذه مكانته في الجلالة والتقوى اعلى وانبل من التزوير والكذب، ولو كان مثل السيدين معرضاً لتهمة الكذب والتزوير لما بقي في العلماء، ونقلة الاحاديث من يعتمد على اقواله ورواياته.

ولو كان جميع ما في نهج البلاغة مما يوافق هوى الخطيب لكان الشريف الرضي عنده من اوثق الرواة، وكان كتابه عنده في المرتبة العليا من الاعتبار.

نهج البلاغة

أمّا كتاب نهج البلاغة فهو: [الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة على أن عليا رضي الله عنه قد كان أحسن مثال حيٍّ لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته.

إجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء وأفذاذ الفلاسفة ونوابغ الربّانيين، من آيات الحكمة السامية، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر.

خاض عليٌّ في هذا الكتاب لجّة العلم والسياسة والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغة مبرّزاً، ولئن سألت عن مكان كتابه من العلم فليس في وسع الكاتب المسترسل، والخطيب المصقع، والشاعر المفلّق أن يبلغ الغاية من وصفه والنهاية من تقريظه وحسبنا أن نقول:

إنه «الملتقى الفذالذي التقى فيه جمال الحضارة وجزالة البداوة، والمنزل الفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلا تطمئن فيه، وتأوي اليه بعد أن زلّت به المنازل في كل لغة»[1].

وهو كتاب يتجلى فيه روح شريفة يكسب القارئ في هذا الكتاب منها العصبية للحق، والشدّة في الدين، والقصد في الحكمة

---

(١) من مقدمة شارح نهج البلاغة ص ٤ / للأستاذ الشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس البيان بكلية الفرير الكبرى طبع مصر سنة ١٣٢٨هـ.

والسياسة. وعندنا أنَّ الذين يَسعَون إلى الإصلاح في هذه البلاد يجب عليهم أن يتخذوا هذا الكتاب إماماً في إصلاحهم من جهاته اللغوية، والعلمية، والدينية، وانَّ الناشئين لو تأثروا هذا الكتاب في العبارة وصدق النظر؛ لبلغوا من قوتي العقل واللسان تلك المنزلة التي نتمنّى لهم ونودُّ أن يصلوا إليها في وقت قريب][1].

والذي لا يعتريه الشك هو أن الجامع لهذا الكتاب هو: الشريف الرضي، وقد ثبت ذلك بالتواتر القطعي كما صرح هو به في غيره من تصانيفه[2]، وفي الجزء الخامس من تفسيره[3].

والنسخة التي كتبت في عصر الشريف الرضي ووشِّحت بخطّه الشريف موجودة ومشهورة،[4] ولم يشترك معه أحد في جمعه لا الشريف المرتضى، ولا غيره.

ولا شك ايضاً في أنَّ الشريف الرضي اختار ما فيه من الخطب والكلمات المأثورة عن أمير المؤمنين (ع) في الكتب المعروفة والأصول المعتمدة المعتبرة، وكانت هذه الخطب، والكتب، والكلمات، وحتى الخطبة الشقشقية أيضاً[5] من خطب أمير المؤمنين (ع) المعروفة بين العلماء والمؤلِّفين أثبتوها في الكتب قبل ولادة الرضي والمرتضى، وولادة أبيهما.

وقد سبق الرضي «في جمع خطب أمير المؤمنين (ع)» أبو سليمان زيد الجهني فألَّف في عصر أمير المؤمنين (ع) كتاب «الخطب» جمع فيه ما

---

(١) شرح نهج البلاغة للشيخ محمد حسن نائل المرصفي المذكور.

(٢) أنظر كتاب: «مجازات الآثار النبوية» ص ٤١ و ١٦١ و ٢٢٣ و ٢٥٢.

(٣) ص ١٦٧.

(٤) أنظر: «ماهو نهج البلاغة؟» ص ٨ للسيد هبة الدين الشهرستاني ط. النجف الأشرف.

(٥) قال ابن أبي الحديد: وما أحسن ما عقَّب به عبدالله بن أحمد المعروف بابن

أملاه أمير المؤمنين (ع).

كما قد شرح خطب أمير المؤمنين (ع) «قبل تأليف نهج البلاغة» جماعة: كأبي الحسين أحمد بن يحيى الراوندي المتوفى سنة ٢٤٥، والقاضي أبي حنيفة نعمان المغربي المتوفى سنة ٣٦٣.

وكيف يقبل العقل أن يزوِّر مثل الشريف على مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في كتاب اطلع عليه السنيُّ والشيعيُّ في عصره،

الخشاب على زعم من زعم أنّ هذه الخطبة نحلها الشريف الرضي إيّاه عليه السلام بقوله:

أنّى للرضي ولغير الرضي هذا النفس، وهذا الأسلوب. قد وقعنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المنثور، وما يقع مع هذا الكلام في خلٍّ ولا خمر.

والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صُنِّفت قبل أن يُخلق الرضي بمئتي سنة، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلق النقيب أبوأحمد والد الرضي.

(شرح النهج: ٦٩/١ الطبعة الاولى طبعة الحلبي بمصر)

وقال الاستاذ الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو في العدد ٣٠٤/٥ من مجلة كليّة اللّغة العربية والعلوم التي تصدرها جامعة ابن سعود في المملكة العربية السعودية ما يلي:

«قلت وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديّين من المعتزلة، وكان في دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضيُّ بمدّة طويلة.

ووجدت أيضا كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلمي الإماميّة، وهو الكتاب المشهور بكتاب «الانصاف» وكان ابو جعفر هو من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخي رحمه الله تعالى، ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي رحمه الله تعالى موجوداً».

(شرح نهج البلاغة ٢٠٦،٢٠٥/١)

وإذا كان ابن الخشّاب قد وثّق هذه الخطبة، ونفى وضع الرضي لها لأسلوبها الذي لا يستطيعه غير الإمام عليٍّ رضي الله عنه، ولعثوره عليها هو وابن أبي الحديد في مصنّفات وخطوط قبل أن يخلق الرضي، فإنّي لا أجد مساغا للطعن فيها لما تضمّنته من الكلام على صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فان المتتبّع لمشكلة الخلافة من لدن قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أوثق كتب أهل السنّة ومراجع التاريخ؛ يدرك مدى المرارة التي كان يُحسُّها عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لحرمانه من الخلافة، فقد كان يرى نفسه أحقّ بها وأهلها، فما الذي يمنعه من إخراج هذه الشقشقة التي هدرت ثم قرت.

(سيَّما في مدينة بغداد الحافلة بجماهير من العلماء)، من غير أن ينكر ذلك أحد عليه أو يردَّه مع وجود الدواعي الشديدة لهم في تكذيبه، وإظهار تزويره. فاحتمال ذلك حتى بالنسبة إلى كلمة من هذا الكتاب مقطوع العدم، وإن شك الخطيب فيها فمثل العلامة الشيخ محمد عبده يصرِّح بأنَّ جميع ألفاظ كتاب نهج البلاغة صادرٌ عن الإمام عليٍّ (ع)، ويجعل ما فيه حجة على معاجم اللُّغة. فراجع ما كتبه الأستاذ محمد محيي الدين عميد كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر من تقديم لكتاب: «نهج البلاغة» وشرحه، وراجع أيضاً مقدمة شرح الشيخ محمد عبده، وشرح ابن أبي الحديد، وغيرها من الشروح، وكتاب «ماهو نهج البلاغة»؟ و «الذريعة ج ١٤ ص ١١١-١٦١»، وكتاب «مدارك نهج البلاغة» ودفع الشبهات عنه، حتى تعرف مبلغ مكانة هذا الكتاب، وقوة اعتباره.

واذا كنا نسلِّم بأن الإمام عليّاً رضي الله عنه دفع إلى حرب طاحنة مع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، ولهم قدرهم من الجلالة والصحبة، وأن دماءً كثيرة أريقت في هذه الحروب، إذا كنا نسلِّم بأن الخصومة وصلت إلى مرحلة القتال، فلِمَ نُنكر هذا التنفيس عن النفس المكلومة يصدر عن الامام علي؟ ولِمَ نحرِّم عليه أن يسجِّل تصوُّره لتتابع الحوادث بعد قبض رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو نفسه يصرِّح بأنها «شقشقة هدرت ثم قرَّت». إنتهى ما أردناه من العدد الخامس من المجلة العربية السعودية. (الرضوي).

بيعة الرضـــوان

نقل الخطيب في ص ٢١ عن بعض الشيعة أنه نفى نعمة الايمان عن أبي بكر وعمر لأنَّه قال في كتابه: وإن قالوا إنّ أبابكر وعمر من أهل بيعة الرضوان الذين نُصَّ على الرضا عنهم في القرآن في قوله في هذه السورة (يعني الفتح) «**لقد رضي الله عن المؤمنين إذيبا يعونك تحت الشجرة**» قلنا إنه لو قال: لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة أو عن الذين بايعوك لكان في الآية دلالة على الرضا عن كل من بايع، ولكن لمّا قال: «**لقد رضي الله عن المؤمنين إذيبا يعونك**» فلا دلالة فيها إلّا على الرضا عمَّن محض الإيمان.

«ثم قال الخطيب»: ومعنى ذلك أنَّ أبابكر وعمر لم يمحضا الإيمان فلا يشملهما رضا الله.

نحن نسوق الكلام أوّلا فيما يستفاد من الآية، وثانياً في أن نفي الإيمان عن بعض الصحابة إذا كان النافي مجتهداً متأوّلا هل يوجب الكفر أو الفسق عند أهل السنة أم لا، ونبحث في كلتا الجهتين من ناحيتهما العلميّة.

أمّا الكلام في الآية الكريمة فلا شكَّ في دلالتها على فضل بيعة الرضوان، وفضل المؤمنين الذين بايعوا الرَّسول (ص) تحت الشجرة، ولكن

لادلالة لها على الرضا عن كل من بايعه حتى المنافقين الذين لا دافع لاحتمال دخول بعضهم في المبايعين.

فالحكم بالرضا عن شخص معين إنّما يصحُّ إذا كان إيمانه محقّقاً معلوماً فلا يشمل من ليس مؤمناً (وإن كان من المبايعين) كما لا تشمل الآية المؤمن الذي لم يكن حاضراً تحت الشجرة فلم يبايع هناك، كما لا يجوز التمسُّك بالآية لإثبات إيمان بعضٍ معيَّنٍ من المبايعين لو صار معرَضاً للشكِّ كائنا من كان فانه هو التمسُّك بعموم العام في الشبهة المصداقية الذي برهن في الاصول على عدم صحته. نعم لو قال لقد رضي الله عن الذين بايعوك لشملت كل من بايعه كائناً من كان وإن شك في إيمانه، ولكن لا يجوز التمسُّك به فيمن شكَكنا في أصل بيعته، كما لا يثبت إيمان من شكَكنا في إيمانه بقوله: «**لقد رضي الله عن المؤمنين**».

وهذا كلام متين في غاية المتانة، ولذاسكت الخطيب عن جوابه.

وأيضاً هذه الآية لا تدل على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين.(وإن فسق بعضهم أو نافق) لأنَّها لا تدلُّ على أزيد من أنَّ الله تعالى رضي عنهم ببيعتهم هذه أي قَبِلَ منهم هذه البيعة، ويثيبهم عليها، وهذا مشروط بعدم إحداث المانع من قِبَلِهِمْ. والحاصل أن اتّصاف الشخص بكونه مرضِيّاً لا يكون إلّا بواسطة عمله المرضي، والعامل لا يتَّصف بنفسه بهذه الصفة. فهذه صفة تعرض على الشخص بواسطة عمله، فإذا صدر عنه الفعل الحسن، والعمل المرضي، وصف العامل بهذه الصفة أيضاً، ولا دلالة للآية على أنَّ من رضي الله عنه بواسطة عمله يكون مرضياً طول عمره، وإن صدرت منه المعاصي الموبقة بعد ذلك، ورضا الله تعالى عن أهل بيعة الحديبية ليس مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد، والدليل على ذلك قوله تعالى في هذه السورة في شأن أهل هذه

البيعة، وتعظيمها:

«إنَّ الذين يبايعونك إنَّما يبايعون الله يدُالله فوق أيديهم فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه، ومن أوفىٰ بماعاهد عليهُ اللّه فسيؤتيه أجراً عظيماً».

فلو لم يجز أن يكون في المبايعين من ينكث بيعته وكان رضا الله عنهم مستلزماً لرضاه عنهم إلى الأبد لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى: **«فمن نكث فإنَّما ينكث على نفسه».**

وأيضاً قد دلت آيات من القرآن وأحاديث صحيحة على وقوع غضب الله تعالى وسخطه على من يرتكب بعض المعاصي، ومع ذلك لم يقل أحد بأنَّ هذا مانعٌ من حسن إيمانه في المستقبل، وذلك مثل قوله تعالى في سورة الانفال:

«ومن يولِّهم يومئذٍ دبره إلّا متحرِّفاً لقتالٍ أو متحيِّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنَّم وبئس المصير».

فإذا لم يكن بوء شخص أو قوم إلى غضب الله مانعاً من حسن حاله في المستقبل لم يكن رضاه أيضاً سبباً لعدم صدور فسق أو كفر من العبد بعد ذلك.

والقول بدلالة الآية على حسن حال المبايعين مطلقاً، وعدم تأثير صدور الفسق عنهم في ذلك؛ مستلزم للقول بوقوع التعارض بين هذه الآية، وآية الأنفال المذكورة فيمن ولّىٰ دبره عن الجهاد من المبايعين؛ لأنَّها أيضاً تدل بإطلاقها على سوء حال من يولِّي دبره، وعدم تأثير صدور الحسنات في رفع ذلك.

هذا وقد اخرج مالك[1] عن أبي النضر مولى عمر بن عبيدالله أنّه

---

(١) في الموطأ ١٧٣ و ١٧٤ كتاب الجهاد / باب الشهداء في سبيل الله ط / مطبعة الفاروقي.

بلغه أنَّ رسول الله (ص) قال: لَشُهداء أحد هؤلاء أشهد عليهم فقال ابوبكر الصديق: يا رسول الله ألسنا بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله: بلى ولا أدري ما تحدثون بعدي قال: فبكى أبوبكر ثم بكى ثم قال: أئنّا لكائنون بعدك ؟

وهذا الحديث صريح بأنَّ حسن خاتمة مثل أبي بكر من الصحابة المبايعين المهاجرين موقوف على ما يحدث بعد الرَّسول (ص).

هذا مختصر الكلام حول مدلول الآية الكريمة، وعليه فليس المستفاد منها أنَّ أبابكر وعمر لم يمحضا الإيمان، نعم لايثبت بها إيمان واحد معين من المبايعين على نحو التفصيل، فلا يصحُّ التمسُّك بها في إثبات إيمان صحابيٍّ خاصٍّ، وعدم نفاقه أو حسن حاله إذا شك فيه. وإن كان الخطيب يرى دلالتها على أكثر من هذا فليبيِّنْ لنا حتى ننظر فيه.

حكم من نفى الايمان عن بعض الصحابة أو سبَّ بعضهم عند أهل السنة

لاحاجة بنا إلى الإشارة إلى ما ورد في ذم سبِّ المؤمن، فإنَّ هذا معلوم بالضرورة من الدين، وإنكار أصل حرمته موجب للكفر، ولا شك في أن المناقشات الحادثة بين المسلمين مناقشات صغروية مثل عدالة شخص أو إيمانه، أو فسقه اونفاقه. فالنزاع في هذه الأمور وأشباهها يرجع إلى إثباتها بالأدلَّة الشرعية وعدمه، ويذهب كل من اختار أحد الطرفين إلى ما تقتضيه الأدلَّة باجتهاده، ولو علموا جميعاً ثبوت شيء في الدين أو عدم ثبوته لم يختلفوا فيه، وقلّما يوجد من حملته العصبية واللجاج على إنكار الحق، فلا ريب في أن اكثر المسلمين من الطائفة الأولى لا ينكرون ما ثبت عندهم بالأدلَّة الشرعية.

فمن أنكر من المسلمين أمراً يراه غيره من الدين لعدم إثباته عنده أو إثبات خلافه ليس كافراً ولا فاسقاً، وإذا كان الحال هذا فلا اعتراض على من قال الخطيب في ص ٢١ أن معنى كلامه أن أبابكر وعمر لم يمحضا الإيمان فلا يشملهما رضا الله، ولا يحكم بكفره وفسقه إذا كان ذلك منه عن اجتهاد وتأوُّل، وقد قال رسول الله (ص) في حديث أخرجه البخاري[1] مانصّه:

إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم

---

(١) صحيح البخاري ٤/١٦٥، ط مصر، عام ١٣٢٠هـ باب «أجرالحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ».

فاجتهد ثم أخطأفله أجر».

وهذا ابن حزم يقول[1]:

وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفَّر ولا يفسَّق مسلم بقول قاله في اعتقاد أوفتيا، وإنَّ كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنَّه الحق فإنَّه مأجور على كل حال، وإن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد (قال) وهذا قول ابن أبي ليلىٰ وأبي حنيفة، والشافعي وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً».

وقال الفاضل النبهاني في أوائل كتاب «شواهد الحق» على ما حكي عنه: «إعلم أنّي لا اعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابيَّة ولا غيرهم، وكلُّهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والإيمان بسيدنا محمَّد(ص)، وما جاء من دين الاسلام».

وبالغ في ذلك الشيخ أبوطاهر القزويني «على ما حكي عنه» في كتاب «سراج العقول» فقال بإثبات الإسلام لكل فرد من أهل القبلة، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام.

وحكي عن شيخ السادة الحنفية ابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد ص ٣٠٢ أنه حكم قاطعاً بإسلام من يتأوَّل في سبِّ الصحابة مصرِّحاً بأنَّ القول بتكفير المتأوِّلين في ذلك مخالف لإجماع الفقهاء.

وقد أسلفنا في بعض المباحث السابقة مقالة ابن حزم فيمن سب أحداً من الصحابة، وما قال: في تكفير عمر بحضرة النبيِّ (ص) حاطباً، وهو صحابيٌّ مهاجريٌّ بدريٌّ.

---

(١) الفصل في الملل والنحل ٢٤٧/٣.

ولا يخفى أنه لو كان في من ينتحل دين الاسلام من سب بعض الصحابة أو غيرهم من المسلمين عناداً لله ورسوله فلاشك في كفره، وأمّا إذا كان السابُّ جاهلاً أو أوردته الشبهة ذلك المورد يكون ــ على ما صرّح به ابن حزم ــ معذوراً.

وعن الاوزاعي أنه قال: «لئن نشرت لا أقول بتكفير أحدٍ من أهل الشهادتين».

وعن صاحب الاختيار: «اتفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم، وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل».

وعن صاحب فتح القدير: انه قطع بعدم كفر من يكفِّر الصَّحابة ويسبُّهم، وذكر أنَّ ما وقع في كلام أهل المذهب في تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون؛ إنَّما هو من كلام غيرهم.

وصرح ابن حجر[1] بأنَّ مذهبه فيمن لعن أنَّه لا يكفَّر بذلك.

ولو سردنا الكلام في نقل فتاوى أعلام أهل السنة في ذلك لخرجنا عن طريق الايجاز، ومقتضى كلام غير واحد من هؤلاء أن السابَّ لا يكفَّر وإن كان متعمِّداً في ذلك عالما بحرمته مثل أن يسبه لمناقشة وقعت بينهما.

وأضف إلى جميع ذلك، النصوص الكثيرة المخرجة في الصحاح الستة الحاكمة على أهل الأركان الخمسة بالاسلام ودخول الجنة، وإذا كان الخوارج (الذين استحلُّوا دماء المسلمين، وكفَّروا الصحابة، وحاربوا أمير المؤمنين عليَّ بن ابي طالب (ع)، ونصَّ النبيُّ (ص) على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لايعودون فيه، وأنَّهم شرُّ الخلق

---

(١) الصواعق المحرقة /٢٥١.

والخليقة، وطوبى لمن قتلهم وقتلوه) عند أهل السنَّة من المسلمين والمعذورين في مذهبهم؛ فغيرهم ممَّن تمسكوا بالثقلين، وتمذهبوا بمذهب أهل البيت أعدال الكتاب، و آقتفوا أثرهم، و آهتدوا بهديهم؛ أولى بذلك. ومن شاء أن يطَّلع على الكلام الفصل في ذلك فعليه بكتاب «الفصول المهمة في تأليف الأمة» للعلامة المصلح السيد عبدالحسين شرف الدين فإنَّه (رضوان الله عليه) قد أدَّى حقَّ التحقيق والإفادة في ذلك، وسعى في جمع الشمل، ولمِّ الشعث. فراجع كتابه هذا، ومراجعاته، وكتابه «الى المجمع العلمي العربي»، وكتاب «أبو هريرة» وغيرها من تصانيفه القيِّمة.

والحاصل أن نفي الايمان عن بعض الصحابة وسبَّهم ــ إذا كان النافي والسابُّ مجتهداً ــ لا يضر بالاسلام عند أكابر أهل السنَّة، وليس مانعاً من التقريب، ورفض الشحناء والبغضاء، واعتصام الجميع بحبل الله تعالى، والعجب ممَّن لا يكفِّر ولا يفسِّق معاوية وأتباعه في سبِّ أميرالمؤمنين علي (ع) على منابر المسلمين، ويفسِّق من سبَّ الشيخين تأوُّلاً و آجتهاداً. أعاذنا الله تعالى من العصبية واللجاج.

نصيحة وتذكرة

ينبغي لمن يرى جواز سبِّ أحدٍ من المسلمين أن لا يعلن بذلك ولا يجهر به بمشهد منه أو بمشهد من أقاربه ومن لا يرى رأيه، بل يحرم ذلك في بعض الموارد إذا كان السبُّ إيذاءً لمسلم حاضر، أو سبباً لجرح العواطف، وحدوث الفتن، وضعف المسلمين، وظهور التخاصم والتنازع بينهم.

منزلة النبيِّ والامام عندالشيعة

ذكر الخطيب في ص ٢٢ ان الشيعة يرفعون أئمتهم فوق منزلة البشر، ونقل عناوين أبواب من الجامع المعروف بالكافي في علوم الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل، وأنَّهم يعلمون علم القرآن كله، وغير ذلك، وافترى على الشيعة بأنَّهم يثبتون لأئمتهم علم الغيب، وينكرون على النبيِّ (ص) ما أوحىٰ الله به من أمر الغيب، إلخ.

الشيعة لا يعتقدون فضيلة ومنقبة لأئمتهم إلّا ويعتقدون لرسول الله (ص) تلك الفضيلة على النحو الأتم الأكمل، ولا يفضلون أحداً من السابقين واللاحقين من الأنبياء والأئمة، والملائكة، وغيرهم على رسول الله (ص)، بل يفضلونه على جميع المخلوقات، ويعدُّون الإمام من أتباع الرسول، ومن أمته، لا يعدل النبي عند الشيعة أحد من أمته، والإمام مأمور باطاعة الرسول لا يسعه غير اتباعه، ولا يرفعون النبي ولا احداً من الأئمة فوق منزلة البشر، والنبيُّ والأئمة هم المُثل العليا لكمال الإنسان، اختصهم الله بعناياته الخاصة، والإمامة عندهم منصب يختار الله له من كان أهلا لتقلده، ويأمر نبيه بالنص عليه، وصنَّفوا في هذه النصوص كتباً مفردة خرجوا فيها طائفة من تلك النصوص عن الكتب المعتمدة عند أهل السنة وصحاحهم.

ومن النصوص المعروفة المتواترة على كون الأئمة آثني عشر؛

الأحاديث التي خرَّجها مسلم، وأحمد، والبخاري، والترمذي، والطيالسي، وأبو نعيم الاصبهاني، والسجستاني، والحاكم، والمتقي، وابن الديبع، والخطيب، والسيوطي وغيرهم في عدد الأئمة عن غير واحد من الصحابة؛ كجابر بن سمرة، وعبدالله بن مسعود، وأنس بن مالك. ومن المعلوم أنَّ هذا العدد لاينطبق إلّا على الأئمة الإثني عشر.

وأفرد في هذه الاحاديث العلامة محمد معين السندي كتاباً أسماه «مواهب سيد البشر في حديث الأئمة الإثني عشر».

ويدل على وجوب التمسك بأئمة أهل البيت، وأخذ العلم عنهم، وعصمتهم، وبقائهم إلى يوم القيامة، وعدم خلوِّ الزمان من إمام منهم، وكونهم أعلم الناس بعد النبيِّ (ص)، وأنَّ التمسُّك بهم أمنٌ من الضلال، وانحصار سبيل النجاة في التمسُّك بهم، وبالكتاب الكريم؛ أحاديث الثقلين المتواترة، وأحاديث الأمان، وأحاديث السفينة، وغيرها من النصوص الكثيرة، وقد صرَّح بجميع ذلك جمع من أعلام أهل السنة ذكرنا أسماءهم ومقالاتهم في كتاب أفردناه في وجوب الرجوع إلى أئمة أهل البيت (ع) في الفقه والمعارف الاسلامية، وفي وجوب العمل بالأحاديث المخرّجة في جوامع الشيعة.

ولو قرأ الخطيب كتب الإمامية، ودرس العلوم المأثورة عن أئمتهم لأقرَّ بأنَّ الأبواب المعنونة في الكافي ليست إلّا عناوين لبعض ماورثواعن جدهم رسول الله (ص)، ولعرف أنَّ من أشدِّ ما ٱبتليَ به المسلمون، وأضره عليهم؛ إنصرافهم عن اهل بيت نبيهم، وإعراضهم عمَّن أوجب الله تعالى ورسوله عليهم الرجوع إليهم في الأمور الدينية، والأحكام الشرعية.

ومن تتبع قليلاً في الكتب الاسلامية لعرف ٱختصاص أئمة أهل البيت سيَّما أميرالمؤمنين على (ع) بعلوم كثيرة من التفسير، والفقه، والحديث، والتوحيد، وغيرها ممّا ليس عند غيرهم.

هذه عقيدة الشيعة في أهل البيت وعلومهم، وإليك بعض ما قال سيدنا أميرالمؤمنين عليٌّ (ع) في ذلك.

قال: لايقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراثة.[1]

وقال: موضع سرّه، ولجأ أمره، وعيبة علمه. وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائصه.[2]

وقال: فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمٰن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا.[3]

وقال: هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه، هم دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن مقامه، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لاعقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير، ورعاته قليل.[4]

وقال: وإنّما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، لايدخل الجنة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم

---

(١) نهج البلاغة ١ خ ٢ / ٢٤ و ٢٥ ط مصر مطبعة الاستقامة.
(٢) نهج البلاغة / ١ / ٢٤ الخطبة ٢.
(٣) نهج البلاغة / ٢ / ٥٨ الخطبة ١٥٠.
(٤) نهج البلاغة / ٢ / خ ١٣٤ / ص ٢٥٩ و ٢٦٠ / ط. مطبعة الاستقامة بمصر.

وأنكروه.[1]

هذا ما يقوله الشيعة في أئمة أهل البيت(ع) لم يقولوا ما قالوا فيهم اختراعاً وابتداعاً من عند أنفسهم، بل أخذوه من الأحاديث النبوية، والنصوص العلوية، والاخبار المروية عن أهل بيت النبوة، وأئمة العترة عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) نهج البلاغة / ٢ / خ ١٤٨ / ص ٥٤ / ط. مطبعة الاستقامة بمصر.

غلط الخطيب في فهم كلام العلامة الاشتياني

قال في ص ٢٢ و ٢٣ «وبينما يدعون لأئمتهم الإثني عشر مالا يدَّعيه هؤلاء لأنفسهم من علم الغيب، وأنهم فوق البشرية فإنَّهم ــ أي الشيعة ــ ينكرون على النبيِّ (ص) ما أوحى الله به إليه من أمرالغيب كخلق السماوات والأرض، وصفة الجنة والنار، وقد سجَّلت ذلك مجلة «رسالة الاسلام» التي تصدرها دارالتقريب في القاهرة، إذ نشرت في عددها الرابع من السنة الرابعة صفحة ٣٦٨ بقلم رئيس المحكمة العليا الشرعية الشيعية في لبنان، ويعدُّونه من ألمع علمائهم العصريين مقالاً عنوانه «من اجتهادات الشيعة الإمامية» نقل فيه عن مجتهدهم الشيخ محمد حسن الآشتياني أنه قال في كتابه (بحرالفوائد) ج ١ ص ٢٦٧: إنَّ الرسول إذا أخبرعن الأحكام الشرعية ــ أي مثل نواقض الوضوء وأحكام الحيض والنفاس ــ يجب تصديقه، والعمل بما أخبربه، وإذا أخبرعن الأمور الغيبية مثل خلق السمٰوات والأرض، والحور والقصور فلا يجب التدين به بعد العلم به (أي بعد العلم بصحة صدوره عن الرسول) فضلا عن الظن

به (الخ)».

ذكرنا عقيدة الشيعة في النبوة والإمامة، وأنَّ النبيَّ ينصُّ على الإمام بأمرٍ من الله، وأنَّه تبعٌ للنبيِّ، والنبيُّ مفضَّلٌ عليه في جميع الكمالات. فالنبيُّ كالأصل، والإمام فرعه، وليس في الشيعة من يستبيح لنفسه الشكَّ فيما أخبر به النبيُّ (ص)، فضلا عن إنكاره، سواء كان المخبر به من الأمور العادية كقيام زيد وقعود عمرو، أم من الأمور الدينية.

فالنبيُّ هو الصادق المصدَّق في جميع ما أخبر به لأنه: «**ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى**».

ومن أنكر أو أظهر الشكَّ فيما أخبر به النبيُّ (ص) من أمرِ الغيب كخلق السمٰوات والأرض، وصفة الجنَّة والنّار، بعد حصول اليقين بإخباره عنه كافر، والشيعة لا تشك في كفره.

ولكن الخطيب حيث عجز عن فهم كلام العلامة الآشتياني، وكلام رئيس المحكمة العليا الشرعية في لبنان[1] الذي هو من ألمع العلماء المجاهدين المعاصرين؛ حمله على ما يوافق هواه، وخاض في الافتراء والهذيان، فادّعى أنَّ الشيعة ينكرون على النبيِّ (ص) ما أوحى الله به من أمرالغيب.

وحيث أن المسألة المبحوث فيها في كلام المحقق الآشتياني هي في نفسها من المسائل العلمية النظرية فلا بأس بالإشارة إليها هنا حتى يعلم أن الأولى بالخطيب ونظرائه عدم الخوض في هذه المسائل، وإيكال البحث فيها إلى اهلها.

فنقول في توضيح ما افاده الآشتياني.

---

(١) هو: الشيخ محمد جواد مغنية صاحب التآليف الكثيرة المطبوعة في لبنان و العراق وايران.«الرضوي».

إنَّ ما أخبر به النبيُّ (ص) على قسمين:

أولها: ما يكون من الأمور العادية كقيام زيد ومجيء عمرو، ولا يكون مرتبطاً بالدين لا بأموره الاعتقادية، ولا بأحكامه الشرعية، ولا بأحكامه العملية، كالصلاة، والصوم، والحج، وغيرها.

وثانيها: ما يكون من الدين، وهذا أيضاً على قسمين:

أحدهما: ما يكون في الأمور الاعتقادية: وما يجب أن يعتقده المسلم كالتوحيد والنبوة والمعاد، وغيرها.

والآخر: ما يكون في الأحكام الدينية العملية كالصلاة، والزكاة، والصوم، وغيرها.

فالقسم الأول: أعني ما ليس مرتبطاً بالدين كالإخبار عن الأمور العادية والإخبار ببعض كيفيات خلق السمٰوات والأرض، والكواكب وبدء الخلق، وبعض تفاصيل الجنة، والجحيم، وخصوصيات الحور والقصور، وأشجار الجنة، وأنهارها، ومياهها، ليس من الأمور الاعتقادية التي بني عليها الاسلام ولا يحكم بإسلام من لم يكن عارفاً بها. فمن لم يؤمن بالله، أولم يعتقد النبوّة أوالمعاد، أو أنكر الثواب والعقاب، والجنة والنار؛ فهو كافر خارج عن الاسلام. أمّا من لم يعرف بعض خصوصيات الجنة، وبعض أنواع الملائكة، وأسمائهم، وكيفية مبدء خلق السماء، وعدد قصور الجنة أو عدد ولدانها، ولم يقرع سمعه ماورد في ذلك من الأحاديث، فلا يضر ذلك بإسلامه، ولا يكلف بتحصيل هذه المعارف. وهذا كالاطلاع على عدد غزوات النبي (ص) وعدد أولاده، وزوجاته؛ فإنَّ المعرفة بهذه الأمور والأحوال، وإن كانت في حدِّ نفسها راجحة مرغوباً فيها، لكن ليست من الامور الاعتقادية التي يدور مدار معرفتها ترتيب آثار الاسلام، ويحكم بكفر منكرها.

نعم من ثبت عنده إخبار الرسول عن هذه الخصوصيات

والتفاصيل يحصل له الاعتقاد بها لاعتقاده صدق الرسول (ص) في كل ما أخبربه، وإظهار الشك فيها أو انكارها بعد العلم بإخبار النبيِّ (ص) عنها موجب للكفر قطعاً لرجوع ذلك إلى تكذيب النبيِّ (ص).

وأمّا القسم الثاني: فيجب الاعتقاد، وتحصيل الإيمان والمعرفة به وهذا ما لم يختلف فيه اثنان من الشيعة.

وأمّا القسم الثالث: أي إخباره عن الأحكام العملية فيجب العمل به ولا يجوز إنكاره بعد ثبوته عنده، وإنكاره بعد العلم بإخباره موجب للكفر والخروج عن الاسلام[1]، ولا يتفاوت في ذلك أي عدم

---

(١) ولأجل إيضاح بطلان افتراءِ الخطيب ننقل كلام العلاّمة الاشتياني في بحر الفوائد ص ٢٧٦ ــ قال:

«المعارف بالمعنى الأعمِّ على قسمين:

احدهما: مالا يكون من الدين، ولا دخل له بشريعة سيدالمرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم، مثل كيفية خلق السماء والأرض، والحور والقصور، وغير ذلك ممّا عرفت الإشارة إليه عن قريب.

ثانيهما: ما يكون من الدين لا يقال لا معنى للتقسيم المذكور لأنَّ كل ما بيَّنه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يكون من الدين لامحالة، وإلّا لم يبينه لأنّا نقول: هذا غلط واضح، وخلط ظاهر فإن الرسول قد يخبرعن الشيء من حيث كونه شارعاً ومبلِّغاً عن الله تعالى، ومأمورا بتبليغه إلى العباد، وقد يخبرعن الشيء لامن الحيثية المذكورة بل من حيث كونه عالماً بالغيب بإفاضة الله سبحانه. ومن المعلوم أنَّ هذا لايرجع إلى الإخبارعن الأمر الديني. ثم الثاني أي ما يكون من الدين، وشريعة سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله وسلّم ينقسم إلى قسمين أحدهما ما يتعلق بالعمل بالمعنى الأعم من التعلق الأوَّلي الذي يسمَّى بالحكم الفرعي، والتعلق الثانوي وبالواسطة الذي يسمَّى بالحكم الأصولي العملي، ثانيهما ما يكون المقصود منه والغرض الأصلي الأوَّلي المطلوب منه الاعتقاد وان ترتب عليه عمل أحيانا.

أمّا الأول: أي ما لا دخل له بالدين أصلا فلا إشكال في أنه لا يجب التديُّن به بعد حصول العلم به فضلا عن الظنّ به نعم: لا يجوز إنكاره بعد ثبوته من حيث إيجابه لتكذيب النبيِّ (ص) فيكون كفراً.

وأمّا الثاني: فما يتعلق منه بالعمل ولو بالواسطة فلا إشكال في إمكان التعبُّد فيه بغير

وجوب التدين بالأمور العادية، وخصوصيات الأمور المذكورة بين اخبار النبي (ص)، وإخبار الإمام (ع) ووجوب تصديق النبيِّ في إخباره عن المغيبات أولى من وجوب تصديق الإمام ومقدَّمٌ عليه بحسب المرتبة. فإن وجوب تصديق الإمام فرع وجوب تصديق النبي (ص).

هذا حاصل كلام الآشتياني في المقام، وقد صرح في موضعين من عباراته في ص ٢٧٦، بكفر من أنكر إخبار الرسول في الأمور العادية، ولكن الخطيب يفتري على الشيعة، ويقول إنهم يرفعون مرتبة أئمتهم في إخبارهم عن الأمور الغيبية «والعياذ بالله» فوق مرتبة النبيِّ (ص) ونسي أنَّ في أهل السنّة من يقول إنَّ النبيَّ كان فيما قال وعمل في الأمور الدينية - ممّا لانصَّ فيه مجتهداً كسائر المجتهدين.[1]

العلم، بل وقوعه في الجملة على ما عرفت مفصَّلاً، وإن كان مقتضى الأصل الأولى البناء فيه على عدم وقوع التعبد. وما يتعلق منه بالاعتقاد قد عرفت سابقا أنه على قسمين.

أحدهما: ما يجب به الاعتقاد مطلقا فيجب تحصيل المعرفة به.

وثانيها: ما لا يجب فيه ذلك بل إن حصلت المعرفة به حصل الاعتقاد قهراً، ويجب التدين بمقتضاه، والمعتقد في المقامين قد يكون أمراً إجماليا، بمعنى أنَّه قد يجب الاعتقاد بشيء والتديُّن به إجمالا سواء كان وجوبا مطلقا أو مشروطاً بالمعنى الذي عرفته فلا يجب تحصيل تفصيله، نعم: لو حصل العلم به وجب الديُّن به من حيث كونه عين ما وجب الاعتقاد والتدين به إجمالا ضرورة كون المفصَّل عين المجمل وإن افترقا من حيث الإجمال والتفصيل. وقد يكون أمراً تفصيليا...

وقال في هذه الصفحة، تكذيبه (يعني: تكذيب الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلّم) ولو في أخباره العادية موجب للكفر قطعاً، وهو ما يرجع إلى بيان أمور واقعية لا تعلُّق لها بالدين. مثل بيان مبدأ خلق السمٰوات والأرض، وحور العين، والفصل بين كل سماء. إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى بيان خلقة المخلوقات فإنَّه ليس أمراً دينيّاً اعتقاديّاً بحيث يجب التديُّن به، والإقرار به، وإن لم يجز إنكاره بعد العلم بثبوته من صاحب الشرع. هذا وتوهم كون جميع ما بيَّنه النبيّ (ص) من الدين فاسد كما سننبه عليه. انتهى.

(١) راجع تفصيل هذه المسألة في كتاب: (المستصفى من علم الاصول / ج ٢ / ص ١٠٤ و ١٠٥) و (عدة الاصول ص ٢٩٤ و ٢٩٥).

ثم إنَّه لم يقنع بذلك فقال: «إن جميع رواة الغيبيات عن الأئمة الإثني عشر معروفون عند علماء الجرح والتعديل من أهل السنة بأنَّهم كانوا كذبة»، وهذا من أبشع افتراءاته على علماء الجرح والتعديل فإنَّ كرامات الأئمة الاثني عشر(ع)، وإخبارهم عن الأمور الغيبية بما هو مخزون عندهم من علوم جدّهم رسول الله(ص) وورثوا عنه؛ ثابتة بالتواتر، قد خرَّج طائفة منها جمع من أعلام أهل السنَّة لا سيَّما ما صدر منها عن أميرالمؤمنين عليٍّ(ع)، ولا عجب في ذلك لأنَّ النبيَّ (ص) اختَّصهم بعلوم ليست عندهم، ولذلك أمر أمَّته بالرجوع إليهم، وجعل الأمان والنجاة والأمن من الضلال في التمسك بهم.

وقد احتج بروايات رجال الشيعة جمع من علماء أهل السنَّة[1]، ورواة أحاديث الشيعة الأثبات الثقات معروفون في كتب الرجال، ومن راجع كتب الجرح والتعديل للشيعة؛ يقف على اهتمامهم بتعرُّف أحوال الرجال، وعدم احتجاجهم بأحاديث الضعاف، سواء كان الرواي شيعيّاً أُم سنّيّاً. ولو كانت للخطيب أدنى خبرة بكتب الشيعة لعلم مبلغ اعتنائهم بتحقيق حال الرواة، ولو قرأ كتاب «تأسيس الشيعة» لعرف تقدُّمهم في علم الحديث، والفحص عن أحوال الرواة، وسائر الفنون الاسلامية.

---

(١) قال العلامة المحدث أبوالفيض احمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي: قد جمع الحافظ أسماء من روى لهم البخاري منهم (يعني من الشيعة) فسمّى نحو السبعين: وما أراه استوعب.

وأما صحيح مسلم ففيه أكثر من ذلك بكثير حتى قال الحاكم: إن كتابه ملآن من الشيعة. راجع كتاب: (فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ ص ١٠٦ من طبعته الثانية) وهذا الكتاب نفيس جداً يجب على الباحث أن يقرأه لأنَّ فيه من البحوث العلمية والفوائد الرجالية ما قلّ ما توجد في غيره.

والاصول التي يعتمد عليها الشيعة في استخراج الأحاديث الصحاح والحسان في غاية المتانة والانضباط. والحاصل أن كثيراً من الروايات المأثورة في أخبارهم عن الحوادث المستقبلة، والأمور الغيبية من صحاح الأحاديث، رواها الثقات بأسناد عالية. ولا يرتاب المتتبِّع في تواترها إجمالا، بل بعضها متواتر تفصيلاً، وإنكار جميع هذه الروايات زلَّة كبيرة. فمن أين علم الخطيب أنَّ جميع رواة هذه الأحاديث معروفون بالكذب؟ ومن أين اطَّلع على جميع تلك الأحاديث ورواتها مع أنه لم يسمع من اسماء كتب الشيعة واحداً من الألوف؟ وفي أيِّ كتاب ذكر علماء الجرح والتعديل من أهل السنة أن جميع رواة تلك الأحاديث كانوا كذبة ولم لم يأت بأسماء هؤلاء المعروفين؟ وهذه أخبار أمير المؤمنين علي (ع) عن المغيبات مخرجة في كتب أهل السنة في التاريخ والحديث، وبعضها ثابت بالتواتر التفصيلي وبعضها بالتواتر الإجمالي.

والعجب من جماعة يثبتون لرؤساء الصوفية والدراويش أخباراً عن أمورٍ غيبيَّةٍ، وكرامات يأبى العقل قبولها ثم يستبعدون صدورها عن أئمة أهل البيت مثل أمير المؤمنين (ع) وسبطي رسول الله (ص)، والسجّاد، والباقر (ع)، وغيرهم أعدال الكتاب، وعدول أهل البيت الذين بشّر النبيُّ (ص) بأنَّهم ينفون عن الكتاب تحريف الغالين، وإبطال المبطلين، ويقدحون في رجال هذه الأخبار بأنَّهم كانوا كذبة مع أنهم لاذنب لهم إلّا روايتهم بعض فضائل أهل البيت، والنصوص المأثورة في إمامتهم، وعلومهم، من الأحاديث التي كانت روايتها في عصر الأمويِّين والعباسيِّين من أكبر الجرائم السياسية.

وقد اشبعنا الكلام في ذلك في كتاب أفردناه لإثبات حجِّيَّة روايات أصول الشيعة، ووجوب الرجوع إليها، والتمسُّك بها في الفقه، كما قد أفردنا لتخريج مناقب كل واحد من الأئمة الإثني عشر وتاريخ حياتهم

من كتب أهل السنة (لكل واحد من الأئمة) كتاباً نسأل الله تعالى ان يوفقنا لإ تمامها ونشرها.

افتراء الخطيب على الشيعة بالتملُّق للحكومات
وتدخل الخواجة وابن العلقمي في فاجعة بغداد

نسب الخطيب في ص ٢٤ إلى الشيعة أنهم يتملقون أيَّ حكومة من الحكومات الاسلامية بألسنتهم إذا كانت قوية فإذا ضعفت أو هُوجمت من عدوٍّ انحازوا إلى صفوفه. واستشهد أخيراً على خروج المغول، وما صدر منهم في بغداد من سفك الدماء وهتك الأعراض، وغيرها من الجرائم العظيمة. واتّهم حكيم الشيعة، وفيلسوف الإسلام الخواجة نصيرالدين الطوسي الشهير، وابن ابي الحديد المعتزلي من السنة، وابن العلقمي مؤيدالدين الوزير بالتدخل في هذه الفاجعة الخ.

كان الاولى أن يترك الكلام عن أفعال الشيعة، وما صدر بزعمه عنهم. فإنَّ عقيدة طائفة ورأيها شيء، وعمَلها شيء آخر، وربما لا توافق أعمال بعض الناس عقيدتهم، ولا يجوز الاعتماد في استنباط آراء الفرق وعقايدهم على مجرد أعمال بعضهم فإنَّه ما من قوم إلّا ويوجد فيهم من يخون قومه، ويقدم على ضرر أمته، ولو جعلنا تاريخ الاسلام نصب أعيينا لعثرنا على خيانات كثيرة من عصر الرسالة إلى هذا الزمان صدرت من المنافقين وفُسّاق المسلمين، وأولئك الذين أوهن قلوبهم حبُّ الدنيا، وكراهية الموت.

وهل تأخر المسلمون عن غيرهم إلّا لخيانات صدرت من عمّال

السياسة، وعبدة الرياسة، وأتباع الشيطان. أنظر بعينك أيُّها المنصف إلى الملأ الإسلامي، وانظر إلى القوّادالعملاء والأمراء العبيد للاستعمار الذين لم تقع الأمة فيما وقعت فيه إلّا بخياناتهم. أفترى سبباً لبقاء الحكومة الغاصبة الاسرائيلية التي أنشأها المستعمرون في بلاد المسلمين غير خيانة بعض الحكومات والأمراء؟ أنسيت ما فعلت يدالخيانة بالجيش المصري في حكومة فاروق؟ ألم تقرأ في الصحف والمجلّات خيانات تصدر من بعض رؤساء الحكومات المسميات بالاسلامية على الاسلام وأبنائه؟ ألم يقرع أذنك ماوقعت فيه الأمة في الحرب العالمية الأولى بسبب خيانة بعض القوّاد، وطلاب الرياسة، والحكومة؛ فتمزقت الوحدة الاسلامية، وتأسست في كل قطر حكومة ضعيفة مستعمرة، وأصاب المجتمع الاسلامي ما أصاب حتى ألغى بعض تلك الحكومات سنن ديننا الحنيف في جميع الشؤون الحكومية؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

ولو نظرت إلى التاريخ وقايست بين الشيعة وأهل السنّة في ذلك لطمست ما كتبت أيُّها الخطيب، ولعلمت أنَّ أيَّ الفريقين أحقُّ باللَّوم والتوبيخ.

وممّا هوجدير بالذّكرهنا كنموذج لهذه المخاصمات التي اذهبت مجدالمسلمين، وسلطانهم؛ ما أصاب الناس من القتل، والسبي، والنهب عند افتتاح جيوش التتار بلدة أصبهان، وذلك بعد أن عجزوا عن افتتاحها ونزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين وستمئة، ووقعت الحرب بينهم وبين أهلها، وقتل من الفريقين خلق كثير، ومع ذلك لم يبلغ التتار غرضهم حتى وقع الاختلاف بين أهل أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين وستمئة وهم طائفتان حنفية، وشافعية، وبينهم حروب متصلة، وعصبية ظاهرة فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم من التتار فقالوا

لهم أقصدوا بلدنا حتى نسلّمه إليكم، وكان ذلك في سلطنة ابن جنكيزخان قاآن، فأرسل جيوشاً نزلت على أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة فحصرتها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم، وفتحت أبواب المدينة. فتحها الشافعية على عهد كان بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية، ويعفوا عن الشافعية. فلما دخلوا البلد قتلوهما جميعاً وبدأوا بالشافعية فقتلوهم قتلاً ذريعاً ولم يفوا بالعهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس، وسبوا النساء وشقُّوا بطون الحبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا اموال الاغنياء، ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من الرماد.[1] وأمثال هذه الحادثة بين أرباب المذاهب ليست بقليلة، مثل الفتنة الكبرى التي هاجت ببغداد لاختلاف الحنابلة وغيرهم في معنى قوله تعالى: «**عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محموداً**».

فقالت الحنابلة؛ معناها: يقعده الله على عرشه، وقال غيرهم بل هي الشفاعة. ودام الخصام، واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة[2]. ومع ذلك لا لوم على جميع أهل هذه المذاهب، إنَّما اللَّوم والذنب على سفهائهم، وجُهّالهم، وعلى الَّذين اتخذوا هذه المذاهب سبباً للاختلاف والتفرقة بين المسلمين وتفسيق غيرهم من سائر الفرق، وجعلوها وسيلة لتحقيق أغراضهم الدنيَّة.

ثم إنَّ التملُّق لأرباب السلطة، والحكومات كيف صار من خصائص الشيعة، وكيف نسي تملُّق بعض السنِّيِّين من الحكومات في عصر الأمويين والعباسيِّين. فاقرأ دواوين الشعراءِ وانظر إلى جماعة

---

(١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد / ج ٨ / ص ٤٦٤.
(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٥٥.

زيّنوا للناس قبائح أعمال الأمراء في تلك العصور المظلمة، وانظر إلى العلماء والمحدّثين الّذين لم يطعنوا في سيرة هؤلاء، وتركوا نصيحتهم، ولم يطلبوا منهم الرجوع إلى الكتاب والسنّة، في حين أنهم يفتون بوجوب إطاعتهم، ويعدُّون الخروج عليهم من أعظم المحرَّمات. فلو تملق بزعم الخطيب بعض الشيعة لجبابرة الملوك عملاً بالتقية، وحقناً للدم، وحفظاً للعرض، فقد تملق بعض السنّيّين للحُطام الدنيوي، والزخارف الفانية. ويكفيك مثلا وشاهداً ما وقع لغياث بن ابراهيم النخعي حيث دخل على المهديّ العباسيّ فوجده يلعب بالحمام فساق في الحال إسناداً إلى النبيّ (ص) أنه قال «لاسبق إلّا في نصل أو خف أو حافر أوجناح» إتّباعاً لهوى المهديّ فأمر له المهديُّ ببدرة، فلما قام قال المهديُّ: أشهد على قفاك أنه قفا كذّاب على رسول الله (ص) ثم أمر بذبح الحمام، لكن لم يتعرض له ولم يأخذ ما أعطاه حتى فعل نحواً من ذلك مع هارون الرشيد.[1]

وخبر شق أبي البختري وهب بن وهب أمان الرشيد ليحيى ابن عبدالله بن الحسن بالسكين. فوهب له هارون بذلك ألف ألف، وستمئة ألف، وولاّه القضاء[2]. ونظائر ذلك كثيرة لاسيّما في استبلاء بني أمية و بني العبّاس على الحكم.

وإذا كان هذا حال بعض السنيّين فهل يجوز أن يسند ذلك إلى جميعهم؟ وهل تجد قوماً أو أمة لم يكن فيهم أمثال هؤلاء؟ فلا يجوز لأهل السنّة مؤاخذة الشيعة على ما صدر عن بعضهم، كما لا يجوز للشيعيّ أيضاً

---

(١) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٨٦، ونخبة الفكر ص ٦١ و ٦٢، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ص ٦١، وتاريخ الخلفاءِ ص ١٨٣، وأخبار مكة المشرفة / ج ٣ / ص ٩٨.

(٢) مقاتل الطالبيّين ص ٤٨٠.

أن يؤاخذ السنيَّ بأعمال الحجَّاج ومسلم بن عقبة وغيرهما من الجبابرة.

هذا ولاريب في أنَّ استيلاء التتار على بغداد كان من أعظم مصائب المسلمين في التاريخ ولكن هل كان ابتلاؤهم بهذه الفاجعة أعظم أم ابتلاؤهم بحكومة معاوية، ومحاربته أمير المؤمنين علياً (ع)؟ فما ترتب بعد على حادثة ما ترتب على أفاعيل معاوية ومحاربته علياً (ع) من المفاسد.

قال أحد كبار علماء الألمان في الآستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: انه ينبغي لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا «برلين».

قيل له لماذا؟ قال:

لأنَّه هو الذي حوَّل نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب، ولولا ذلك لعمَّ الاسلامُ العالم كلَّه، ولكنّا نحن الألمان وسائر شعوب اوربا عرباً مسلمين.[1]

---

(١) تفسير المنار ١١ / ٢٦٠.

كارثة خروج المغول واستيلائهم على بلاد المسلمين وأسباب سقوط بغداد

قال الله تعالى: «**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً**» (الإسراء: ١٦).

تحكموا واستطالوا في حكومتهم ... وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أُنصِفوا لكن بغوا فبغى ... عليهم الدهرُ بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم ... هذا بذاك ولا عتب على الزمن

كانت حادثة خروج التتار حادثة عظمى ومصيبة كبرى عمّت الخلائق، وخُصّ المسلمون بشدة بلائها، لم يطرق الأسماع مثلها، شوّهت تاريخ الانسانية، وما قيل في شرحها من قتل العلماء والصلحاء والخواصّ والعوامّ وتخريب البلاد، وشق بطون الحوامل، وقتل الأجنّة، وهدم الجوامع والمعابد، وإحراق الكتب، وهتك الأعراض في كل مدينة افتتحوها ليس إلا إجمالٌ من تفاصيل هذه الأحوال، فشملت الفتنة المسلمين وممالك الاسلام «**فإنّا لله وإنّا إليه راجعون**» وكانت مدينة بغداد من البلاد التي أصيبت في هذه الحادثة بأشدّ المظالم، وبلغ عدد من قتل فيها على ما قيل: أكثر من مليون نسمة، بل قيل: إنه لم يسلم إلّا من اختفى في بئر أوقناة، ووقع فيها من القتل الفظيع، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وغرق الناس في دجلة، وضياع الكتب ماقلّ نظيره في تاريخ العمران، ولم تكن خسارة الشيعة في هذه الكارثة ــ لافي بغداد، ولا في غيرها من بلاد خراسان وما وراء النهر ــ بأقلّ من خسارة أهل السنّة، فقتلوا فيمن قتل، وكان في القتلى من الأشراف والفاطميّين مالا يحصى.

وكان من أقوى أسباب انهزام المسلمين[1] ما حدث بينهم من المنازعات والحروب الداخلية، والرغبة في الملك والسلطان، وانهماكهم في المعاصي والشهوات، وضعف الخلفاء في تدبير الأمور[2]، وظهور العصبيات الباردة في المسائل الكلامية والخلافات المذهبية،[3] واشتغال أرباب المناصب بالملاهي، وتكبُّر الخليفة المستعصم، وبخله بالأموال. فكان كما وصفه[4] تائهاً في لذّاته، لا يطّلع على الأمور، ولاله غرض في المصلحة.

وقال ابن كثير: ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمئة. استهلت هذه السنة، وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللَّذين على

---

(١) من الجدير بالذكر: أنَّ أسباب هذه الفاجعة لم تتولَّد جميعها في زمن المستعصم، وإنَّما كان لها جذورتاريخية ذات صلة وثيقة بحصول هذه المأساة نجمت واكتمل نموُّها في زمن الخليفة المذكور فأدَّت إلى ما أدَّت إليه من الفظائع والآلام.

وكان عدم قيام خلافة هؤلاءِ الخلفاءِ على أسسها الرشيدة الإسلامية عنصر شرٍّ كبير في وقوع هذه الكوارث والمحن التي قضت على عزة الإسلام وتقدم المسلمين، فلم يكن المنهج الذي انتهجوه في سياسة الحكم والمال وغيرها موافقا لمنهج الإسلام العادل في الحكم والمال، بل جدَّدوا سيرة السلاطين والملوك الأكاسرة والقياصرة، وشر من هؤلاءِ من أقرَّ بحكوماتهم واعتبرها شرعية، ولم ينكر عليهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) فالخليفة العبّاسي الناصرلدين الله هو الذي يقال إنه كاتب التتار، وأطمعهم في البلاد (راجع الكامل في التاريخ / ج ٩ / ص ٣٦١، و ابن كثير / ج ١٣ ص ١٠٧، والأعلام للزركلي / ج ١ / ص ١٠٦، وروضة الصفا / ج ٥ / ص ٧٨ و ٧٩).

(٣) قال الصفدي في الوافي بالوفيات / ج ١ / ص ٢٨٠، في ترجمة البروي الشافعي أحد المشاهير المشار إليهم بالتقدُّم في النظر وعلم الكلام والفقه، وكان يبالغ في ذمّ الحنابلة، وقال لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية فجاءته امرأة في اللَّيل بصحن حلوى قالت انا أغزل، وابيعه، وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى. فانظر كيف ضرب الاختلاف المذهبي بعض المسلمين ببعض، وكيف نسوا ما ذكّروا به.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩.

مقدمة عساكر سلطان التتار هولاكوخان ــ إلى قوله ــ وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب. حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياه، وكانت مولدة تسمَّى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، و هي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك، وفزع فزعاً شديداً.[1]

وقال ابن الطقطقي في «الفخري في الآداب السلطانية»[2]: كان المستعصم آخر الخلفاء شديد الكلف باللَّهو واللّعب، وسماع الأغاني، لايكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه على التَّنعُّم واللَّذات، لايراعون له صلاحاً، وفي بعض الأمثال «الخائن لايسمع صياحاً»، وكتب له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير، وألقيت، وفيها الأشعار في دارالخلافة فمن ذلك «مجتث».

قل للخليفة مهلا ... اتاك مالا تحب
هاقد دهتك فنون ... من المصائب عزب
فانهض بعزم وإلّا ... غشاك ويل وحرب
كسر وهتك وأسر ... ضرب ونهب وسلب

وفي ذلك يقول بعض شعراء الدولة المستعصمية من قصيدة أولها:

يا سائلي ولمحض الحق يرتاد ... أصخ فعندي نشدان وإنشاد
واضيعة الناس والدين الحنيف وما ... تلقاه من حادثات الدهر بغداد[3]

---

(١) البداية والنهاية / ج ١٣ / ص ٢٠٠.
(٢) ص ٣٣.
(٣) قبله:
إن جئت يثرب أو شارفت ساحتها ... فقل لمن أنزلت في حقِّه صاد

قتل، وهتك، وأحداث يشيب بها رأس الوليد، وتعذيب وأصفاد

كل ذلك، وهو عاكف على سماع الأغاني، واستماع المثالث والمثاني، وملكه قد أصبح واهي المباني. ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوي الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول السلطان هلاكو إليه؛ يطلب منه منجنيقات وآلات الحصار، فقال بدرالدين: أنظروا إلى المطلوبين وأبكوا على الإسلام وأهله، وبلغني ان الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي كان في أواخر الدولة المستعصمية ينشد دائماً «خفيف»:

كيف يرجى الصلاح من أمر قوم ضيّعوا الحزم فيه أيَّ ضياع
فمطاعٌ، وليس فيه سدادٌ وسديد المقال غيرُ مطاع

«انتهى كلام الفخري».

وكان من حبّه للمال: أن الملك الناصر داود المعظم أودع عنده في سنة سبع وأربعين وديعة قيمتها مئة ألف دينار فجحدها الخليفة فاستقبح هذا من مثله. وهو مستقبح ممن دونه بكثير بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدّه إليك.[1]

وكان من بخله أن فارق كثير من الجند بغداد لانقطاع أرزاقهم، ولحقوا ببلاد الشام في سنة خمسين وستمئة.[2]

وكان من قلة تدبيره وضعفه تركه ما أشار عليه به الوزير من المهادنة وإرسال التحف والهدايا إلى هلاكو وخواصّه وقوّاده بعد ما قبل أوّلاً

ألكفر أضرم في الإسلام جذوته وليس يُرجىٰ لنارِ الكفر إخماد

(راجع تاريخ ابن الفوطي البغدادي الموسوم بالحوادث الجامعة ص ٣٢١).

(١) راجع تاريخ ابن كثير / ١٣ / ٢٠٥ و ٢١٤.

(٢) تاريخ ابن الفوطي ص ٢٦١.

فترك الحزم واقتصر على إنفاذ شيء يسير،[1] وأخذ برأي أعداء الوزير وحسّاده فإنّهم خطّأوه، وشجّعوا الخليفة على الحرب، وترك المهادنة[2] وقد كان ابوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً، ومع ذلك كان يصانع التتار، ويهادنهم ويرضيهم[3]، ولعله لو قبل هذه النصيحة، وسلك على منهاج ابيه لدفع عن المسلمين هذه المصيبة العظمى.

ويظهر مما أنشأه الشيخ الاديب الشاعر سعدي الشيرازي في مرثية المستعصم أن الملك أبابكر بن سعد الزنكي أيضاً أشار على المستعصم بالمصانعة والمهادنة فلم يقبل نصيحته، وقد دفع هذا الملك التتار بالمصانعة، والتدبير عن بلاد فارس.

وذكروا[4] من تكبُّر الخليفة أنه كان في طريق بلاطه حجر كالحجر الأسود عليه غطاء أطلس أسود، وكان الملوك والسلاطين وكبراء الناس وغيرهم يزورون ذلك الغطاء، ويستلمون الحجر، وذكروا أن العالم المتورِّع مجدالدين إسمٰعيل الفالي الذي أرسله أتابك مظفرالدين سعد

---

(١) قال في «تاريخ مختصر الدول ص ٢٦٩»: ولما فتح هلاكو تلك القلاع أرسل رسولاً آخر إلى الخليفة وعاتبه على إهماله تسيير النجدة فشاوروا الوزير فيما يجب أن يفعلوه فقال: لاوجه غير إرضاء هذا الملك الجبّار ببذل الأموال والهدايا والتحف له ولخواصّه، وعند ما أخذوا في تجهيز ما يسيِّرونه من الجواهر والمرصَّعات والثياب والذهب، والفضة، والمماليك، والجواري والخيل والبغال والجمال، قال الدويدار الصغير وأصحابه: إنَّ الوزير إنَّما يدبر شأن نفسه مع التتار وهو يروم تسليمنا إليهم فلا نمكِّنه من ذلك فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة، واقتصر على شيءٍ نزر لا قدر له فغضب هولاكو الخ.

(٢) راجع تاريخ ابن كثير / ١٣ / ٢٠٠، وروضة الصفا / ٥ / ٢٤٠ و ٢٤١، والحوادث الجامعة ص ٣١٩، وجامع التواريخ / ٢ / ٧٠٢، وذيل تاريخ جهانگشا الجويني / ٣ / ٢٨٠و٢٨١.

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩.

(٤) روضة الصفا / ٥ / ٢٣٥ و ٢٣٦، وتاريخ وصاف الحضرة ص ٢٧.

رسولاً إلى الخليفة امتنع عن تقبيل الحجر المذكور ــ ونعم ما فعل فإنّه يجب على كل مسلم موحّد مؤمن بالله ورسوله أن يمتنع عن ذلك ــ فلما ألزموه وضع المصحف الشريف على الحجر، وقبل المصحف.

ومن أفظع الوقائع الحادثة في خلافة المستعصم تخريب محلة الكرخ في بغداد، وقتل جماعة كثيرة من الشيعة من بني هاشم وغيرهم، ونهب أموالهم، وأسر البنات، وحملهن عاريات على الخيول في السوق بأمر أبي العباس أحمد بن المستعصم.[1]

وعلى كل حال فاحتمال كون اتهام الوزير العلقمي بالمواضعة مع هولاكو من مختلقات المتعصّبين[2] وأعداء الشيعة قريب جداً لا يدفعه شيء،

---

(١) راجع في ذلك تاريخ روضة الصفا / ج ٥ / ص ٢٣٦، ومجالس المؤمنين ص ٤٣٧، والفخري ص ٢٤٤، وتاريخ ابن كثير ج ١٣ ص ١٩٦، وتاريخ ابن الفوطي ص ٣١٤ ــ وقد استبيحت دماء الشيعة ووضع السيف فيهم في بغداد غير مرة فراجع تاريخ ابن الأثير وغيره حتى تعلم ما فعلت جهالات السفهاء وعصبياتهم الباطلة. فمن ذلك ما ذكره ابن الأثير في حوادث سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة فاقرأ في تاريخه تفصيل هذه الحادثة وما ظهر من الجهال من سوء الأدب إلى المشهد الكاظمي (ع)، والحرب والحرق والهدم والقتل، وما جرى من الأمر الفظيع ممّا لم يجر في الدنيا مثله مما قد تركنا ذكر تفاصيله حذراً من جرح عواطف الشيعة، ونكتفي بذكر أبيات من قصيدة أنشأها المؤيد في الدين أبونصر هبة الله بن موسى ابن أبي عمران في هذه الحادثة:

ألا ما لهذي السما لا تمور ... وما للجبال ترى لا تسير
فموسى يشق له قبره ... ولما أتى حشره والنشور
ويسعر بالنار منه حريم ... حرام على زائريه السعير
وتقتل شيعة آل الرسول ... عتواً وتهتك منهم ستور
فوا حسرتا لنفوس تسيل ... وياغمّتا لرؤوس تطير (القصيدة)

وقد جرى على الشيعة مثل هذه الحادثة الفظيعة في سنة خمس وأربعين وأربعمئة، وفي غيرها.

(٢) والذي ظهر لي بعد الفحص الكثير في التواريخ سيّما التواريخ المؤلفة في القرن السابع الذي وقعت فيه هذه الفاجعة ــ ككتاب مختصر تاريخ الدول، والحوادث الجامعة،

وإسناد الاشتراك في هذه الجرائم الفظيعة إلى أحد من المسلمين من غير دليل قطعي؛ لا يجوز عند العقل والشرع.

ولأجل زيادة التوضيح ننقل كلام «ابن الطقطقي» في الفخري

وجامع التواريخ، ورسالة كتبها الخواجه نصيرالدين في شرح هذه الحادثة ــ التي ينبغي أن تعدَّ من أوثق المصادر بل أوثقها في هذه الواقعة ــ أن نسبة المؤامرة إلى الوزير مع هولاكو إنَّما صدرت من حسّاده وأعدائه كالدويدار الصغير وأتباعه ممَّن يريدون الاستبداد بالأمور فألقوا في الألسنة والأفواه مؤامرة الوزير، واتَّهموه بالخيانة لالأنه شيعيٌّ والدويدار سنيٌّ، بل لأن الوزير كان يقف ضد نواياهم ويمنعهم من الاستيلاء على الأمور والاستبداد، ولذلك لم يرالدويدار والشرابي بعد وفاة المستنصر تقليد الخفاجي الأمر وهو الذي كان فيه شهامة وشجاعة زائدة، وكان يقول: لئن وليت لأعبرنَّ بالعسكر نهر جيحون و آخذ البلاد من أيدي التتار وأستأصلهم، فآثروا المستعصم للينه وانقياده ليكون لهم الأمر (تاريخ الخلفاءِ ص ٣٠٦ و ٣٠٨) ولم يقنع الدويدار بذلك حتى عمل على خلع المستعصم، والمبايعة لولده (تاريخ ابن الفوطي ص ٢٤٩). ويظهر من التواريخ أن الخليفة الضعيف المستضعف كان عاجزاً عن دفع أمثال الدويدار وقطع أيديهم عن الأعمال، وكان الدويدار لايعتني بمقام الوزير، ولم تكن للوزير ــ مع وجود الدويدار ــ قدرة على تمشية الأمور وإنفاذ تدبيراته الحكيمة، والمترجح في النظر أنه لم يردأحد من هؤلاء الأمراء لا ابن العلقمي ولا الدويدار ولا غيرهم تغلب التتار على بغداد ولكنهم تركوا الحزم ولم يدعوا قبال هذه الحادثة العظمى اختلافاتهم، فمنع الدويدار الصغير الخليفة من العمل برأي الوزير، واتهمه تارة بالخيانة وأخرى بالحمق والسفاهة، وقال: لحيته طويلة لأنه يرى أن تدبير الوزير لدفع شر التتار لو نجح لصار سبباً لزيادة تقربه إلى الخليفة. وخلاصة الكلام أنَّ المتتبِّع في كتب التواريخ يعرف أن ما اشار به الوزير على الخليفة كان عين المصلحة وأدَّى به النصيحة، ولوعمل به لما وقعت هذه المذبحة العامة، وربما لا تجد في مثل تاريخ (مختصر تاريخ الدول) لابن العربي (المتوفى: ١٢٨٦م)، ورسالة الخواجة التي كتبها في شرح هذه الواقعة، وتاريخ ابن الفوطي (المتوفى: ٧٢٣هـ) وجامع التواريخ لرشيدالدين فضل الله الوزير (من أعلام القرن السابع وأوائل القرن الثامن) من المصادر والكتب التي ألفت في القرن الذي وقعت فيه هذه الحادثة ذكراً للمؤامرة ولاأثراً فلا حقيقة لهذه النسبة إلّا إذا أخذنا بقول بعض الكتاب: (ألكِذْبَةُ إذا شاعت أصبحت حقيقة).

إذاً فلا ينبغي لمسلم أن يتَّهم غيره بمجرَّد المزاعم والنقول التي لاسند لها ولا يعتمد عليها.

هذا ما ظهر لي بعد التتبُّع والتأمل التامَّين وأشهدالله تعالى أني لا أقول ذلك لأنَّ ابن

(ص٢٤٦) قال: كان (يعني العلقمي) رجلاً فاضلاً كاملاً لبيبا كريماً وقوراً محبّاً للرياسة كثير التجمُّل رئيساً متمسِّكاً بقوانين الرياسة، خبيراً بأدوات السياسة لبيق الأعطاف بآلات الوزارة، وكان يحب أهل الادب ويقرِّب أهل العلم، اقتنى كتباً كثيرة نفيسة (الى ان قال)، وكان مؤيد الدين الوزير عفيفاً عن أموال الديوان وأموال الرعية، متنزِّهاً مترفعاً. قيل: إن بدرالدين صاحب الموصل أهدى إليه هدية تشتمل على كتب، وثياب، ولطائف قيمتها عشرة آلاف دينار فلما وصلت إلى الوزير حملها إلى خدمة الخليفة وقال: إنَّ صاحب الموصل قد أهدىٰ إليَّ هذا، واستحييت منه أن أردَّه إليه، وقد حملته، أسأل قبوله فقبل. ثم أنه أهدى إلى بدرالدين عوض هديته شيئاً من لطائف بغداد قيمته اثنا عشر ألف دينار، والتمس منه أن لايهدي إليه شيئاً بعد ذلك.

وكان خواصُّ الخليفة جميعاً يكرهونه، ويحسُدونه (وكان الخليفة يعتقد فيه، ويحبه) وكثروا عليه عنده؛ فكف يده عن أكثر الأمور. ونسبه الناس إلى أنه خامر، وليس ذلك بصحيح. وقال[1]: وفي آخر أيامه قويت الأراجيف بوصول عسكر المغول بصحبة السلطان هلاكو فلم يحرك ذلك منه «يعني المستعصم» عزماً ولا نسبه منه همة، ولا أحدث عنده همّاً وكان كلما سمع عن السلطان من الاحتياط، والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال «إلى أن قال» وكان وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي يعرف حقيقة الحال في ذلك، ويكاتبه بالتحذير والتنبيه، ويشير عليه بالتيقظ والاحتياط والاستعداد، وهو لا يزداد إلّا

العلقمي كان شيعياً، فليس قصدي إلّا نشدان الواقع والحقيقة، وتطهير النفوس من البغضاء والشَّحناء ولا قوة إلّا بالله.

(١) «الفخري» لابن الطقطقي / ص ٢٤٤.

غفولا، وكان خواصُّه يوهمونه أنَّه ليس في هذا كبير خطر «إلخ».

وليس عندي ببعيد أن نسبة الخيانة إلى الوزير العلقمي صدرت أوَّلا من بعض المتعصِّبين ــ كما أسلفنا ــ ثم نقلها بعض الشيعة ممَّن جرح عواطفهم ما صدر من العبّاسيِّين وعمّالِهم على الشيعة؛ من سلب الحرية، والاضطهاد، والقتل، والتعذيب مما تقشعرُّ من ذكره الأبدان، فكأنه أراد بنقل ذلك شفاءَ ما في صدره من هذه الأعمال الفجيعة، والسياسات الظالمة ومن نقلها من السنِّيِّين لم يسندها إلى مصدر معتبر موثوق به، ولم أعثر في كتب التراجم والمعاجم الشيعية ذكراً لهذه النسبة فضلا عن الافتخار بها، ولو كان فيهم من يفتخر بذلك «العياذ بالله» لذكروهُ في كتبهم المؤلفة في عصر الخواجة، والعلقمي، وهذه كتب العلامة الحلي في الإمامة، وخلاف الأمة ليس فيها ذكر عن ذلك مع أنه كان من تلامذة الخواجة في المعقول. نعم في الأعصار الأخيرة ذكر ذلك القاضي نور الله الشهيد المتوفى عام ١٠٢١هـ في «مجالس المؤمنين»، وتبعه مؤلف «روضات الجنات» المتوفى عام ١٣١٣ من غير استناد إلى أصل موثوق به، وسواء أكان تدخل العلقمي في هذه الحادثة معلوماً أم مشكوكاً فأصول الشيعة تأبى عن الرضا بهذه الكارثة، وما جرى فيها من القتل العام، وذبح المسلمين والمسلمات، فالشيعي لا يجوِّز قتل مسلم واحدٍ سنيّاً كان أو شيعياً إلّا بالحق؛ فكيف يرضى بهذه المذبحة العامة وقتل الشيوخ والأطفال، وتغلُّب الكفّار على المسلمين، وليس في فقهاء الشيعة من أفتى بجواز قتل واحد من أهل السنة لأنَّه سنِّيٌّ. فضلا عن قتل عامة أهل بغداد مع ما فيهم من العلماء والأشراف من السنِّيِّين والشيعيِّين، وأمّا الخواجة نصيرالدين المحقق الطوسي فشأنه أجلُّ وأنبل من التدخُّل في هذه الفاجعة، وقد كان هولاكو قبل استخلاصه الخواجة من يد الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة، وطلب منه أن يعينه بالجنود، والعساكر، وكان غرضه

من ذلك توطئة الوسيلة للخروج عليه، وفتح بغداد كغيرها من البلاد، ولم يكن لمنع الخواجة في فسخ عزيمته قليل تأثير فهو وإن كان مكرماً عنده ظاهراً، وكان هولاكو يفتخر بوجوده في البلاط السلطاني، وأراد أن ينتفع بعلمه وحكمته لكن لم يكن الخواجة ممَّن لازم السلطان وصحبه بالاختيار، بل كان مكرهاً مجبوراً في ذلك لم يكن له بدٌّ من صحبة السلطان. وما كان حاله عند هولاكو أحسن من حاله عند الاسماعيلية.

ومما يبعد نسبة وجود مواضعة بين هذا الفيلسوف وابن العلقمي أنَّ ابن العلقمي كتب إلى الأمير ناصرالدين المحتشم أنَّ نصيرالدين الطوسي قد ابتدأ بمكاتبة الخليفة، وأنشأ قصيدة في مدحه، وأراد الخروج من عندك، وهذا لا يوافق الرأي فلا تغفل عن هذا. فلما قرأ المحتشم كتابه حبس المحقق.[1]

وعلى كل حال فمثل هذا الحكيم الفيلسوف الذي قلَّما يجود الزمان بمثله في العلم، والأخلاق، والفضائل النفسانية، والكمالات الانسانية، ويضرب به المثل في التواضع والحلم، والرحمة البشرية، لا يقدم على أمر لا يقدم عليه إلّا من ألقى جلباب الانسانية عن نفسه، ونزع الله الرحمة من قلبه، وأين هذا من رجل كان معلم الأخلاق ولا يزال وتصانيفه في الحكمة العملية من مصادر التربية، وتعليم إصلاح الباطن؛ وتهذيب النفس.[2]

نعم ليس لمثل الخواجة ذنب غير حبِّ أهل البيت فصار بهذا الذنب غرضاً لسهام الجُهّال، كما أن الشارح المعتزلي السنِّي الذي توفي

---

(١) تاريخ وصاف الحضرة ص ٢٩ و ٣٠، ومجالس المؤمنين ص ٣٤٠.

(٢) قال ابن كثير في تاريخه: ١٣ / ٢٦٧ وعندي أنَّ هذا لا يصدر من عاقل ولا فاضل، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه، وقال: كان عاقلا فاضلا كريم الاخلاق.

قبل استيلاء المغول على بغداد[1] ليس له ذنب غير شرح نهج البلاغة، وما أبان فيه من الحقايق التاريخية، وفضائل لهل البيت، ومثالب مبغضيهم فلم يحرمه الخطيب من افتراءاته، ونسب اليه الاشتراك في هذه الفاجعة ولم يسند ذلك إلى أيِّ كتاب من كتب التراجم والتاريخ، ولم يأت في تحامله على هذا الشرح الذي يعدُّ من نفائس كتب المسلمين في الأدب والتاريخ واللغة، والكلام وغيرها إلّا بالفحش والشتم، والخروج عن أدب الكتابة.

هذا مختصر الكلام حول هذه الحادثة، وأسبابها، ولاريب أنها من أعظم عبر التاريخ، ويجب على المسلمين الاعتبار بها، وأن يعرفوا ضرر التنازع والتدابر، والانهماك في المعاصي، والاشتغال بالملاهي والملذات.

وما كان الله ليظلمهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

---

(١) فان سقوط بغداد كان في سنة ٦٥٦ وابن أبي الحديد توفي سنة ٦٥٥ (تاريخ ابن كثير / ١٣/ ١٩٩ و ٢٠٠).

من افتراءات الخطيب على الشيعة

لم يدع الخطيب شيئاً من الافتراء والبهتان إلّا وأسنده إلى الشيعة، وترك عنان القلم في ذلك حتى قال في ص ٢٧: «إنهم لا يرضون من المسلمين إلّا بأن يتبرأوا من كل من ليس شيعياً حتى آل البيت من بنات رسول الله (ص).

الشيعة أعظم الناس احتراماً وأشدُّ حفظاً للرسول (ص) في عترته وذريته، ليس عندهم أعزُّ من أبناء رسول الله (ص) وبناته وذريته، ويتوسلون إلى الله تعالى بحبِّهم، ويتقرّبون إلى رسوله بولايتهم، ولم ينفك شيعيٌّ عن ذلك قط، ولا تجد لهذا الافتراء أثراً عند الشيعة، لا في كتبهم ومقالاتهم، ولا في محافلهم وأنديتهم. فاذهب أيُّها المفتري إلى مجالس الشيعة حتى تعلم مبلغ تحسّرهم، وصراخهم، وولولتهم عند ذكر مصيبة الرسول بفقد ولده العزيز إبراهيم، وعند ذكرما جرى على زينب بنت رسول الله (ص) من المصائب، وحاشا ثم حاشا أن تكون في نفوس الشيعة إلّا محبة أولاد الرسول وشيعتهم ومحبيهم، وهل التشيُّع غير الولاء الخالص لأهل البيت؟ وكم من الفرق بينهم وبين من هو عندك معدود من أهل السنّة ممَّن سبَّ علياً وساير أهل البيت (ع) وترك التمسُّك بهم وتقرب بذلك إلى الأمراء طمعاً في جوائزهم، وصلاتهم؟

نعم الشيعة يفضلون فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين على إخوتها وأخواتها، وغيرهن من النساء لفضائلها، ومناقبها التي عرفها

الخاصُّ والعام، ولاختصاصها بأبيها.

قالت عائشة: ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله (ص). وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها وقام إليها وأخذ بيدها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه.[1]

وفي رواية أخرى عنها: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ولادلاً وهدياً برسول الله (ص) من فاطمة بنت رسول الله (ص) قالت: وكانت إذا دخلت على النبيِّ (ص) قام إليها فقبَّلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبيُّ (ص) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبَّلته وأجلسته في مجلسها.[2]

وقال (ص): **فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.**[3]

وقال (ص): **هي بضعة مني، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيَّ من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.**[4]

---

(١) مستدرك الصحيحين / ج ٣ / ص ١٥٤.

(٢) سنن الترمذي ج ٥ / ص ٧٠٠/ ح ٣٨٧٢ / ط. دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان، وأبي داود/ص ٣٤٥، والمستدرك /٤/٢٧٢.

(٣) صحيح البخاري في كتاب بدءِ الخلق ٢/١٨٥، وفي كتاب النكاح ٣/١٦٤، «هي بضعة مني يريبني مارابها، ويؤذيني ما آذاها».

(٤) نورالابصار / ص ٤١.

منزلة زيدالشهيد وسائر أهل البيت عند الشيعة

أخذ الخطيب عن أسلافه المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ما اخترعوه من الكذب الفاحش، والافتراء البيِّن على الشيعة. ومن أفحش هذه الافتراءات: ألبراءة من زيد بن علي بن الحسين وغيره من أكابر أهل البيت (ع)، وهذا بهتان تكذبه كتب الشيعة، ورواياتهم. فإن من أظهر شعائر التشيّع الحب الخالص، والولاء لأهل البيت والعلويين لاسيما الفاطميين منهم.

فهذه كتب التاريخ تنبئ عن ذلك، وتشهد على مواقفهم ومشاهدهم في سبيل الدفاع عن أهل البيت، وتخبرك عمَّن قتل منهم دون العلويين.

وهؤلاء الشيعة ضيق عليهم اعداء أهل البيت، والنواصب وابتلوهم بأنواع الاضطهاد، والمصائب، والفتن من القتل، وقطع الأيدي والأرجل، والسجن والجلد؛ والقذف بالكفر والخروج عن الدين، والآراء المفتعلة، وليست لهم جريمة إلّا حبُّ عليٍّ وفاطمة، وأبنيهما، والتمذهب بمذهبهم.

وهؤلاء الشيعة تخاصمهم أنت ونظراؤك لأنَّهم يُكرمون أبناء عليٍّ وفاطمة، ويعرفون لهم ما حباهم الله من الكرامة والفضيلة، ثم تنسبون إليهم أنهم لا يرضون من المسلمين إلّا أن يتبرأوا من آل الرسول مثل زيد الشهيد.

وهذه كتب الامامية في التراجم، والنسب مشحونة بالثناء

البليغ على زيد الشهيد، ووصفه بكل جميل وجلالة قدره، وكرامة مقامه عندالشيعة أشهر من أن تذكر، وأمره في الورع والعلم والبسالة، وشدة البأس وإباء النفس، والحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى مافيه الصلاح وخير الأمة غنيٌّ عن البيان. حاز الشرف النبويَّ، والمجد العلويَّ، والسؤدد الفاطميَّ، والروح الحسينيَّ. خرّج الشيعة عنه الأحاديث، وأثنوا عليه، ومدحه شعراؤهم، وأبّنوه. وللامامية في ترجمته كتب مفردة تنبئ عن منزلته عندهم. وخرَّجوا أيضاً في شأنه وفضله روايات كثيرة عن النبيِّ والوصيِّ، والإمام الباقر، والصادق، والرضا (ع).

هذه حال الشيعة وسيرتهم في آحترام العلويين، وأهل هذا البيت المبارك : فيا أهل الإنصاف هذه كتب التراجم والتاريخ اقرأوا فيها كيف هدر دم زيد الخلفاء الأمويون، وأتباعهم الذين يفتخر الخطيب بهم، ويعتبر حكوماتهم شرعية، وينقم على الشيعة أنهم لا يعتبرونها شرعية!

إسألوا الخطيب عن أسماء قتلة زيد، وعمَّن أمر بقتله، ومن قطع رأسه الشريف، والخليفة الذي أمر بإحراقه، وبعث برأسه إلى المدينة فنصب عند قبر الرسول (ص) يوماً وليلة، وآسألوه عن الخليفة الذي أمرأباخالدٍ القسريّ بقطع لسان الكميت ويده بقصيدة رثى بها زيداً، وابنه يحيى؛ هل كان هؤلاء من الشيعة أم من أسلاف الخطيب؟

أيُّها الخطيب! أو ليس محمد بن ابراهيم المخزومي عامل خليفتكم بالمدينة يعقد الحفلات بها سبعة أيام، ويخرج اليها، ويحضر الخطباء فيلعنون هناك عليّاً وزيداً وشيعته من قومك الماضين؟

أو ليس الحكم الأعور القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة «الخ».

من شعراء رهطك الأولين؟[1]

إقرأ كتب التاريخ، وانظر هل تقدر على إحصاء أسماء من قتل من الشرفاء الأجلاء؟ ثم انظر هل تجد في قاتليهم غير بني العباس، وبني أميّة وعمّالهم؟ واسأل عن مذاهبهم، هل كانوا من الشيعة أم من غيرهم؟.

إسألوا الخطيب عن أبي البختري وهب بن وهب الذي شق أمان الرشيد ليحيى بن عبدالله بن الحسن بالسكين، وجعل يشقه ويده ترتعد حتى صيره سيوراً فأجازه الرشيد بألف ألف وستمئة ألف هل إنه كان من قضاة الشيعة ام من اصحاب مذهبه، وأرباب نحلته؟

هذا كتاب مقاتل الطالبيين، إقرأ فيه شيئاً من مصائب أهل البيت ومحنهم، وما أصابهم من الخلفاء، وحكوماتكم (الشرعية) من الظلم والقتل، وقطع الأيدي والأرجل، والحبس في أعماق السجون، وتعذيبهم بقطع الماء والطعام عنهم، وارجع إلى نفسك وانظر هل تقرُّ القول بشرعية حكومة هؤلاء الجبابرة؟ وهل ترى من أيّد تلك الحكومات، وأفتى بوجوب طاعتها، واشترك في مظالمها وجرائمها على الاسلام والمسلمين طمعاً في حطام الدنيا لم يرتكب ذنباً، ولم يقترف إثماً؟.

---

(١) ومن طريف أخبار زيد ما ذكره عبدالرحمٰن بن عيسى بن حماد الهمذاني في كتاب: «الالفاظ الكتابية» المطبوع للمرة الثامنة في بيروت سنة ١٩١١م ص ١٤٣. قال: ولما أصاب زيد بن علي السهم، وأحس بالموت قال لرجل سأل عنها: أين السائلي عن أبي بكر وعمر؟ هما أقاماني هذا المقام.

المشهد العلوي المقدس

من الحقائق التاريخية المسلَّمة، والأمور التي لا تقبل الريب والإنكار كون مدفن أميرالمؤمنين علي (ع) في المكان المشهور الذي يتشرف الناس بزيارته، وقد أخفى أهل بيته، وأولاده قبره الشريف عن أعدائه من بني أمية وغيرهم، فلم يعرف هؤلاء موضع مضجعه بينما كان أهل بيته وأولاده عارفين بموضع قبرأبيهم (ع)، وقد أخبروا بذلك شيعتهم وخواصَّهم، وكانوا يزورونه في هذا المكان الطيب فزاره علي بن الحسين زين العابدين (ع) بالزيارة المأثورة عنه المعروفة بأمين الله، وزاره أيضاً أبوعبدالله جعفر بن محمد (ع) وغيرهما من الأئمة، ومشايخ أهل البيت، والنصوص في تعيين محل القبروأنه بالغريِّ في هذا المكان الذي يزار فيه عن الامام الحسن و الحسين، وزين العابدين وابنيه محمد الباقر وزيد الشهيد، وأبي عبدالله الصادق، وموسى بن جعفر، وعليِّ بن موسى الرضا، ومحمد بن عليٍّ الجواد، وغيرهم من الأئمة وأكابر أهل البيت متواترة، ومن يكون أعرف بموضع قبر الميت من أبنائه، وأقاربه، و عشيرته، وخواصه؟

وأخرج أبوالفرج بسنده عن الحسن بن علي الخلاّل قال: قلت للحسن بن علي: أين دفنتم أميرالمؤمنين (ع)؟ قال: خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنابه على مسجد الأشعث حتى خرجنا به الى الظهر بجنب الغريِّ.[1]

---

(١) مقاتل الطالبيين / ص ٤٢.

واخرج ابن اعثم الكوفي أيضاً في تاريخه «على ما في ترجمته» عن الحسن بن علي (ع) أنه قال: دفناه بالغريّ.

واخرج ابوالفرج أيضاً[1] بسنده عن أبي قرّة قال: خرجت مع زيد بن عليٍّ ليلاً إلى الجبّان، وهو مرخي اليدين لاشيء معه فقال لي: يا أباقُرَّةَ أجائع أنت؟ قلت: نعم فناولني كمثراة ملء الكف ما أدري أريحها أطيب أم طعمها، ثم قال لي: يا أباقرّة أتدري أين نحن؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر أميرالمؤمنين عليٍّ (ع).

وأخرج الحافظ الصنعاني في «الشمس المنيرة» أنَّ من المشهور أنَّ زيد بن عليٍّ (ع) الذي ينسب إليه أهل المذهب الزيدي قال لأصحابه وهم يسلكون معه طريق الغري: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة في طريق قبر أميرالمؤمنين (ع).

وأخرج العلاّمة المحدّث الثقة ابن قولويه المتوفى عام ٣٦٧ أو عام ٣٦٨ في «كامل الزيارة»، والسيد ابن طاوس في «فرحة الغري» النصوص المأثورة المتواترة في ذلك عن النبيِّ (ص) وأميرالمؤمنين (ع)، والحسن والحسين والسجّاد، وسائر الأئمة (ع).

نقول هذا وفيه الكفاية وفوق الكفاية غير متعرِّضين لما ظهر من كرامات كثيرة، وآيات بيِّنة عند الضريح المقدّس ممَّا لا تسعه الأوراق، وتعجز عن إحصائه الأقلام. ذكر طائفة منها العلماء والمحدّثون في كتبهم بأسناد معتبرة، وصرَّح بذلك ابن بطوطة[2] وذكر بعض ما يتعلق بليلة المحيا؛ ليلة السابع والعشرين من رجب.

وقد أفرد الباحثون، والمحققون في تعيين قبره، وأنه مدفون

---

(١) مقاتل الطالبيّن / ص ١٢٨.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١/١١٠.

بالنجف، وفي تاريخ هذا المشهد الشريف مؤلفات قيّمة، منها كتاب «فرحة الغري» للسيد النقيب العلّامة غياث الدين عبدالكريم بن طاوس المتوفى عام ٦٩٣، وهو كتاب حسن نافع جيد جداً.

وكتاب «موضع قبر اميرالمؤمنين (ع)» لأبي الحسن محمّد بن علي بن الفضل بن تمام الكوفي الدهقان أحد أعلام القرن الرابع.

وأيضاً كتاب «موضع قبر أميرالمؤمنين (ع)» لأبي جعفر محمّد بن بكران عمران الرازي من القرن المذكور.

وكتاب «الدلائل البرهانية في تصحيح الحضرة العلوية» للعلّامة الحلي.

وكتاب «نزهة الغري» للشيخ محمّد الكوفي.

و «نزهة اهل الحرمين في تعمير المشهدين الغروي والحائري» للسيّد العلاّمة السيّد حسن الصدر.

و «ماضي النجف وحاضرها» للشيخ جعفر النجفي آل محبوبة.

و«اليتيمة الغروية» للسيّد حسّون المتوفى ١٣٣٣.

و«لؤلؤ الصدف» للسيّد عبدالله ثقة الاسلام الإصبهانى.

و«حدُّ الغري» وغيره. وصرّح بكون القبر في الغري جمع من أكابر المؤرخين كاليعقوبي المتوفىٰ عام ٢٩٢ هـ فقال على سبيل الجزم في تاريخه «ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري»:

وقال أبوالفداء في المختصر[١]: «والأصحُّ وهوالذي ارتضاه ابن الأثير وغيره أن قبره هو المشهور بالنجف، وهو الذي يزارااليوم».

وقال ابن الطقطقي[٢] «واما مدفن أميرالمؤمنين (ع) فإنه دفن ليلا

---

(١) تاريخ ابي الفداء ٢/٩٣.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٤.

بالغريِّ ثم عفِّيَ قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن صلوات الله وسلامه عليه».

وفي «معجم البلدان»[1] وهو «يعني النجف» بظهر الكوفة كالمستّاة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، والنجف وقشور الصليان وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

وفيه أيضاً[2]: «والغريّان طربالان وهما بناءان كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه».

وفي «مراصد الإطّلاع»[3] «والنجف أيضاً بظهر الكوفة كالمستّاة تمنع سيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها، وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المشهور».

وأخرج الكنجي الشافعي[4] بسنده عن الحاكم أبي عبدالله الحافظ بإسناد رفعه قال: «لما حضرت وفاة علي (ع) قال للحسن والحسين (ع): إذا أنامِتُّ فاحملاني على سرير، ثم أخرجاني ليلاً ثم آتيابي الغريَّين فإنَّكما ستريان صخرة بيضاء تلمع نوراً، فاحتفرا فإنَّكما ستجدان فيها ساحة فادفناني فيها. فدفنّاه وانصرفنا».

وقال ابن أبي الحديد[5]: «وقبره بالغريِّ «إلى أن قال» وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاربنوه لمّا قدموا العراق منهم جعفر بن محمد (ع) وغيره من

---

(١) معجم البلدان ٥/٢٧١ طبعة بيروت.

(٢) ج ٤ / ص ١٩٦.

(٣) ص ٣٩٤ طبع مصر عام ١٣١٠هـ.

(٤) كفاية الطالب ص ٣٢٣.

(٥) شرح النهج ١/٥، مطبعة دارالكتب العربية الكبرى بمصر.

أكابرهم واعيانهم».

وقال أيضاً في شرح النهج[1]: «وهذا القبر الذي بالغريّ هو الذي كان بنو علي يزورونه قديماً وحديثاً، ويقولون: «هذا قبر أبينا» لا يشكُّ أحد في ذلك من الشيعة، ولا من غيرهم، أعني بني علي من ظهر الحسن والحسين وغيرهما من سلالته المتقدّمين منهم والمتأخرين، ما زاروا ولا وقفوا إلّا على هذا القبر بعينه. وقد روى ابوالفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي في تاريخه المعروف بـ«المنتظم» وفاة أبي الغنائم محمَّد بن علي بن ميمون الرسّي المقري بأبي نجودة قرأته قال: توفي ابوالغنائم هذا في سنة عشرو خمسمئة وكان محدّثا من أهل الكوفة ثقة حافظاً، وكان من قوّام الليل، ومن أهل السنّة، وكان يقول: ما بالكوفة من هو على مذهب أهل السنّة وأصحاب الحديث غيري، وكان يقول: مات بالكوفة ثلا ثمئة صحابي ليس قبر أحد منهم معروفاً إلّا قبر أمير المؤمنين (ع)، وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن. جاء جعفر بن محمد، وابوه محمد بن علي ابن الحسين (ع) فزاراه ــ الخ».

وقد زاره أيضاً جمع من الخلفاء؛ كالمنصور، والرشيد، والمقتفي، والناصر، والمستنصر، والمستعصم.[2]

وفي كتاب «السيدة زينب» الذي وضعته لجنة نشر العلوم والمعارف الاسلامية بالقاهرة: «وخفي قبره إلى أن ظهر حيث مشهده الآن «وفيه» قد ثبت أنَّ زين العابدين علي بن الحسين، وجعفراً الصادق، وابنه موسى زاروه في المكان المذكور، ولم يزل قبره مستوراً لا يعرفه إلّا

---

(١) ٤٥/٢ مطبعة دارالكتب العربية الكبرى بمصر.

(٢) فرحة الغري ص ١٠٠ــ١٠٤، و«الحوادث الجامعة» لابن الفوطي ص ١٨٨ و ٢٥٧.

خواصُّ أولاده، ومن يثقون به بوصية كانت لما علم من دولة بني أمية في عداوتهم له فلم يزل مختفياً حتى كان زمن هارون الرشيد «ثم ذكر حكاية خروج هارون إلى ظهر الكوفة للصيد، ومارأى من كرامة الامام (ع)، وظهور القبر له بدلالة بعض شيوخ الكوفة، وأمره ببناء قبة عليه».[1]

هذا وإيضاح موضع دفن جثمان الإمام (ع) وأنَّه في النجف في المحل الذي يزار الآن غنيٌّ عن البيان وقد قام عليه اتفاق أهل بيته والأئمة من ولده وشيعته لم يختلف في ذلك منهم اثنان، ولكن الخطيب أنكر هذا الواقع المسلَّم حسداً وبغضاً لأنَّ في رحاب هذا المشهد تحيىٰ مآثر العترة الطاهرة، وتأسست منذ الف سنة أعظم جامعة إسلامية لا تزال ترسل أشعتها إلى أرجاء العالم الاسلامي.

يحسد الخطيب أهل البيت على ما آتاهم الله من فضله، ومنحهم من المحبة في قلوب المؤمنين وعلى أيامهم ومشاهدهم ومواقفهم التي ترسِّخ في النفوس حبَّ الشرف والفضيلة.

هذه المشاهد تقول: إن أعداء الحق وأتباع الباطل، وإن جهدوا جهدهم وسعوا سعيهم وقتلوا أصحاب الحق، وهدموا بيوتهم، وفرَّقوا جموعهم، وعذَّبوهم في قعرالسجون، وسبُّوهم على المنابر؛ لا يقدرون على إطفاء نور الله ويأبى الله إلّا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون.

هذه المشاهد تصرخ في وجوه الظلمة، وتنادي البشرية وتقول: كونوا أحراراً وأنصاراً لدين الله، وأعواناً لعباد الله، وادفعوا عن كيان

---

(١) السيدة زينب / ص ٥ و ٦ و ٧، وقال ابن حوقل في «صورة الأرض» ص ٢١٥ وقد شهر أبوالهيجاء عبدالله بن حمدان هذا المكان، وجعل عليه حصاراً منيعاً وابتنىٰ على القبر قبة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها ابواب، وسترها بفاخر الستور، وفرشها بثمين الحصر السامان، وقد دفن في هذا المكان المذكور جلة أولاده وسادات آل أبي طالب من خارج هذه القبة، وجعلت الناحية ممّا دون الحصار الكبير تربا لآل أبي طالب.

الإسلام وشرف الإنسان يبقَ لكم الذكر الخالد. وتقول:

قف دون رأيك في الحياة مجاهداً إنَّ الحياة عقيدة وجهاد

هذه القبور شعائر الحرية، وشعائر إخلاص أبناء البشر، وأهل الإباء والحميَّة. وتدعو الناس إلى إعانة المظلوم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدفاع عن حقوق الانسانية الكبرى.

هذه القبور تقول: إن أنصار الحقِّ هم الغالبون، وإنَّ حزب الله هم المفلحون، وإنَّ المستقبل لهم، وإنَّ الدهر لا ينساهم، والله يورثهم الأرض ويجعلهم الأئمة ويجعلهم الوارثين.

لقد حارب هذه القبورَ، وأرادهدمها، ومنع الناس من زيارتها جبابرةُ الأرض، وأعداءُ الحرية، والخطيبُ ومن كان فيه نزعة أموية يتبع أثر هؤلاء فيثقل عليه ما يرى من ميل النفوس إلى زيارة هذه المشاهد، فكأنَّهم يحبُّون أن تكون هذه الضرائح التي تهوي إليها الأفئدة، وتحنُّ إليها القلوب؛ لأعداء أهل البيت، وجبابرة التاريخ الذين حاربوا الفضائل الانسانية، وسعوا في إطفاء نور الحق، وكان من ألذِّ الأشياء عندهم قتل الأبرياء، وتعذيب الصلحاء. فيقول في جملة من كلماته التي يظهر منها التعصب والعناد وبغض أهل البيت (ع) بعد تكرار افتراءاته السابقة على الشيعة من القول بوقوع التحريف في القرآن في ص ٢٧ و ٢٨: «وقد زعموا ذلك «يعني القول بالتحريف»[1] في جميع عصورهم، وطبقاتهم على ما نقله عنهم وسجَّله لهم نابغتهم العزيز عليهم، الحبيب إلى قلوبهم الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في

---

(١) قد اشبعنا الكلام في صيانة القرآن من التحريف وذكرنا جملة من أقوال أكابر الشيعة وأحاديثهم في جميع طبقاتهم، وعصورهم في بطلان القول بالتحريف فراجع تمام كلامنا في هذا الباب.

إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب» الذي اقترف جناية كتابة كل سطر منه في جانب قبر الصحابي الجليل أمير الكوفة المغيرة بن شعبة «رض» الذي تزعم الشيعة أنَّه قبر علي بن أبي طالب.[1]

أُنظر الى هذه الكليمات بعين الإنصاف، واقض العجب ممّا يريده هذا الرجل من التفريق بين المؤمنين، وانظر كيف يكرر افتراءاته، وكيف يأتي بكل ما يهيج السنَّة على الشيعة وبالعكس، فيتعرّض لما لا يعدُّ من الخلافات المذهبية، ولا مساس له بتحقيق الوحدة الاسلامية.

أنظر كيف يثني على المغيرة بن شعبة، ويأبى ذلك في حق من هو مجمع الأوصاف الانسانية المحمودة فيأتي بعد هذا الثناء على المغيرة

---

(١) لم يسبق الخطيب في نقل هذه الفرية أحد إلّا الخطيب البغدادي فإنه حكى عن أبي نعيم عن أبي بكر الطلحي أن أبا جعفر الحضرمي كان ينكر ذلك من غير أن يسنده إلى مأخذ أو أصل أو ينقله عن مجهول أو يذكر له مصدراً، ولم يعتمد على هذه الحكاية الواهية أحد من المؤرخين لاقبل الخطيب ولا بعده، وعدَّه العلامة سبط ابن الجوزي من أغلاط أبي نعيم وقال:

«إن المغيرة بن شعبة لم يعرف له قبر وقيل إنه مات بالشام (تذكرة الخواص ص ١٨٧ ط ٢)».

وقال ابن ابي الحديد في المجلد الثاني من شرح النهج ص ٤٥–٤٦: «سألت بعض من أثق به من عقلاءِ شيوخ أهل الكوفة عمّا ذكره الخطيب أبوبكر في تاريخه: أن قوماً يقولون: إن هذا القبر الذي تزوره الشيعة إلى جانب الغري هو قبر المغيرة بن شعبة فقال: غلطوا في ذلك؛ قبر المغيرة، وقبر زياد بالثوية من أرض الكوفة ونحن نعرفها وننقل ذلك عن آبائنا وأجدادنا «إلى أن قال» وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبدالله الحسين بن الاقساسي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال: صدق من أخبرك نحن وأهلها كافة نعرف مقابر ثقيف إلى الثوية، وهي الى اليوم معروفة وقبر المغيرة فيها إلّا أنها لا تعرف قد ابتلعها السبخ وزبدالارض وفورانها واختلط بعضها ببعض، ثم قال: إن شئت أن تتحقَّق أنَّ قبر المغيرة في مقابر ثقيف فانظر الى كتاب الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين وألمح ما قاله في ترجمة المغيرة في الكتاب المذكور؛ فوجدت الامر كما قاله النقيب».

بذكر اسم أمير المؤمنين (ع)، مجرّداً عن جميع أوصافه وألقابه.

وانظر كيف لا يستحيي من العلماء، ومن قلمه وقرطاسه، فيقول جازماً من دون أن يذكر خلافاً في ذلك: إن الذي تزعم الشيعة أنّه قبر علي بن ابي طالب هو قبر المغيرة، كأنه من أولاد المغيرة، أو كان حاضراً حين واروه في التراب.

فاسألوا منه من أين عرفت موضع قبر المغيرة؟ ومن أين ثبت ذلك عندك؟ ومن أيّ مصدر صحيح أخذته؟ وهذا العلّامة الشهير سبط ابن الجوزي يقول: لم يعرف له قبر، وقيل إنه مات بالشام، وهذا ابن حبان يقول على ما حكي عنه في معجم البلدان في «الثوية» إن المغيرة بن شعبة دفن بالكوفة بموضع يقال له الثوية وهناك دفن أبوموسى الأشعري في سنة خمسين، وقال في «مراصد الاطلاع» قيل بالثوية دفن المغيرة وأبوموسى الأشعري وزياد.

أم كيف ينكر معرفة ولد أمير المؤمنين الذين دفنوا أباهم، وزاروه في هذا الموضع الذي عرّفوا الناس به؟ وكيف ينكر معرفة شيعته بقبره؟ فمن كان أبصر وأعلم منهم بذلك؟ وما قيمة إنكار شخص بعيد عن الميت بعد إخبار أولاده وخواصّه بقبره؟ ومن يعتدُّ بكلام مثل هذا المجازف الذي لامأخذ له، وأبطلته الاخبار المتواترة المذكورة وتصريحات أعلام المورخين، وظهور الكرامات الكثيرة عنه عليه السلام عند القبر الشريف؟

سيــرة يـزيــد

لم يقنع كاتب «الخطوط العريضة» في إظهار الانحراف عن أهل البيت، أصحاب الكساء، وبني فاطمة (س)، والميل إلى أعدائهم، ومبغضيهم بما افترى على الشيعة حتى مدح في ص ٣١ سيرة يزيد بن معاوية وكفى به عبقريةً أن يكون من أمجاده يزيد الخمور الذي اخجل تاريخ الانسانية بما ارتكبه من أنواع الجرائم والمنكرات.[١]

---

(١) راجع كتب التواريخ كتاريخ الطبري ج ٧، وآبن الأثير ج ٣، ومروج الذهب ج ٣، والبداية والنهاية ج ٨، وتاريخ اليعقوبي ج ٢، وسير أعلام النبلاء ج ٣ (في عبدالله بن حنظلة) وسموالمعنى في سموالذات اواشعة من حياة الحسين ص ٦٦—٦٨، وابوالشهداء، وحياة الحيوان / ٢ / ٢٢٤، والبدء والتاريخ، وتذكرة الخواص، وغيرها.

غلوّ الخطيب في الصحابة

أعلن الخطيب عقيدته في ص ٣٢، وخالف جميع الأمة فرفع أبابكر وعمر وعثمان وحتى عمرو بن العاص فجعل منزلتهم أعلى من مرتبة جميع الأنبياء، وجبرئيل وميكائيل وسائر الملائكة، وجميع خلق الله. فانظر كيف يعلن بذلك ويصرح بتفضيل الشيخين وعثمان وحتى مثل عمرو بن العاص على الأنبياء والمرسلين كسيدنا إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم (ع) وعلى جميع خلق الله، وهو الذي يمقت الشيعة لقولهم بتفضيل الامام علىٰ سائر الصحابة، ويفتري عليهم بأنَّهم «ونعوذ بالله من ذلك» يرفعون مرتبة أئمتهم فوق مرتبة الرسول الأعظم (ص).

وإنَّما ذكر عمرو بن العاص فيمن فضَّله على جميع خلق الله تلويحاً بتفضيل معاوية بن أبي سفيان (والمغيرة بن شعبة ومن يحذو حذوهما في بغض أمير المؤمنين (ع)، علي بن أبي طالب (ع) وسفك الدِّماء، وقتل الأبرياء) على الأنبياء (ع) أيضاً.

عقائد الإماميّة، والتقريب بين المذاهب

قال في ص ٣٣: «إنَّ استحالة التقريب بين طوائف المسلمين، وبين فرق الشيعة هي بسبب مخالفتهم لسائر المسلمين في الاصول، قال: ومما لاريب فيه أنَّ الشِّيعة الإماميّة هي الَّتي لا ترضى بالتقريب ... الخ».

الشيعة الامامية كما تشهد به كتبهم القديمة والحديثة، المطبوعة وغيرها لا تخالف سائر المسلمين في أصول الاسلام: التوحيد، والنبوة، والمعاد.

يؤمنون بالله الواحد الأحدِ الصَّمدِ الّذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد.

ويؤمنون بأنبياء الله ورسله، ومعجزاتهم وكتبهم لايفرقون بين أحدٍ منهم.

ويؤمنون بما أنزل على سيدنا محمَّد خاتم الأنبياء (ص)، وأنه لانبيَّ بعده، وبشريعته التي ختمت الشرايع.

وأن القرآن المجيد هذا الكتاب الكريم الذي يقرأه أهل السنة والشيعة هو الكتاب المنزل عليه.

ويؤمنون بسؤال القبر، وقيام الساعة، وإحياء الأموات للحساب، وبالجنة والنار، والصراط والميزان وبملائكة الله، لا سبيل للشك في هذه العقائد عند شيعيٍّ.

ويؤمنون أيضاً بوجوب الصلوات المفروضة، وغيرها من الواجبات.

كما أنهم يؤمنون بحرمة الخمر، والميسر، والميتة، ولحم الخنزير، والكذب، والغيبة، والربا، والزنا، واللّواط، ونكاح المحارم، وغيرها من المحرَّمات المعلومة الثابتة بالكتاب والسنة المعدودة من ضروريات الدين الحنيف. فمن شك في ذلك فليس من الشيعة في شيء، بل لا يحكمون عليه بالاسلام، ويحكم جميع فقهائهم عليه بالكفر والارتداد.

وهكذا يؤمنون بسائر أحكام الله تعالى في: المعاملات، والقضاء، والنكاح والطلاق، والظهار والإيلاء، والحدود والديات.

ولا يضرُّ في الحكم بالاسلام عندهم اختلاف أرباب المذاهب في الفروع الفقهية؛ فيحكمون باسلام المعتنقين للمذاهب الأربعة المعروفة، بلْ ومن لم يعتنق خصوص مذهب من هذه المذاهب لأن باب الإجتهاد عندهم مفتوح، فليس على المسلم إلّا أن يأخذ بالكتاب والسنَّة، وليس لحصر المذاهب في الأربعة المشهورة أصل صحيح، بل يجب على من أدّىٰ اجتهاده إلى خلاف هذه المذاهب إتِّباع اجتهاده، ومع هذا كيف لا ترضى الشيعة بالتقريب.

وأمّا افتراؤه في ص ٣٣ و ٣٤ على الشيعة بأنهم يرفعون الأئمة عن مرتبة البشر إلى مرتبة آلهة اليونانيين فبهتان محض يعرف كذب هذا الافتراء كلُّ من كان له قليل معرفة بكتب الشيعة وعقائدهم. فهم أبعد الفريقين عن هذه المقالات، لا يقولون بمثل ذلك في رسول الله (ص) فضلاً عن الأئمة، ويعتقدون فيهم أنهم عباد الله تعالى، مخلوقون، مربوبون، محتاجون اليه وأنَّ من غلا فيهم فاعتقد تأليههم أو اشتراكهم مع الله تعالى في أمر الخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وغيرها فهو كافر مرتد خارج عن الاسلام، يحكمون بنجاسته.

وأظن أنَّ الخطيب أيضا كان عالما بتنزُّه الشيعة عن هذه المقالات والعقائد الباطلة، ولكن لمّا لم يجد شيئاً يمنع من التقريب والتجاوب بين الطرفين جاء بهذا البهتان العظيم، ونسب الشرك والكفر بالقول بتأليه أئمة آل البيت إلى طائفة كبيرة من المسلمين المؤمنين الموحِّدين الذين يشهدون في مآذنهم، وإذاعاتهم بكلمة التوحيد، يتبرأون ممَّن يعتقد تأليه الأئمة وغيرهم، أو يرفعهم عن مرتبة البشر.

فليس بينهم شيء يمنع من التقريب والتجاوب، وليس معنى التقريب أن يترك الشيعيُّ مذهبه ويصير سنيّاً، أو بالعكس[1] بل معناه أن يُترك كلٌّ على اجتهاده فيعيشوا في مجال أوسع من هذا المجال، وأن يتركوا العصبيات الباردة، ويعترف كل واحد منهم للآخر بالحقوق الاسلامية، لايتَّهم السنيُّ الشيعيَّ بالشرك والكفر والاستهانة بالفرائض وفعل المحرمات، ولايتَّهم الشيعيُّ السنيَّ بالنصب، وعداوة آل البيت، فلا يسيرون إلّا على ضوء الحقائق فيؤوِّلون بعض ما يصدر عنهم بحسب اجتهادهم في الكتاب والسنة بما يتأولون بعض ما صدر من السلف، فإنَّ حاجة المسلمين إلى هذه التأوُّلات فيما بين أنفسهم في عصرنا أكثر وأشدُّ من حاجتهم إلى تأويل أعمال السلف، فإنَّ حسابهم على الله، والزمان حال بيننا وبينهم.

إنَّ الشيعة لا يعتمدون على الافتراء والأكاذيب حين يناقشون غيرهم، بل يعتمدون على الكتب المعتبرة الموثوق بها عندهم، ولا يقابلون الشتيمة بمثلها كشتائم الخطيب وغيره ممَّن لا نريد سردأسمائهم، وسيحكم الله بينهم، وبين هؤلاء يوم يحكم بين عباده فيما كانوا فيه

---

(١) وهو صريح بيان دارالتقريب أيضاً. وصرَّح به مؤسسها العلاّمة القمّي في مناسبات شتّى «راجع: النقط على الحروف» من أبحاث رسالة الاسلام.

يختلفون.

فالشيعة أرضى الفريقين بالتقريب، وقد خطت في سبيله خطواتها الواسعة؛ ولكن من يريد بقاء الملأ الاسلامي في ظلمة المناقشات والمنافرات لتبقى عليهم سلطة الاستعمار الذي لا يحب التقريب، وتحقق الاخوة الاسمية بين الطائفتين، كما لا يحب أن يعيش أهل القبلة كلهم في عالم واحد معتصمين بحبل الله، فيفتري على الشيعة أموراً لم تخطر على قلب شيعي، وينسب إليهم من العقائد ما هم أبعد منه من المشرق إلى المغرب؛ كالقول بتأليه الأئمة ونبوتهم، وتارة يكفِّرهم بآراء لا توجب الكفر بل ولا الفسق اذا كانوا مجتهدين، وذلك مثل التبرئ من أعداء أهل البيت كمعاوية، وعمرو بن العاص، والحجّاج، ويزيد وغيرهم ممَّن ثبتت عداوتهم لأهل البيت، وبغضهم لعليٍّ (ع)، قاتلوا عليّاً وحسناً وحسيناً. فإنه ليس ترك هذا التبرئ من أصول الدين، ولا بمرغوب فيه شرعاً، بل دلّت الروايات الصحيحة على وجوبه.

وأما ما قاله في ص ٣٤ من مخالفة أصول الشيعة لجميع أصول المسلمين فنسأل الخطيب عن معنى الأصل والأصول، وما قصد من أصول الشيعة؛ وأصول المسلمين.

فإن كان مراده من أصول الشيعة ما امتازوا به عن أهل السنة وغيرهم من فرق المسلمين من التمذهب بمذهب أهل البيت أعدال الكتاب وسفن النجاة فلا تجد فرقة من الفرق إلّاولهاجهة امتياز عن غيرها، وليس معنى ذلك أنَّها تخالف أصول الاسلام.

وإن كان مراده أنَّ أصول الشيعة تخالف أصول الاسلام والأسس التي عليها يقوم الإيمان، وأنَّ الشيعة لم تأخذ بأصول الاسلام الثابتة بالكتاب الكريم، والسنّة، فهذا بهتان على الشيعة، فإنهم من أشدِّ الناس أخذاً بأصول الإسلام وبالكتاب والسنة، ولاذنب لهم غير أنَّهم لم

يؤمنوا بشرعية حكومة أمثال معاوية ويزيد والوليد من الحكّام الجبابرة والطواغيت، واهتدوا بهدى أهل البيت (ع) فهل ترى الرجوع إليهم في العلوم الشرعية، والتمسُّك بهم وبالكتاب المأمور به في حديث الثقلين موجباً لجواز تكفير الشيعة أو تفسيقهم؟!

وهل يكون الإيمان بصحة خلافة الشيخين وعثمان من أصول الاسلام؟!

وهل يجوز تكفير مسلم إنْ أدّى اجتهاده إلى عدم صحتها؟!

فإن جاز ذلك فلم لا تحكمون بكفر النواصب، والخوارج، وأصحاب الجمل، وصفين، وبني أمية، وأتباعهم، من الذين أنكروا خلافة عليٍّ (ع) الشرعية بإجماع الفريقين، وفعلوا ما فعلوا؟

ألا ترى أنه لم يكفر أحد من الصحابة المسلمين الذين خرجوا على عثمان حتى قتل وكان في من نقم عليه أمُّ المؤمنين عائشة ولا ينكر ذلك عليها؟!

وإذا كانت فاطمة (س) بنت رسول الله وسيدة نساء العالمين لم ترض بحكومة أبي بكر ولم تقرَّها ولم تعتبرها شرعية وماتت واجدة عليه كيف يجوز تفسيق من اتَّبع مذهبها مجتهداً في ذلك؟! ولو كان الإيمان بشرعية هذه الحكومات من أصول الإسلام فكيف خفي على سيدة نساء أهل الجنة وعلى بعلها ــ باب مدينه علم النبي ــ وعلى غيرهما من بني هاشم كالعباس والصحابة الذين امتنعوا عن البيعة؟![1]

---

(١) راجع صحيح البخاري / ٣ / ٣٥، ومسلم / ٥ / ١٥٤، و أسد الغابة / ٣ / ٢٢٢، ٢٢٣، وتاريخ أبي الفداء / ٢ / ٦٣ و ٦٤، والإمامة والسياسة / ١ / ١٠ــ١٤، ومروج الذهب / ٣ / ٢٤، وشرح ابن أبي الحديد / ٣ / ٤٠٧، والاستيعاب في باب من اسمه منهم عبدالله، والعقد الفريد ٢ / ٢٥٠، ٢٨٥، والطبري / ٣ / ١٩٨ و ١٩٩ و ٢١٠ و / ٤ / ٥٢، وتاريخ الخلفاء ص ٤٥، والصواعق ص ١٢ و ١٣، والرياض النضرة / ١ / ١٦٧

فيعلم من ذلك كله ان الاعتقاد بشرعية هذه الحكومات ليس من أصول الإسلام في شيء، ولا يجوز تفسيق من أدّى اجتهاده إلى عدم شرعيتها، ولا يجوز لأهل السنّة تكفير من لا يرى حكومة مضت عليها الدهور وباد أهلها شرعية، ولا ينبغي للمسلمين الاشتغال بهذه المباحث التي قضت عليها الأزمنة، وليس حساب أهلها علينا إن حسابهم إلّا على الله، وتلك أمة قد خلت ولا مساس للقول بسوء صنيع هؤلاء الأفراد والقول بحسن حالهم بالاسلام فإنه أوسع من هذه المجادلات. فإذاً لا ينبغي مناقشة الشيعي بما يرى من جواز التبرئ من أعداء آل محمد، ومبغضيهم وليس هذا مانعاً من التقريب والتجاوب، فكلٌّ في تلك المسائل على مذهبه لا يضرُّ ذلك بالتقريب بعد اتفاق الفريقين على اتِّباع الكتاب والسنّة، فإنَّ الخلافات ترجع إلى الاختلاف في فهم مدلول الكتاب أوالسنة، واعتبار بعض الأحاديث وعدمه، وعليه فلو أدّى اجتهاد إحدى الطائفتين في مسألة إلى خلاف ما اختارته الأخرى فإنّما اختارته تمسُّكاً بالكتاب أو السنّة، كما أنَّ الطائفة الأخرى أيضاً اختارت كذلك؛ فإن في أهل السنّة من يعمل بالقياس والشيعة لا يعملون به ولا يحتجُّون إلّا بالكتاب والسنّة، فلا يليق أن يكون مجرد ذلك سبباً للجفوة والتباعد، ولا يوجب اختيار رأي في هذه المسائل لا سيما إذا كان عن اجتهاد، وكان مجرّداً من العصبية والعناد الخروج عن الاسلام، أو جواز التفسيق، أو استحقاق اللّوم والتوبيخ.

وأعلام النساء / ٣ / ١٢٠٦ و ١٢٠٧، وتاريخ اليعقوبي / ٢ / ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥.

الشيوعية والتشيع

زعم الخطيب في ص ٣٤ «ان الشيوعية التي تفاقمت في العراق، وبحزب تودة في ايران أكثر ممّا كان لها من أثرفي سائر العالم الاسلامي هي وليدة التشيُّع. والشيوعيون في ذينك القطرين من صميم أبناء الشيعة. (الخ)».

الشيوعية لم تؤثر في ذينك القطرين لاسيما في إيران أكثر ممّا أثرَّت في سائر أقطار العالم الاسلامي، وقد بذلت في سبيل تحقق امنياتها في إيران منذظهرت إلى الآن أموالاً كثيرة، وفعلت افاعيلها السياسية الهدّامة، وعاونها في ذلك عوامل استراتيجية، وكون ايران محاددة لأمِّ الحكومات الشيوعية وأعظمها سلطة وقدرة، ورغَّبها في بسط نفوذها الغاشم في ايران مافيها من آبار البترول وغيرها، وكونها طريقاً للاستيلاء على الهند والباكستان، ولقد احتل الجيش الروسي في الحرب العالمية الثانية أقاليم خراسان، و مازندران و آذربايجان، وجيلان فأسَّست في آذربايجان في ظل اضطهاد القوات الأجنبية واشرافها حكومة شيوعية.

ومع ذلك لم تنجح مساعيها في ايران، ولم تنل ما أرادت من السلطة على إيران الشيعية فقاومت آذربايجان الاتجاهات الأجنبية، واستقامت بالقوة الروحية الاسلامية، وتحمَّلت الكوارث والمحن الشديدة حتى فشلت دعايات الشيوعيين، فلم تؤثر في الاذربايجانيِّين ولا في غيرهم، لكونهم من صميم أبناء الشيعة و أغنياء عن الأساليب

الاقتصادية التي تعرضها عليهم الشيوعية، ولأنهُّم مؤمنون بأن التعاليم الاسلامية تضمنت جميع مايحتاجه الانسان من النظم الاقتصادية والاجتماعية.

ولوكان التشيع سبب تأثر إيران والعراق بالشيوعية فماسببه في تأثر البلادالسنِّيَّة منها، ففي بعض الممالك السنّية نرى الحزب الشيوعي من أقوى الأحزاب تأثيراً في الثوارث والحوادث السياسة، وبعضها كألبانيا اعتنقت الشيوعية، وهذه كتب علمائهم، ومثقفيهم، حتى الإسلامية منها بين أيدينا، قد تأثر بعضها بآراء الشيوعيين، ويرى القارئ ميل مصنِّفيها إلى النظام الشيوعي، وتفسير تعاليم الاسلام على نحو يوافق ذلك النظام أضف إلى ذلك جرائد الأحزاب الشيوعية ومجلاتها، ودعاياتها بمختلف الأساليب في تلك البلاد.

أمّا في ايران فقد فشلت تلك الدعايات وقضى عليها الاسلام والتشيع قضاء حاسماً، واستنكرها الخواصُّ والعوامُّ استنكاراً شديداً.

«ونسأل الله تعالى أن يحفظ بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من شر الأعداء، وأنْ يمنَّ عليها بالخير والبركة والأمان والسلام.»

الشيوعية وليدة مظالم المستعمرين

والحق ان الشيوعية مهماظهرت، وأنّى ظهرت في بلاد المسلمين ليست إلاّ وليدة جنايات المستعمرين، فإنَّ الاستعماريمنع اجتماع المسلمين حول أحكام القرآن، ويسعى سعيه لتفريق كلمتهم ليحفظ سلطته على الممالك الاسلامية، ولينهب ما في أيديهم من الثروة، ويقضي على مجدهم وكيانهم.

إن الاستعماريرى الاسلام صخرة تقاوم مقاصده وأغراضه فيسعى سعيه لتحطيمها، ولئلا تكون الحكومات رمزاً لعلائق المسلمين، ولا تتحقق مقاصد الاستعمار في بلادنا إلاّ إذاعمَّ الجهل والفقر وشملت ابناءَنا الرجعية والتقهقر الى الجاهلية. فالاستعماريريد اضمحلال المعارف الاسلامية التي هي أرقى المعارف البشرية؛ ليسلب المسلمين حرياتهم التي منحهم الاسلام إياها، ولايريد إلاأن يصبحوا أرقّاءه وعبيده.

الاستعمار هو الذي يرغِّب الفتيان والفتيات، وأرباب المناصب، والرؤساء، والمترفين، بترك الآداب الاسلامية، ورفض الشعائر الدينية، ويشوقهم إلى الاشتغال بالملاهي والمعازف، وشرب الخمر، والقمار، والفحشاء، واختلاط النساء بالرجال، ويستأجر الأقلام لتشويق المجتمع إلى الفساد والمنكرات.

وإن خوف الاستعمار من اتحاد المسلمين، وتيقظهم، واجتماعهم حول كلمة التوحيد أشد من خوفه من استيلاء الشيوعية؛

لأنَّ العالم الإسلامي لو استيقظ من رقدته فلسوف يدافع عن الانسانية وحقوقها المغتصبة، ويعرض عليها أرقى الأساليب والنظم الاجتماعية، وأنفعها في حياتها الاجتماعية، والروحيّة، والاقتصادية، والمدنيّة، وينقذ الناس من مظالم المستعمرين، واستبداد الشيوعيّين، ويقضي على استثمار الناس بعضهم بعضاً.

ولا تدخل الشيوعية في إقليم إلآبعد دخول الاستعمارفيه. فالاستعمار يمهِّد السبيل للشيوعية لأنه يأتي بالفقر والمشاكل الاقتصادية، ويذهب بالحرِّيّة، ويمنع من التقدُّم، ومن قيام الأمة بما فيه صلاح نفسها، وعلاج دائها.

الاستعمارهوالسبب للضعف، وذهاب قوة الأمة، والقضاء على الدين والآداب، والشعائر الإسلامية.

فالاستعمار ينتهي الى الشيوعية. فإذا بلغت مظالمه غايتها، أخلى السبيل للشيوعيين للقضاء على مابقي من الحريات والفضائل، ولم تفتتن الجماعات بما تعرض عليها الشيوعية من أساليبها الخادعة إلآ بما جنت عليها أيدي المستعمرين الجبّارين.

الاستعمار يفرق بين المسلمين، ويؤسِّس في كل إقليم حكومة مستعمرة لتحفظ مصالحه، ويسعى سعيه كي لا تستولي عليه الشيوعية ولا تذهب بسلطانه، ولايدري أن الشيوعية وليدته، وأنَّ التخلُّص من نكباتها ــ خصوصاً في الممالك الاسلامية ــ لايتحقق إلآبهدم جميع البنايات الاستعمارية، وإيكال أمور المسلمين إلى أنفسهم.

الاسلام ديننا، وعزُّنا، ومجدنا، وتاريخنا، وتعاليمه واحكامه آدابنا وشريعتنا، وسياسته سياستنا، وحكومته حكومتنا، وبلاده في شرق الأرض وغربها وطننا، لايُصلح أمورَنا إلآ الاسلام، ولم يُفسِد ما فسد منها إلآالبعدُ عن الإسلام، والمستعمر يريد هدم هذه المباني فيجعل لأهل كل

قطر تاريخاً ووطناً، ويشجّع العصبيات القومية[1]، ويكثر أسباب الامتياز بين الأقاليم الاسلامية، ويحيي آثار الأقدمين، ويربط كل شعب بالعصور البائدة، والحياة القبيلية، لأن ذلك يقطع أسباب الارتباط بين المسلمين فيجب على أيّ شعب من المسلمين الاهتمام بإحياء أيّام الاسلام وشعائره، دون ماليس منه بشيء من أيّامهم الماضية، وشعائرهم التي أبطلها الاسلام، وأن يعظّموا رجالاتهم لأنّهم رجالات الاسلام، وأن يعتزّوا بتاريخ شعبهم لأنّه صفحةٌ من صفحات تاريخ الاسلام المشرقة، لالأنّه تاريخ شعبٍ خاصّ أومملكة أوأمة خاصة، لأنّ هذا من أضرّ مكائد الاستعمار على الوحدة الاسلامية.

«أللّهم أدفع عنّا شرّالأعداء، وأجمعنا في ظل راية الإسلام، وأجعلنا معتصمين بحبلك، وأنصرنا على القوم الكافرين».

(١) لااعتبار في المجتمع الاسلامي للقومية، واذا كان مفهوم القومية شعور جماعة من الناس أنهم طائفة واحدة فشعور المسلمين أنهم كلهم أبناء الاسلام وأمة القرآن، وأنهم كلهم مشتركون في المصالح والمنافع، وأنه يجب على كل مسلم أن يحبّ لأخيه مايحب لنفسه و، و، أقوى واوسع وأشمل من ذلك، والتعبيرعن الرابطة الاسلامية بالقومية ونحوها؛ يقصر عن أفهام تلك الرابطة والأخوة الدينية التي هي نعمة الله على المسلمين، وإذا كانت القومية اتحاد جماعة في اللغة والعنصر والأرض والتاريخ والمصالح فلا اعتبارلها، ولا يجوز لمسلم أن يتميزعن سائر المسلمين بهذه الأمور، بل التمسُّك بها يوجب التفرّق المنهيَّ عنه. فالتفاهم والتجاوب يجب أن يكونا بالاسلام، وعقيدة التوحيد وأمّاغيرذلك فـ: «إن هي إلاّ أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم» فلايقيم الإسلام لوحدة اللغة اولوحدة العنصر والأرض وأمثال هذه وزنا، سيَّما إذا صارت سببا للتفرقة وتميُّز طائفة من المسلمين عن سائر المسلمين.

هذا مضافاً إلى أن العصبية للقومية بالمعنى المذكور (خصوصاً إذا كانت قبال قومية أخرى من المسلمين) مذمومة شرعاً، ولا ريب في أن الاسلام جاء ليوحّد الناس عقيدة ومجتمعاً، فليس إذاً هنا غيرالاسلام، وليست نعرات القوميين والوطنيين والعنصريين في داخل بلاد الاسلام إلّاشباك الاستعمار، وكل حركة يجب ان تنتهي إلى الاسلام، ولايصغي المسلم الى هتاف المستعمرين.

آذربايجان إقليم شيعي

زعم الخطيب في ص٣٤: «ان علي محمد الشيرازي الذي ادَّعى قبل مئة سنة أنه باب المهدي المنتظر ثم ادَّعى أنَّه هو المهدي نفي إلى آذربايجان لأنَّها مباءة السنيِّين من أهل المذهب الحنفي، ولم تقم الحكومة بنفيه إلى بلد شيعي لأنَّ من طبيعة مذهب الشيعي قبول أهله لهذه الأوهام».

هذا من آثار جهله العجيب بأحوال البلدان، ولا تثريب عليه لانه لايحترز من القول بغيرعلم، فيقول مايوافق هواه، بل ينكر الحقائق الظاهرة، فان إقليم آذربايجان من الأقاليم العريقة بالتشيع والولاء الكامل الخالص لأهل البيت(ع)، ومعاهد الشيعة العلمية، ومدارسهم، وجوامعهم فيها كثيرة، وسكان هذا الاقليم مهتمُّون غاية الاهتمام بالالتزام بالشعائر الإسلامية، وقد أبلوا في سبيل الدين والتشيُّع بلاءً حسناً؛ ظهر فيه ثباتهم وصدق عزائمهم، وحسن إسلامهم، وقوة إيمانهم. ونفي علي محمد إلى آذربايجان كان لأسباب سياسية أشيرإلى بعضها في كتاب «بى بهائى باب وبهاء» وكتاب «يادداشتهاى كينياز دالكوركى الروسي» وقد منع أهلَ آذربايجان من الافتتان بدعاوى علي محمد تشيُّعهم، والتزامهم بأصول الاسلام، وولاء أهل البيت(ع)، فصلب علي محمد هناك «في تبريز» بعد أن تاب ورجع عن دعاواه، وأظهر الاسلام، وكتب توبته بخطه، لكن لم تقبل منه لعدم قبول توبة المرتد عن

الفطرة في الظاهر.

حركة البابية والبهائية

وليعلم أن حركة البابية والبهائية في جميع مراحلها كانت تحت حماية السياسة الاستعمارية[1] فهي التي ربّتها وقامت بنفقاتها، فاستعملتها أوّلاً الحكومة الروسية لأهداف سياسية معيَّنة، فشجعت عملاءَها (اعضاء هذه الحركة) للقضاء على الحكومة الايرانية، أو التدخل في الشؤون الحكومية، وتفريق كلمة المسلمين، وكانت حكومة ايران في تلك الأزمنة لأسباب معلومة مضطرة إلى المسامحة في الأمورمع حكومة روسيا، ولكن مع ذلك لم تنجح سياسة حكومة روسيا، ولم تتحقق أمنياتها، لأن إيران الشيعية ثارت في وجه هذه السياسات وأخمدت نار فتنها.

ثم دخلت هذه الفرقة مرحلة جديدة؛ حيث استخدمتها حكومة انكلترا للعمل في إداراتها الجاسوسية إلى أن اتخذت لها «حيفا» و «عكا» مركزاً للدعاية لأنها أدركت أن الظروف والأحوال في إيران لا تساعد على قبول مثل هذه الدعايات السخيفة. فخدم الحزب البهائي حكومة انكلترا خدمات خان بها الشرق، والاسلام، والمسلمين لاسيَّما في الحرب العالمية الأولى. فالتمس عباس أفندي رئيس البهائية من القائد الانكليزي اللّورد أللّنبي الذي دخل بيت المقدس في الحرب العالمية

١ــ المذاهب والأديان التي احدثتها السياسة، أوربّتها في القرن الأخير في الشرق كثيرة ليست منحصرة بالبهائية، ولافرق بينها وبين الجمعيات والأحزاب السياسية ــ التي تأسست بنفقة بعض الحكومات ــ في أهدافها إلاّ في الاسم. ومن هذه الفرق: القاديانية التي تسمَّى بالاحمدية، والآقاخانية. فكل هذه الدعوات أوجدها الاستعمار واليهودية العالمية، والبهائية كما صرح به الباحثون في افكارها؛ لا تتعدى كونها فكرة ماسونية، ولاسيما في النظام المحفلي «راجع مجلة حضارة الاسلام ــ العدد ٩ و ١٠ من السنة العاشرة».

الأولى؛ أن يمنحه لقب «سير» فحصل عليه؛ فكانت البهائية في أحضان جواسيس إنكلترا إلى أن شاركتهم في ذلك حكومة أمريكا لتستخدمها أيضاً في مقاصدها السياسية في الشرق الأوسط وغيره. فأصبحت البهائيه حركة صهيونية أمريكية.

قال الكاتب الكبير الدكتور شلبي[1] فيما كتبه عن الجمعيات السرية الخطرة التي كانت ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمدعليها اليهود لتنفيذ أغراضهم، والوصول إلى أهدافهم فعدَّ منها البابيَّة والبهائيَّة!

«ومن الواضح أن حياة البهائية في عكّا بين جماعات اليهود أثرت فيها تأثيراً واسعاً، وقطعت ماكان باقياً بينها وبين الإسلام من صلات طفيفة إن وجدت، فأصبحت البهائية وجهاً آخر لليهودية وللصهيونية.

وقال في «ص ــ ٣١» بعد ذكر موت البهاء: وخلفه ابنه «عباس افندى» الذي كان في خدمة الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى فأنعمت عليه بريطانيا برتبة «فارس» مع لقب «سير»، وتوفي سنه ١٩٣١م فخلفه ابن بنته شوقي ربّاني الذي مات بعد ذلك دون أن ينجب ولداً.

وفي ظل الفكر الجديد للبهائية دفعها اليهود إلى أقطار الارض ورعوها بالمال، ومنحوها الرعاية التامة فأصبحت البهائية «حركة صهيونية أمريكية» كما يسميها الكتّاب المحدثون.

وأسفرت البهائية عن وجهها الصهيوني إذ ــ بعد وفاة الميرزا شوقي ربّاني ــ اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونيا أمريكيا اسمه «ميسون» ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد

١ــ مقارنة الاديان ٣٠٩/١ طبع القاهرة.

الطائفة البهائيّة في العالم «انتهى كلام الدكتور شلبي».

وليس لتدخل البهائيّة في بعض الأمور سببٌ غير السياسة وليس لأكثرهم، بل للكلّ سيمّا زعماءَهم و رؤساء هم؛ إيمان بالبهائيّة فلم يعتنقوها للتديُّن بها، بل اعتنقوها ليتقرَّبوا بها الى اعداء الاسلام، ويكسبوا الدراهم والدنانير.

هذا: وأخيراً نلفت انظار الباحثين في تاريخ البابيّة والبهائيّة، و آرائهم، ولعب السياسات بهم؛ الى كتاب: «تاريخ الباب أو مفتاح باب الابواب» المطبوع في مصر مطبعة المنارعام ١٣٢١هـ، تأليف دكتور محمد مهدي زعيم الدولة وصاحب جريدة «حكمة» نزيل القاهرة، و كتاب «مهازل البهائية على مسرح السياسة والدين»، تأليف أنوروَدودالمطبوع في حيفا مطبعة الكشاف، وكتاب «ساخته هاى بهائيت در صحنهٔ دين وسياست» له أيضاً، وكتاب «بى بهائى باب و بهاء» تأليف محمد علي الخادمي الشيرازي، و كتاب «يادداشتهاى كينياز» تأليف كينياز دالكوركي الروسي الوزير المفوّض للحكومة الروسية في طهران، وكتاب «محاكمه و بررسى در تاريخ باب و بها» تأليف الدكتور ـ ح م ت، و كتاب «نصايح الهدى» تأليف العلامة البلاغي، وكتاب «بزبكير شرح دزدبكير»، و كتاب «يارقلى» وغيرها.

كما نلفت الأنظار أيضاً إلى التواريخ المؤلّفة في عصر حدوث فتنة الباب مثل «روضة الصفا» و «ناسخ التواريخ» و غيرهما، وإلى كتاب «كشف الحيل» في ثلاثة أجزاء للفاضل البحاثة «الآيتى» الملقب عند البهائية بآواره، وهذا الرجل كان داعيتهم العظيم ونحريرهم الكبير، و منتهى املهم، وكانوا يعتزّون به كمال الاعتزاز فاستبصر وتاب عن ضلالاته واعتنق الاسلام وأظهر بطلان مقالات هذه الطائفة، وأظهر حيلهم، ومخازيهم و شنائع أعمال رؤسائهم، وصنف في ذلك كتباً كثيرة

ككتاب «كشف الحيل» ومجلة «نمكدان» وغيرهما[1].

وقدرد عليهم أيضاً «الميرزا حسن نيكو» في كتاب أسماه: «فلسفة نيكو» في ثلاثة أجزاء، وكان هوأيضاً معدوداً من دعاة البهائية، ولكنه انكر اعتناقه هذا المسلك السخيف، واعتذربأنه إنما دخل فيهم للتعرّف على حقيقة مسلكهم، وبواطن أمورهم وأسرارهم.

١ــ ومما ينبغي أن نلفت إليه أنظار الباحثين أن لآيتي كتاب تاريخ موسوم بـ «الكواكب الدرّيّة في تاريخ البابية والبهائية» ألّفه لقلب الحقائق التاريخية، وإخفاء فضائح هذه الفرقة،

وقد شهد مؤلفه «آيتي» (بعد ما استبصر)بعدم اعتبارهذا التاريخ، وأنهم قدسوّافيه أربع مرات، وأسقطوا منه ماكان ثابتاً من الوقائع التاريخية، وزادوا فيه المئات من الأكاذيب، فراجع كتابه: «كشف الحيل ١ «٦٣ــ٧٠» و ٢ «١٩١و١٩٢ الطبعة الرابعة عام ١٣٠٧هـ .ش».

وقرّض «الكواكب الدرية» «الميرزا حسن نيكو» وقدشهد هوايضا في كتابه «فلسفة نيكو ١٢٥/١» الطبعة الاولى سنة ١٣٠٦هـ .ش بأن أكثرما في كتاب: «الكواكب الدرية» مجعول موضوع لاأصل له ــ فاحفظ ذلك حتى لا تعتمد على هذا التاريخ المزوّر الموضوع كما اعتمد عليه سعد محمد حسن من علماء الأزهر، ومؤلف كتاب «المهدية في الاسلام» فوقع في اشتباهات كثيرة وزلّات عجيبة، وقد اعتمد سعد محمد حسن * في كتابه هذا أيضاً على كتب المسيحيّين واليهود فنقل عقائد الشيعة عن دوايت دونلدوس، وجولدزيهر، وفان قلوتن، ونيكلسون، وديفتسكي، ومرجليوث من الذين خدموا الاستعمار والتبشير بكتبهم، ولم يفهموا عقائد الفرق، أولم يكتبوا ما فهموا، وكتبوا ماسمعوا من الجهلاء، ومالم يسمعوا واعتمد أيضاً على كتاب «الوشيعة» المشحون بالأباطيل والنسب المفتعلة على الشيعة، ولم يراجع في ذلك ماكتبه علماء الشيعة في نقض كتاب: «الوشيعة» مثل «نقض الوشيعة» لمؤلف الأعيان الامام السيدمحسن الأمين و«أجوبة مسائل موسى جارالله» للإمام السيدشرف الدين العاملي.

فهذه مصادر سعد محمد حسن في كتابه: «المهدية في الاسلام» و ما كتب عن الشيعة، وكان الواجب عليه مراجعة كتب أهل السنّة المعتبرة في المهدية، و مراجعة كتب الشيعة، أوعلمائهم في سوريا ولبنان، وايران و العراق، و سائرالاقطار الاسلامية والعربية، أو

هذا آخرما وفقنا الله تعالى في نقد «الخطوط العريضة» مع ضيق المجال، وكثرة الاشتغال، والله الهادي إلى سواء الصراط: و هو حسبي ونعم الوكيل، و صلّى الله على سيدنا و نبينا محمد، وآله الهداة وأصحابه الأبرار، والتابعين لهم بإحسان.

مراجعة أقطاب التقريب من علماء الازهر وغيرهم حتى يرشدوه إلى عقائد الشيعة الامامية ولاحول ولاقوة الابالله.

* سعد محمد حسن: كنت ألتقي به دائما في مكتبات القاهرة، وكانت لي به صلة وأخبرني بأن قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ــ العراق هو الذي شجعه على تأليف كتابه: «المهدية في الاسلام»، وأرسل له مصادر كتابه هذا من لبنان والعراق، وهوالذي تولّى توزيع الكتاب و نشره في الأقطار العربية وغيرها.

وفي إحدى سفراتي إلى القاهرة طلب متّي كتاب (الرّد على ابن تيمية) للسيد مهدي القزويني والد الكاتب الاسلامي الكبير السيد أمير محمد القزويني صاحب المؤلفات القيّمة، والآثار الخالدة. وسعد هذا كأحمد أمين صاحب «فجر الاسلام» لاتخلو أبحاثه من سموم، وغايته إيجاد التفرقة، والوقيعة بين المسلمين وكان جُلُّ اعتماده على الكتّاب المستشرقين أعداء الاسلام والمسلمين.

السيد مرتضى الرضوي

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر.	٣
مقدمة المراجع.	٥
مقدمة المؤلف.	٧
الخطوط العريضة.	١٧
كيف تمت فكرة التقريب.	٢٢
فرية الخطيب على علماء النجف	٢٥
الأصول قبل الفروع.	٢٨
الأسس التي يقوم عليها التشريع الفقهي.	٢٩
التقية لا تمنع من التجاوب والتفاهم.	٣٣
تأويل آيات الكتاب وتفسيرها عند الشيعة.	٤١
صيانة الكتاب من التحريف.	٤٣
الواجب على المسلم.	٥٣
فصل الخطاب في «فصل الخطاب».	٥٧
سورة الولاية وكتاب «دبستان مذاهب».	٦٢
«دبستان مذاهب» ليس من كتب الشيعة.	٦٨
المستشرقون دعاة الاستعمار.	٧١
الكلام حول أحاديث المسألة	٧٥
الشيعة تؤيد كل حكومة إسلامية.	٧٩
معنى الناصب.	٨٦
الدعاء الذي نقله عن «مفتاح الجنان».	٩١
افتراؤه على الشيعة بالتعصب للمجوسية.	٩٣
خدمات الفرس للاسلام والمسلمين.	١٠١

الإيمان بظهور المهدي(عج) فكرة اسلامية. ١٠٥
الشيعة والعقيدة بالرجعة. ١١٤
من سوء أدب الخطيب نسبة التزوير الى السيدين. ١١٨
نهج البلاغة. ١٢٠
بيعة الرضوان. ١٢٤
حكم من نفى الإيمان عن بعض الصحابة أو سبَّ بعضهم عند أهل السنة. ١٢٨
نصيحة وتذكرة. ١٣١
منزلة النبي(ص) والامام عند الشيعة. ١٣٢
غلط الخطيب في فهم كلام العلاّمة الآشتياني. ١٣٦
افتراء الخطيب على الشيعة بالتملُّق للحكومات، وتدخل الخواجة
وابن العلقمي في فاجعة بغداد. ١٤٤
كارثة خروج المغول واستيلائهم على بلاد المسلمين وأسباب
سقوط بغداد ١٤٩
من أفتراءات الخطيب على الشيعة. ١٦٠
منزلة زيد الشهيد وسائر أهل البيت عند الشيعة. ١٦٢
المشهد العلوي المقدّس. ١٦٥
سيرة يزيد. ١٧٤
غلوّ الخطيب في الصحابة. ١٧٥
عقائد الامامية والتقريب بين المذاهب. ١٧٦
الشيوعيَّة والتشيع. ١٨٢
الشيوعيَّة وليدة مظالم المستعمرين. ١٨٤
آذربايجان إقليم شيعي. ١٨٧
حركة البابية والبهائية. ١٨٨

8920

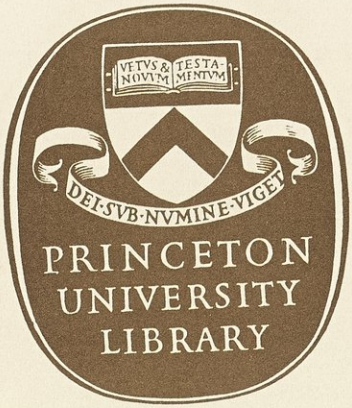
VETVS & NOVVM
TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1992
We're Quality Bound

(Arab)
BP194
.1
.K4273
S234
1987

Princeton University Library
32101 088433139

السعر : ٣٠٠ ريال